سلسلة المخطوطات العربيّة
٢

كتاب
أساس التأويل

تأليف

الداعي الاسماعيلي الاجل

النعمان بن حيّون التميمي المغربي

قاضي قضاة الدّولة الفاطمية

المتوفي سنة ٣٦٣ هـ

تحقيق وتقديم

عارف تامر

منشورات دار الثقافة - بيروت

المقدمة

ترددت كثيراً قبل ان اقدم على دفع هذا الكتاب الى الطبع ، وما ذلك الا لرغبتي التامة بالابقاء عليه مدة اطول في كهف « التقية » ، بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الاخرى التي لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فلأعتقادي بأن المعلومات التي يجب الحصول عليها عن موضوع الكتاب لم تستكمل بعد، كما وان هنالك مخطوطات اخرى من الضرورة العلمية ان تسبقه للنشر ، فهي بالرغم من انها دونه بالمرتبة ، الا انها تقود اليه ، وتعتبر مفتاح بابه ، او المدخل الى ارجائه .

والآن ... فكلما خطرت ببالي كلمة « تأويل » التي نحن في صدد التحدث عنها ، فلا يتراءى لي الا « اساس التأويل » وحده ، لانه الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو « التأويل » ، والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الاساسية لهذا العلم تمثيلا متزناً معقولا، ويعرضها عرضاً دقيقاً مفصلا ، تتراءى الاضواء على فقراته ومواده ، لتقربها من الاذهان وتدنيها من الافكار . والتأويل سمي بذلك لانه رجوع الى المآل والمرجع من آل الشيء يؤول اولاً ومآلا اذا رجع وعاد ، ومآل الكلام مفاده وفحواه .

لقد كان التأويل في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر ، وفي ابان

ازدهارها ، الموضوع الاساسي لكل فكرة فلسفية باطنية ، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الاغصان ، او بلغة اصح الاساس الذي تركزت عليه دعائم هذه الدعوة الفكرية ، والغذاء الذي موّن الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان . ولأجل هذا كله اعتبر كتاب « اساس التأويل » لدى الاسماعيليين من الكتب الثمينة والذخائر الغالية التي تقضي تعاليمها العقائدية ، بالمحافظة على سريته وكتمان تعاليمه ، والسهر على منع تسرب المواد العقائدية التي وردت فيه لمن هم من غير الاسماعيليين ، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة ، مضافاً الى ذلك ان في الكتاب تأويلا لقصص الانبياء التي وردت في الكتب السماوية الثلاث : التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، فكل هذا كان يشكل موضوعاً ، تقضي العقيدة بالمحافظة على اسراره التامة ، مما يخرج عن نطاق المفهوم العام لدى طبقات العامة ، الذين اعتبروا بانهم لم ينالوا من الثقافة الا قشورها ،ومن العلوم الا ظواهرها .

قد يكون من الواضح ان « التأويل » بمعناه الواقعي لدى الاسماعيليين يختلف عن « التفسير » بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الاسلامية الاخرى ، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القاريء ، فاذا سئلنا مثلا ما هو تفسير كلمة « شجرة » ؟ اجبنا : انها نبتة تغرس صغيرة ، ثم تنمو فيتفرع منها جذوع واغصان ينبت عليها ورق اخضر ، وفي الربيع تحمل ازهاراً لا تلبث بعد ذلك حتى تعقد ثمراً طيباً .. الخ ... اما اذا قلنا ما هو تأويل كلمة شجرة ؟ فنجيب بان ذلك يتبع رأي المسؤول المباشر عن التأويل ، قد يقول انها حجرة ، أو بقرة ، او صخرة او غير ذلك مما يجب ان يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل ، فلا يكون غريباً عن التصديق ، ولا بعيداً عن

الفكر . اذن فالتأويل هو باطن المعنى او رمزه ، او جوهره ، وهو حقيقة متسترة وراء لفظة لا تـدل عليها ، ومن هنا اعطى النظام الاسماعيلي الفكري صلاحية التفسير (للناطق) ، ووهبَ صلاحيـة « التأويل » للامام ، فالأول أُعتبر يمثـل الشريعة والاحكام والفقه والقانون الظاهر ، والثاني يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة والباطن .

من المسلم به ان التأويل من العلوم التي خص بهـا الاسماعيليون ائمتهم وسموا لاجله بالباطنية فقد جعلوا محمداً هو صاحب التنزيل للقرآن كما قلنا ، وجعلوا علياً صاحب التأويل اي ان القرآن انزل على محمـد بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، اما اسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها علياً والائمة من بعده وقـد اخذ الاسماعيليون بعض آيات القرآن الكريم دليلا على القول في وجوب التأويل . كقوله :

« وكذلكَ يَجْتَبيكَ ربُّكَ ويَعلِّمُكَ من تَأْويلِ الاحادِيثِ »

وكقوله :

« وكذلكَ مكَّنا لِيوسِفَ في الأَرْضِ ولنُعلِّمَهُ من تأويلِ الاحاديث »

وكقوله :

« وسأُنبئُكَ بتأويلِ ما لمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْه صَبْرا »

وكقوله :

« هُو الَّذي أَنزلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ ، مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ امُّ الكِتابِ ، وآخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فامَّا الَّذينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ إبتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْويلِهِ ، ومَا يَعْلَمُ تَأْويلَه الّا

اللهَ والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولونَ آمَنَّا به كُلٌّ من عِنْدَ رَبِّنَا وما يَذْكُرُ الّا أُولو الأَلبَابْ »

وهناك ادلة عقلية على وجوب التأويل أُخـذت من القرآن الكريم، كقوله تعالى

« سَنَرِيهِمْ آياتَنَا في الآفَاقِ وَفي أَنفُسِهِمْ »

وقوله :

« وفي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ وفي أَنفُسِكُمْ افلا تُبْصِرونْ ؟ »

وكل هذا يفسر ان الظاهر وجد للدلالة على الباطن ، وقد اعتبروه ممثولا، والظاهر مثلا، والمؤيد في الدين داعي دعاتهم وفيلسوفهم الاكبر يقول في هذا الصدد :

[خلق الله الامثال والممثولات]

فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيـا مثل والآخرة ممثول .

وقال ايضاً :

اقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل وهذا كالعسل

وكل هذا ينقلنا الى مدينة الاسكندرية وجوها الفلسفي ومـا قاله (فيلون) وتلامذته الذين حاولوا تأويل التوراة تأويلا باطنياً فلم يقدر لهم النجاح . كما وان سانت اوغسطين حاول وتلاميذه واتباع مدرسته تأويل الانجيل تأويلا باطنياً، ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ الفكرة لاعتبارات شتى يطول شرحها ، فجاء الاسماعيليون ونشروا نظامهم الفكري فكان اول منهاج طبقوه ودعوا اليه نظام التأويل . ومن الواضح انهم صقلوه بأفكارهم وأدخلوا عليه التأويل العقلي الذي يشذب النقل والتسليم ليثبتوا

للعالم الاسلامي انهم من العريقين في فهم الاصول الاسلامية . فقــالوا بالباطن وضرورته كما قــالوا بالظاهر الى جانبه ، فلا يقبل الظاهر دون الباطن ولا ينفع الباطن دون الظاهر لان الظاهر والباطن كالجسد والروح تتولد من اجتماعهما الفوائد وتعرف المقاصد .

ومهما يكن من امر فلا بد من القول ايضاً ، بأن التنزيل كما قلنـا اختص بـه الناطق في حياته ،وهو علم الظاهر واحكام الشريعة ، والعلم المصرح بتعلمه وتبنيه واعتناقه لطبقات العامة . كما ان الأمام او «الاساس» (وكلمـة اساس تطلق على كل امام يعاصر « الناطق ») فمسؤول عن الباطن والتأويل ، والحقيقة ومرموزاتهـا وتعاليمها السرية التي لا يمكن الافصاح عنها الا لجنود الدعوة المخلصين الذين تدرجوا في مراتبهـــا ، وترفعوا في مناصبها وهم طبقات « الخاصة » .

لهذه الاسباب نرى ان كتابي « أساس التأويل » و « دعائم الاسلام » وكلاهما من وضع « النعمان بن حيون » يمثلان فكرتين واتجاهين مرتبطين تمام الارتباط ببعضهما البعض ، واعني بهما البــاطن والظاهر ، فالاول اعتبر أساساً للفلسفة الباطنية ، والثاني اساساً للفقه والشريعة ، وقـد رواه الامـام « جعفر بن محمد » الصادق عن جده الرسول الناطق محمد باعتباره المسؤول عن الشريعة ، واحكام الظاهر والتنزيل كما قلنا . وكل هذا يعطي الدليل القاطع على اهمية الكتاب ، ويبرهن على ان الدراسات الاسماعيلية الباطنية كانت على درجات ، وان مراتبها مقسمة الى صفوف لا بد للمستجيب من الدخول اليها ، واجتياز حلقاتها ومما يجب ان يقال ان الاسماعيليين انفردوا وحدهم بالتأويل لآيات القرآن التي توجب التأويل وغيرهم من الفرق الاخرى اكتفى بالتفسير وكل هــذا ظاهر في كتب المفسرين الاولين الذين سبقوا محمد بن جرير الطبري وقد كان تفسيره الجامع

محكمة علمية للترجيح بين الفرق الاسلامية ، والاقرار بصواب النظريات والافكار .

ونعود الى صلب الموضوع مكررين القول بأنه من الصعوبة بمكان استيعاب نصوص الفلسفة الاسماعيلية والوصول الى نهايتها ، وفهم تعابيرها ومرموزاتها وما ترمي اليه ، اذا لم يمر القاريء بنصوص تأويلية بدائية ، ولا شك ان « اساس التأويل » من النصوص التي يجب ان تدرس بامعان وان يتفهم ما تذخر به ، ومن الامور التي يجب ايضاً ان لا تخفى على الباحثين والمهتمين ان « النعمان بن حيون » قد وضع كتباً عديدة في الفقة والقانون والاحكام والتاريخ وفي علم التأويل الذي يعتبر المدخل [1] الى الفلسفة ، ولكننا لم نلاحظ انه وضع كتباً في الفلسفة نفسها ، ولا ندري فيا اذا كان قد حظر عليه ذلك ، لان المعروف لدينا ان « جعفر بن منصور اليمن » كان المسؤول المباشر عنها في تلك الفترة ، والمأذون الوحيد بعرضها والكتابة عنها ومناقشة مواضيعها ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من القول بان النعمان يعتبر من الادمغة المفكرة الكبرى التي وضعت ركائز الفكر في الدولة الفاطمية . أجل ...وليس غريباً اذا قلنا ، ولا مغالاة اذا اعلنا ان الاسماعيليين كان لهم النصيب

---

(١) ورد في عيون الاخبار لمؤلفه ادريس عماد الدين ٣٦/٦ ـ ٣٩ اسماء مؤلفات النعمان وقد جاء ان عددها اثنين وأربعين ، وأضاف الى ذلك كتابين ذكرهما الشيخ اسماعيل في الفهرست . وترجم له ابن خلكان في الوفيات ١٦٦/٢ ، والحافظ في رفع الاصر ورقة / ١٣٦ / والداعي ادريس عماد الدين في عيون الاخبار الجزء السادس . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاة والقضاة للكندي / ٥٨٦ / ومقال Gottheil في J. A. O. S. ٢١٧/٢٧ ، ومقال حسين همذاني في j. R. A.S ١٩٣٣ / ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ، وتقدمة محمد كامل حسين لكتاب الهمة ٥ ـ ١٤ ، ومقال آصف فيضي في J.R.A.S (١٩٣٤) ١ ـ ٣٢ وايفانوف ٣٧ ـ ٤٠ ، ومقدمة عارف تامر لكتاب « خمس رسائل اسماعيلية » سنة ١٩٥٦ .

الاوفر في هـذا المجال ، وحازوا على قصب السبق في ميدان الفكر ، فهم قد اغنوا المكتبة الاسلامية بالانتاج العلمي الضخم قبل وجود الدولة الفاطمية ، ولكن مع كل اسف ضاع ذلـــك التراث الثمين ، ولم تبق الايام منه بين ايدينــــا الا رسائل اخوان الصفاء وحدها . وهناك شيء آخر جدير بالانتباه ، ويأخذ قسم طويل من تفكيرنا هو موضوع المؤلفات الاسماعيلية التي وضعت قبل الدولة الفاطمية .

مما لا شك فيه ان انظمة التأويل والقوانين الفلسفية كانت تسود مجتمعهم العقائدي في تلك الفترة ونرى انه لنا الحق ان نتساءل اين ذهبت تلك الثمرات الفكرية ، وما هي اسماء واضعيها ؟

قد يكون الجواب على هذا السؤال من الصعوبة بمكان ، لانـــه في الواقع لم تبقِ لنا تلك العصور السالفة المتقلبة المشحونـة بالاحداث ، اي اثر من آثار الاسماعيليين سوى رسائل اخوان الصفاء كما قلنا ، ومن المرجح ان تلك الاثار قـد اتلفت في مركز الدعوة (سلمية – سوريا) اثنـــاء غارات العباسيين والقرامطة والقبائل الاخرى ، ولهذا فان المعلومات عن الشاعر « عبد السلام بن رغبان – ديـــك الجن » وعن « المتنبي » وعن « المعري » وغيره كانت قليلة فلم تنر الطريق امـــام الباحثين ولم تروي غليل المهتمين . وعلى كل حال فلا بد لنا من الاشارة الى القصة التي رواها « جعفر الحاجب » بسيرته التي نشرهـــا المستشرق (ايفانوف) « ivanov » عن « محمد المهدي – عبيدالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، عندما تعرض بعض اللصوص اليه وهو في طريقه من سلمية الى المغرب وكيف سلبوا منه مجموعة الكتب النفيسة التي كان قد حملها معه من المشرق ثم عودة الامام « القائم » الفاطمي الى المكان ذاته عندما استتب للفاطميين الامر في المغرب واسترجاعه الكتب ، وهذا يدل على

ان المجموعة التي انتقاها وحملها وآثرهـــا وفضلها على الذهب والاحجار الكريمة ذات قيمة كبرى ولا يخامرني الشك بأنها تحتوي على نظام العقائد الباطنية وعلى قواعد الفلسفة والتأويل وغيرها من المواضيع الفلسفية .

كنـــا قلنا بالامس ونعود فنردد ما قلناه اليوم بأن القرنين الثالث والرابع الهجريين هما من ازهر العهود بالنسبة للعالمين العربي والاسلامي، ففي خلالهما ازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهاراً فكرياً شاملا ، فبرز الى حلبة العلم دعاة اسماعيليون تحرروا من كل المؤثرات والقيود والتبعات فعملوا على نقل الكثير من علوم الفرس والهند واليونان بعد ان شرحوها وكيفوها وهذبوها ووضعوا في أسسها النظريات المبعثرة مرتبة ، ومطبقة تطبيقاً جاء ملائماً للقواعد الاسلامية وللعقل وذلك بطريق النقل ، وكل هذا جرى في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر ، عندما كانوا يعتمدون على مباحث العلم والجدل والمنــاظرات التي كانت تنتشر بسرعة كلية في جميع انحاء العالم ، هــذا بالاضافة الى اعتمادهم على التمسك بظاهر الشريعة وتــكاليفها وموجباتهــا واحكامها تمسكاً واقعياً يحتم عليهم الا يتسامحوا بتركها واهمالها مع اضافة الرغبة الدينية الملحة بالتمسك في العبادة العلمية الباطنية الى جانبها . وكل هذا يضاف الى الدور الخطير الذي قــام به الاسماعيليون في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، وفي الحقيقة فليس هناك فرقة من فرق الاسلام لها مــا للاسماعيلية من تاريخ طويل حافل بالاحداث .

ومما لا شك فيه ان البويهيين والحمدانيين قد رفعوا لواء الثقافة والأدب عالياً في المشرق ، كما ان الامويين قــد ساهموا مساهمة فعالة ببناء النهضة الادبية في الاندلس ، ولكن كل هذا لا يعادل جزءاً صغيراً ممــا ساهم به الفاطميون في هذا المجال وخاصة في عهد الامام « المعز لدين الله » الذي

يعتبر التـــاريخ عصره بأنه من ازهر العصور التي مرت على الاسلام في حياتها ، فالمعز الفاطمي كان على جـــانب عظيم من التفهم وبعد النظر والحرص على بعث النهضة العلمية في ارجاء دولته الشاسعة وتعزيز النظام الفكري الذي اعتبره اساساً لدعوته ،لذلك لم يكن غريباً علينا اذا رأيناه يساهم بنفسه ويشترك مع داعيه الأجل النعمان فيضعان كتابين اعتبرا اساساً لكل علم وفقه وفلسفة ، فالأول جاء اساساً للشرع الظاهر او ما يسمونه العبادة العملية وهو «دعائم الاسلام» ،والثاني جاء اساساً للفلسفة الباطنية او العبادة العلمية وهو « اساس التأويل » .وكما جاء الأول أساساً للشريعة والأحـــكام والجسم ، فكذلك جاء الثاني اساساً للحقيقة الفلسفية والروح .

أجل ... ساهم الأمام المعز لدين الله في انعـاش الدولة الفاطمية في المجال الفكري ، ونهض بالناحيتين العلمية والادبية نهوضاً جباراً لم يسبقه اليه احد من الائمـــة الفاطميين سواء السابقين او اللاحقين ، ففي عصره وصلت الثقافة الى الذروة والى المستوى الرفيع، واصبح سوق الأدب رائجاً والقاهرة المعزية كعبة يؤمها العلماء والأدباء والفلاسفة والطلاب والمستجيبون للانتهال من ينابيعها الدافقة بشتى العلوم والفنون ، فالمعز في هذا المضمار قد تفوق على منافسيه علماً وادباً كما تفوق عليهم سياسياً وحربياً ، واننا اذا عرفنا ان المعز نفسه كان من المثقفين ثقافة عالية وانه نال قسطاً وافراً من العلم ادركنا السبب .فهو بالاضافة الى معرفته لأكثر اللغات السائدة في عصره كاللاتينية والايطالية والاسبانية وقد قيل انه تعلمها لرغبته بافتتاح بلدانهم وضمها اليه، ثم الصقلية والبربرية والسودانية وقد تعلمها بالنظر لوجود عدد كبير من القواد والجنود في عداد جيوشه ، اذن وبالاضافة الى كل هذا كان من المتضلعين في الشعر والادب كما روى المؤرخون عنه ، وها هو

المقريزي وغيره من المؤرخين يحدثون بان مكتبته كانت تذخر بالكتب النادرة النفيسة وانه كان من المغرمين بعقد المجالس العلمية والاستماع الى مناظرات العلماء وتشجيعهم وتوفير الاموال لهم كما انه كان يشرف على المؤلفين ويتناول مؤلفاتهم بالتغيير والتعديل .

هذا ومن الجدير بالذكر ان «النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون» مؤلف كتابنا «اساس التأويل» من مواليد المغرب ومن اسرة تنتسب الى قبيلة بني تميم العربية ، ولم نرَ في سيرة حياته اي ذكر لتاريخ ولادته ولكن عرف بانه توفي في القاهرة سنة ٣٦٣ ﻫ بعهد امامة المعز لدين الله الفاطمي ، والنعمان يعتبر بحق اب اسرة خدمت العلم خدمات جلى وادت للدعوة الاسماعيلية كل ما يمكن تأديته من الخدمات العلمية ، وان انتاجها الغزير في هذا المجال كان ذا اثر على مجرى التفكير العام وعلى الحياة العقلية ليس في القطر المصري فحسب بل في كافة الممالك الاسلامية. ومن الانصاف القول انه اشهر فقيه نشأ في الاسماعيلية منذ فجر الاسلام بل ومن اكثرهم انتاجاً واغزرهم مادة وأخصبهم قريحة وانتجهم للكتب الفقهية وللبحوث القانونية والشرعية . خدم الامام « محمد المهدي – عبيدالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب في أواخر سني حياته ، ثم تولى بعهد « القائم » الفاطمي شؤون القضاء في طرابلس الغرب ، وفي عهد الأمام « المنصور » عين قاضياً « للمنصورية » وله في نواديها العلمية ومساجدها المجالس الأدبية والمحاضرات التي كانت تستهوي افئدة الراغبين وطالبي العلم ، وحينما جاء الامام المعز لدين الله الى مصر اصطحبه واسرته معه ، وغرضه ان تستفيد الدولة منه في مصر ، كما استفادت المغرب ، ولكننا ونحن في معرض الحديث عن النعمان لا بد ان نتساءل عن انتاجه الادبي في المغرب ؟ وهل اصابه ما اصاب غيره فضاع في

زوايا الازمنة ؟

واخيراً لا بد من الرجوع للموضوع الرئيسي « التأويل » والقول :

بان هذا النوع من العلم عمل الاسماعيليون على تعميمه بين طبقات المسلمين بحذر شديد ، وفي الواقع هو نتيجة تعلمهم الاساسي ونظامهم الفكري ، لأن الدين كان بنظرهم ان يتوصل الانسان بالتمرين المستمر والترقي من درجة الى اخرى حتى يصل اخيراً الى معرفة منازل الكون التي قطعتها العوالم المسكونة بعد ان انفصلت عن المبدع المتعالي اي عن الفكر المطلق الغير مجسم او العقـــل الأول او النور الأعلى او القوة المطلقة او القـــلم الـكاتب او السابق بالوجود المزيل من نفسه الانوار للمنزلة الثانية او للعقل العام الثاني او للنفس الكلية العالمية ، وهذان الاصلان هما اللذان يحدثان بعد ان يتغيرا في العقول الانسانية وعقول الانبياء والائمة والخاصة ، اما طبقات العامة فليس لهم عقول مميزة بل (هم من المعدمين) طالمـا انهم لم ينهلوا من المعرفة او ينتقلوا الى المنزلة الثانية بواسطة التنوير والارشاد ، ولهـذا التعليم درجات عديدة اذا ما سار فيها الانسان بلغ الدرجة القصوى من الكمال العقلي والأدبي اللذان هما الغرض الاسمى في حياة الانسان ، ولبلوغ هذه الغاية يجب العمل على انماء القوى العقلية ثم السيرة الطيبة والحيـاة الأدبية الموافقة لمطالب العقل السليم ولنظرية التطور الفكري التي تقود الى الاعتقاد بالانسان الكامل او الحكيم المتجرد .

ونظام التأويل هذا كان ينمو هذا النمو ويقود الى هذه النظرية ، لان الاسماعيلين اولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تأويـــلا باطنياً يختلف عن ظاهرها ولكنه جاء موافقاً للعقل السليم ومطابقاً له ، وبالوقت ذاته لم ينبذوا الشرائع المنزلة ولم ينكروا ما جاء به القرآن والكتب

السماوية الاخرى إلا أنهم أولوها واعترفوا انهم في غنى عن موجباتها وانهم يعلمون ما قصد الله منها لانهم من الذين فتحت بصائرهم بالعلوم فترقوا في مراتب دعوة عالم الدين التي هي ممثول عالم المبدعات والموجودات .

ومن هنا يمكننا الحكم بان الاسماعيليين لا يعملون بالتفسير الظاهري فحسب بل يئولون الشرائع والاحكام والقرآن تأويلا باطنياً مأخوذاً عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثول العقل الكلي ، اذن فبأمكاننا ان نسميهم « العقليين » او اهل العقل « Rationalistes » الذين لا يركزون عقائدهم الا على هذه القواعد مضافاً الى ذلك ان الحركة الاسماعيلية هي حركة عالمية او بلغة افصح هي « نظام فكري » كان الفرض منه قلب النظام السياسي السائد المسيطر على العالم الاسلامي وتحقيق هدف رئيسي انقلابي في الافكار والنظم والمعتقدات .

اجل ... كان هذا النظام الفكري يوجب على المستجيب ان يعترف بمبدأي الظاهر والباطن معاً ، لان المبدأين يشكلان روح الدين وهما متصلان ببعضها البعض ، ومرتبطان تمام الارتباط ، وواجبان على كل مستجيب ومؤمن ، فالظاهر هو المفهوم العام للتوصيات المتعلقة بقواعد عالم الدين ، والباطن هو روح الدين المستور عن الانظار ، والمخصص للألباب ، ولهذا فقد كان الدعاة الاسماعيليون يبشرون بمبادئهم بطريقتين ويدعون لنظامهم الفكري بفكرتين .

الأولى – ما كان متعلقاً بالنبوات وضرورة الاخذ بما جاءت به من تعاليم ونصوص وشرائع بطريقة ظاهرة داعين الناس الى اتباعها بطريقة « الجبر والتقليد » .

والثانية – بالدعوة الى ما جاءت به الكتب السماوية عن طريق

التأويل الباطني (بالاختيار والوعد والوعيد) .

ومن هنا يمكن القول ان النظام الفكري الاسماعيلي كان يرتكز على تعاليم فلسفية اساسية سامية، تقضي باتباع فكرة الايمان المطلق المحض المتعطش للمعرفة ، ولم يعتمد في يوم من الايام على ما ينقل عن الآخرين من افكار كانت تردد دون فهم .

فالدين كان وما زال في حصن حصين لا يمكن اختراقه والوصول الى ما ورائه الا عن طريق معنى حقيقي روحي ثابت وجوهر قائم بذاته ، وليس على مظاهر خارجية براقة وتعاليم سطحية تصبح بمرور الزمن من العادات ، فكل شيء لا يسجل بالعقل، او ضمن دائرته فيكون (معدوم) الأصل ولا يدوم طويلاً .

لقد نزلت ايات القرآن مكشوفة ظاهرة ولكنها لم تخل من معنى باطني ، وروح ، وجوهر ، ككل كائن في هذه الموجودات ، ومما يجب ان يشار اليه ان نصوص القرآن او التفسير كثيراً ما يؤدي الى اختلاف في الرأي ، بينما التأويل او الكشف عن المعنى الباطني ، فهو نظام ثابت غير قابل للتغيير ويقود الى الواقع العقلي وتوافق المجتمع .

لقد قلنا ان التأويل وهو « المعرفة » كان مختصاً بها «الامام» وحواريوه ، ولهذا السبب نرى النبي « محمد » يحرص على توصية اصحابه بان يفتشوا عنها اينما وجدت .

والدليل على ذلك ان علم الظاهر من السهل جداً الوصول الى معرفته اما التأويل فلا يمكن الوصول اليه ، الا بعد جهاد وتعب واجتياز حلقات ، ومرور بتجارب ، ودخول الى صفوف نظام فكري لا يخرج

عن كونه كما سموه « العهد والميثاق والقسم » .

وفي الجملة لا بد من القول ان الله كشف للانسانية عن دينه واعطاها الجزء الاختياري باتباع اوضح الطرق ، واظهر عدله وترك الحرية امام الانسان للعمل على ضوء عقل خلقه كاملا وجعله افضل هبة للانسان .

كما ان الاسلام ما كان في الحقيقة الا تحريم فعل الشر، وتحليل عمل الخير، وباطنه هو الايمان المطلق ، والروح الداخلية التي تسري في دم كل انسان يروم التجرد ، والتفيؤ بظلال المثالية والفضيلة .

ومهما يكن من امر فنستطيع ان نقول ايضاً زيادة على كل ما قلناه بأن التأويل نظرية فلسفية دينية تتلخص كما قلنا في :

ان الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان فيجب ان يستبدل بما في الطبيعة وبما على وجه الارض على فهم حقيقة الدين ، وقد جعلت المخلوقات على قسمين :

قسم ظاهر للعيان وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن ، كجسم الانسان الذي هو ظاهر والنفس هي الباطن ، وان ما ظهر من امور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في ظاهر آيات القرآن هي معانٍ يعرفها وينطق بها علماء اهل الظاهر والعامة ايضاً ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنياً ، لا يعلمه الا الائمة وكبار دعاته وخاصته .

ومهما يكن من امر فأمامنا القرآن الكريم ، فهو يوضح لنا بان العقيدة التي جاء بها الاسلام لا تتنافى مع العقل ، كما انه لا ينبغي لها ان تتنافى

معه ، اوان تكون غير تامة اذا لم تنسجم معه، لا سيما والدين الاسلامي منذ نشأته دين عقلي قابل للتطور.

واذا تصفحنا آيات القرآن وحللنا ما جاء فيها على ضوء العقل ، والمنطق ، والواقع ، علمنا ان الانسان عليه ان يفكر ويتدبر وان ينظر ويتأمل وان يعتبر ويستنبط . فالاسلام نظام عالمي عام يوجه الانسان في الحياة ويساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية على اسمى درجة من الكمال الانساني في الروح والخلق والمادة والجوهر .

كما ان المعرفة في الاسلام جعلت شرطاً للايمان ، فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيراً . والاعتقاد الصحيح الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، كما اننا نستطيع ان نقول : ان الاسلام ثورة على الجمود العقلي وحرباً على الرجعية والتعصب والانكماش فهو قد اعطى الحرية للانطلاق وفك القيود والاغلال ، كما انه اطلق حرية الرأي والفكر ، واحلها المنزلة الرفيعة ، والمكانة العالية ، واحاطها بسياج من العناية والرعاية ، وبنى العقيدة الاسلامية على الحجة والدليل ، لا على الاكراه والتقليد ، ونوّه بالعقل وأراده على اليقظة ، وطالبه بالتنبه .

ولم يسهل للشخص ليكون آلة صماء يقبل كل ما يقال له دون ان يحكم عقله .

والاسلام ايضاً جاء محرراً للعقول البشرية من قيود التقليد مفسحاً المجال امامها للسير في سبيل هدايتها في جو واسع من الحرية ، مقيماً العقل السليم حكماً فاصلاً بينه وبين مخالفيه ، وخاصة عند البحث والدرس والمناقشة .

ولقد اراد بذلك ايقاظ العقل وتنبيهه الى اداء مهمته وتنمية القوى العقليـــة والفكرية للسير في مجال الاعتداد في النفس ، والاستقلال بالرأي ، والانطلاق نحو حرية التفكير .

هذا عرض موجز لموضوع « التأويل » كما جاء في كتاب « اساس التأويل » للنعمان بن حيون التميمي ، تناولناه من جميع نواحيه ، آخذين من معلوماتنا الاسماعيلية القدر الـكافي ، واضعين نصب اعيننا قانون الدعوة الاسماعيلية وحدهـــا الذي نعتبره المصدر الوحيد الذي يرشد الباحثين الى معرفة الدخائل والمغمضات ،وقبل ان اصل الى نهاية المطاف لا بد لي من توجيه كلمة لهؤلاء الذين يسمون انفسهم متخصصين بدراسة الأدب والتاريـخ والفلسفة الاسماعيلية ، هؤلاء الذين لم يصلوا للان الى حد التفريق بين لفظتي « اسماعلية » او « فاطمية » ... فكلمتنا الى هؤلاء هي : اننا لم نقتنع لاننا لم نجد بدراساتنا اي ذكر لتسمية (فاطمية) ويقيننا ان التسمية يجبان تنحصر بالاسرة التي حكمت الاسماعيلية وهم « الائمة » وليس في كل ما يمت الى هذه الفلسفة بصلة ، ومن هنا يمكننا ان نقول ان اطلاق لفظة « فاطمية » يجب ان لا تتجاوز الاسرة الفاطمية في عهديها في المغرب وفي مصر ،وسبب ذلك كما هو معروف رغبتها بالتقرب من العالم الاسلامي الذي يقدر اسم فاطمة الزهراء ابنة محمد ، ومن جهة اخرى تمييزاً لهم عن اولاد علي الآخرين من غير فاطمة . اذن فكل تسمية لادب او لفلسفة او لعقيدة او لغيرها مما يخص هذه الدعوة فيجب ان لا يخرج عن نطاق كلمة « الاسماعيلية » .

محتويات الكتاب :

قسم النعمان كتابه « اساس التأويل » الى ستة فصول ، فجعل لكل ناطق وائمة دوره ودعاته ولواحقه فصلاً جاء زاخراً بالآيات القرآنية الخاصة ، وقصصهم ، وزمانهم ، وحوادثهم ، وقد بدأ بعهد آدم وانتهى بعهد محمد .

ولم يكتب الفصل المتعلق بالقائم المنتظر وهو السابع لانه لم يأت بعد واني أرى انه من الصعوبة بمكان شرح فصول الكتاب فصلا فصلاً وباباً باباً ولكن فصلاً واحداً لا بد من الفات النظر اليه وهو الفصل المتعلق (بعيسى بن مريم) وقصة الولادة بدون أب، ثم قصة آدم ومعنى الولادة من طين وكل هذا جدير بالاطلاع والاهتمام . لانه جديد في فلسفة العقائد وغني بالافكار والنضوج العقلي السليم .

نسخ الكتاب :

حصلت على نسختين خطيتين من « اساس التأويل » الأولى من بلدة (مصياف – سوريا) وهي التي اعتمدتها اصلا في التحقيق ، ورمزت اليها بحرف (س) وتاريخ نسخها سنة ١١٨٣ ﻫ ، والثانية من مخطوطات (اليمن) اهداها اليّ الأخ الكريم « الحكيم لقمان » من بلدة [« كمبالا اوغندا »] في افريقيا الشرقية اثناء زيارتي لتلك البلاد سنة ١٩٥٦ وهي مكتوبة بخط امين بن علي [الكامنهاب داري وطناً – الشكادهكر مسكناً وتاريخ النسخ في سنة ١٠٣٣ ﻫ وقد رمزت اليها بحرف (ﻫ) .

ومما تجدر الاشارة اليه اننـــا اجرينا تصليحات نحوية واملائية — وتصويبات لبعض جمـل ناقصة ومراجعات للآيات القرآنية وكان بعضها مشوهاً وكل هذا لم نذكرهـا على الهامش وهي في حد ذاتهـــا لم تخرج عن حقيقـــة الاصل وكل ذلك في سبيل اخراج نص صحيح لا غبار عليـــه .

فعسى ان نكون في عملنا هذا قد ادينا خدمة للعلم وقمنـا بما يوجبه علينا واجبنا نحو تاريخنا وادبنا وفلسفتنا العربية .

بيروت — لبنان　　　　عارف تامر

١٩٦٠

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيد [1] النعمة ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، وعلى وصيه علي ولي الامة ، وعلى الائمة الطاهرين من ابنائه الطيبين .

أما بعد ... فانا بتأييد الله وامتنانه وعونه وفضله واحسانه ، كنا قد بسطنا كتاباً للمستجيبين الى دعوة الحق ، المعتصمين بحبل خالق الخلق ، المتمسكين بالعروة الوثقى ، الملازمين للطريقة المثلى ، في ظاهر علم الشريعة سميناه كتاب « دعائم الاسلام [2] » ذكرنا فيه حدود الايمان ، والفرق بينه وبين الاسلام ، وواجب الولاية ، والدلالة على ولاة الامر ، ولوازم الفرض ، وأبواب الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام ، ليعلم المستجيبون ذلك من أمر ظاهر دينهم ، ويعتقدونه ويعملون به ، وان لا يخالفوه ولا يتركوه ، اذ هو أول حدود التعليم ، وادني درجات العلم والتفهيم ، والذي ينبغي ان يبدأ فيه من جرت فيه روح الايمان والحكمة ، وخرج من حد الظلمة الى حد النور ، كما يكون ذلك اول حدود المولود في

(١) في نسخة (ه) جاءت « معطي » وفي نسخة (س) جاءت (مفيد) وهي الاصوب .

(٢) كتاب (دعائم الاسلام) من كتب النعمان وقد جاء بجزئين حققه الاستاذ آصف فيضي من منشورات دار المعارف بالقاهرة وهو يمثل الفقه الاسماعيلي بتفصيلاته :

التربية حين الولادة ، وتنسم روح الحياة ، اذ انه خرج من مشيمة البطن الى ضوء الدنيا ، فيبتديء [1] في اصلاح ظاهره من قطع سرته [2] التي كانت صلة ما بينه ، وبين مـا ليس منه ، وتعديل اعضاءه ، وتدهين جلده ، وتضميده بما يقويه ويشده ، وتعصيب بدنه وشده لئلا يضطرب فتفسد اعضاءه ، وتوهن مفاصله فتشوه خلقته ، او يحدث في نفسه مـا يكون فيه هلاكه وتلفه من اجله .

وكذلك يكون حال من لم يصلح ظاهر دينه ويقومه، يوشك ان ينقض دينه ويهدمه، فقد قدمنا للمستجيبين مـا يلزمهم من ذلك رجاء اصلاحهم وتقويمهم ، فقرأنا ذلك عليهم ، وأبحنا استنساخه لمن رغب فيه منهم ، ووضعناه بين ايديهم ، وأبحنـا قراءته لمن أحب ذلك من جميعهم ، فأخذ منه وانتفع به بعضهم ، وهم قليلون بحسب ما قال عز وجل في امثالهم :

الا الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ألصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ » وقـال :

« فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ .

وكما قال جل من قائل :

« ولكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »

وقال تعالى :

« وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ولَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ »

وقال تعالى :

« مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُمُ ٱلفَاسِقُونَ »

---

(١) في نسخة (س) جاءت فيبتدأ . (٢) في نسخة (س) جاءت صرته .

وقال عز وجل :

« منهم ٱلصَّادُونَ ٱلْجَاهِلونَ ٱلضَّالُونَ »

فقالوا :

هـذا هو الظاهر الذي نعرفه ، ومـا نرى فيه من شيء يفيده ، فضاهوا بقولهم هـــذا قول الذين حكى الله عز وجل عنهم ، المكذبين لأوليائه المرسلين بقوله سبحانه .

وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا الاَّ إفْكٌ ٱفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَومٌ آخرُونَ فَقَدْ جَاؤوا ظُلْمَاً وَزُوراً ، وَقَالُوا أَسَاطِيرَ ٱلأَوليِنْ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُملى عليهِ بُكْرَةً وأصيلًا »

وهذا سبيل من جحد حدود الدين ، وما جرت فيه حكمة الله الأولين والآخرين ، وما أفسده دعاة السؤ الذين ظن بهم الخير من استرعـاهم من اولياء الله ، وكانوا بخلاف ما ظنوه بهم ، وخالفوا امرهم ، وبدلوا ما رتبوه لهم ، فتعدوا حدودهم ، وقعدوا بآخرين عن الواجب .

« قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عَنْ سَوَاء ٱلسَبيلِ »

ولو امتثلوا أمر اوليائهم وسلكوا بالامة سبيل ما حددوه لهم ، لاستقامت الاحوال ، ولم يكن لهؤلاء ولا لغيرهم مقال ، والله يصلح بوليه الباذل نفسه في صلاح ما غيروه من امر دين الله ، وما افسده من خـالفه ، بحول الله وقوته وجوده ورحمته ، ومن وفق لحفظ ما بسطناه له من حد الظاهر وبلغ حظه منه ، وان كانوا قليلاً من كثير ، لم ينبغ لنا ان نقعد بهم عن الواجب ، فرأينا ان نرفعهم الى الحـد الذي يليه من حدود الباطن ، وهو حد الرمز والاشارة وهو الطف حدوده وأقربها ،

ومثله في تربية الأولاد وتغذية ابدانهم مثل اللبن الذي يُبتدأ فيه بالاطفال بعد اصلاح ظاهرهم ، لضعف طباعهم عن احتمال غليظ الاغذية ، وعدم اقتدارهم على هضمها الى ان تقوى عليها اجسادهم ، وتتهيأ لها ، وتأخذها على التدريج ، وكذلك الرموز والاشارات تلقح اوهام السامجين [1] ، وتثير حواسهم الى ما يرمز لهم به ، ويشار اليه من الحكمة ، فيتشوقون الى سماعها ، ويتأهبون لقبولها ، ولو اتتهم دفعة واحدة بلا مقدمات ، وجاءتهم فجأة لما [2] ضرهم ورودها عليهم ، وهم على هـذه الحالة ، كما يضر الاطفال الهجوم عليهم بالطعام قبل اوان وقته ، وذلك ما حدده الله عز وجل في ذلك .

فقال :

« وَٱلوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ »

لذلك بسطنا لمن ذكرناهم بعد كتاب « دعائم الاسلام » كتاباً سميناه « حدود المعرفة » [3] وثبتناه على حدود بيان حجـــة التأويل على من انكره ، والباطن على من دفعه ، وكيفية ترقي درجاته ، وبسطنا فيه من الرموز والاشارات بالباطن والتأويل ما ينتفع به ذووا العقول ، وكان سبيل القوم فيه سبيلهم فيما قبله من القبول والرغبــة والاعراض والزهادة .

ولمـــا بلغنا من ذلك مبلغاً ، وجب علينا من قبل الراغبين

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (السامعين) .
(٢) في نسخة (هـ) جاءت (لم) .
(٣) عثرنا على نسخ عديدة من هذا الكتاب في بلدة مصياف ـــ سوريا .

ما يستحقونه ، رأينا بسط كتاب لهم بحد من حدود التأويل والباطن يلي حد الرمز ، فمن سمع شيئاً من ذلك على خلاف حدوده مما ذكرناه انه غير ذلك ، واحاله عن طريقه على غير ما كان سمعه ، او بدون البيـــان الذي القي اليه قبله ، ان يكون سبيله سبيل من ذكرنا من المعرضين عن الذين قبله ، فيسلك مسلكهم ويقفوا اثرهم ، وينسلخ من لباس دينه مع جملتهم .

« وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » .

كما قال الله عز وجل وهو اصدق القائلين . ولو عقلوا قول الصادق (١) الامين ، ووصل اليهم عندما شرحه من البــاطن لبعض المتصلين به ، وهو انه قيل له يا ابن رسول الله سمعنا منك قبل هـــذا الوقت على خلاف هذا الوجه ؟ فقال عليه السلام :

« اي جعفر الصادق » : « انا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة اوجه » . فقال الرجل متفكراً : سبعـــة يا ابن رسول الله ؟ فقال : نعم .. وسبعين ، ولو استزادنا لزدناه ، فوجوه هذا العلم بقدار حدوده ، فيعلم ذلك من سمعه وانتفع به ورقا (٢) في درجاته . وهذا كتاب قد بسطناه في اصوله وهو اول حد من حدوده سميناه كتاب « اساس التأويل » وقصدنا به شرح ما اثبتناه في كتاب « دعائم الاسلام » ليكون هـــذا اصلا للباطن ، كما كان ذلك اصلا للظاهر ، وبالله نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

---

(١) (الصادق) هو الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب .
(٢) في نسخة (س) جاءت وترقى .

جوامع من القول في تثبيت التأويل

وباطن ما جاء في الحديث والتنزيل

كنا بسطنا في كتاب «حدود المعرفة» الذي قدمنا ذكره كلاماً طويلاً في اثبات علم التأويل والباطن، والرد على من انكره من الكتاب والسنة واقوال الائمة والامة واشبعنا القول في ذلك، وان كنا قد اختصرناه، ولا [1] ينبغي لنا ان نخلي صدر هذا الكتاب من طرف منه ليكون حجة لنا بين ايدي من يتلوه فنقول وبالله التوفيق :

انه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بانه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه [2]. قال الله عز وجل من قائل :

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

وان كلما جاء في الحديث والتنزيل شيء، وكل شيء وان كان واحداً فلا بد له من زوج ابانة لوحدة الباري البائن عن خلقه، ولا يقوم شيء من دونه الا بمزاوجة، كالانسان وهو شخص واحد، الا انه جسد وروح، فالجسد هو الظاهر والروح هي الباطن، وكل واحد من الاثنين مركب من شيئين، فالجسد مركب من البرودة واليبوسة، والروح مركبة من الحرارة والرطوبة، فاذا فارقت الروح الجسد بقي

---

(١) في نسخة (س) جاءت (ولم) .

(٢) في نسخة (س جاءت وقرينته .

الجسد بارداً يابساً ، ولذلك كلما في العالم اذا اعتبر لا بد له من الازدواج ، وقد ذكر الله سبحانه الباطن في مواضع كثيرة من كتابه فقال جل ثناؤه :

« وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً »

واخبر انه يسأل عباده عن نعمه عليهم فقال عز وجل :

« ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمْ »

فمن لم يعرف باطن النعيم ما هو ؟ وقد علم انه مسؤول عنه وكيف يكون جوابه اذا سئل عنه ، ثم قال سبحانه لا شريك له :

« وَذَرُوا ظَاهِرَ ٱلإِثْمِ وَبَاطِنَهُ »

فمن لم يعرف باطن الاثم فيذره ، اليس يخشى عليه من ان يقع فيه اذا جهله ؟ ثم ذكر عز وجل في كتابه فقال :

« هُوَ الَّذي نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلكِتَابِ وآخر مُتَشَابِهَاتٌ ».

الى قوله :

« وَمَا يَعْلَمُ تأوِيلَهُ الا ٱللهُ والرَّاسِخُونَ في العِلْم »

وقد ذكرنا في « حدود المعرفة » قول من اقرّ بالتأويل وجهل وجهه ، وقول من دفعه وأنكره ، والحجة على جميعهم ، وقال سبحانه وتعالى في التأويل :

« هَلْ يَنظُرُونَ الى تَأوِيلِهِ يَوْمَ يَأتِي تأوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِ »

وقال رسول الله (صلعم) :

« ما نزلت عليّ من القرآن آية الا ولهـا ظهر [١] وبطن [٢] »

وقد ذكرنا في كتاب « حدود المعرفة » اجماع الأمة على صحة هـذا الخبر ، وفساد تأويل من تأوله على غير الصواب فيـه . وذكرنا ما اقروا به من الباطن لما لم يجدوا محيصاً دون الاقرار به ، ولزمهم ذلك لضرورة فيه ، اذ لم يجدوا مخرجاً منه نظير الماء .

وقولهم ان الله سبحانه اراد به العلم في موضع ، والموت والكفر في موضع آخر ، وبالحياة الايمان ، وبالنور الهدى ، وبالظلام الضلالة ، وبالعمى والصم والبكم غير ما هو في الظاهر ، وبالنعاج النساء ، وكثير من مثـل ذلك [٣] مما يطول شرحه ، فإذا سمعوا من مثل ذلك ما يوجب توحيد الله تعـالى وتنزيهه عن صفاة خلقه انكروه ، وشبهوا معبودهم ، ووصفوه ونسبوه الى مـا يتعالى الله جل ثناؤه ، ويتقدس ويتبارك اسمه عنه ، وقد سمعوا ما ذكر عز وجل في كتابه من ضرب الامثال لعباده كقوله تعالى :

« وَتِلْكَ الامثَالُ نَضرِبُها لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهـا إلّا العَالِمُونَ »

وقوله :

« إنَّ اللهَ لا يَستَحِي أَنْ يَضرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَما فَوقَها فَأَمّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعلَمونَ أنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وأَمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيقُولُونَ

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (ظاهر).

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (باطن)

(٣) لم ترد (مما) في نسخة (هـ)

مَاذَا أَرَادَ ٱللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ » .

وقوله :

« وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً »

وقوله :

« وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ »

واخبر سبحانه ان للأحاديث ايضاً تأويلا فقال في قصة يوسف عليه السلام :

« وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ »

وقال :

«وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الارضِ وَلِنُعَلِّمَهُ من تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ».

وفي آيات كثيرة من كتابه سبحانه وتعالى ذكر للامثال والباطن والتأويل ، وذلك معروف في لسان العرب الذي نزل القرآن به ، وخاطبهم بلسانهم فيه ، وذلك من معجزات وغرائب تأليفه ، انه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه [1] ، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله ، وباطنه معجزة الائمة من أهل بيته ، لا يوجد الا عندهم ، ولا يستطيع احد ان يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جدهم ، ولا ان يأتي بباطنه غير الائمة من ذريته ،

(١) في نسخة (ه) وردت كلمة (غيره) وهي اضافة .

وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم ، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ، ويعطون كل اهل حدٍ منه مـا يستحقون ، ويمنعون منه من يجب منعه ، ويدفعون عنه من استحق دفعه ، لقول العزيز الوهـاب :

« هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنِنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

ونحن الان بعون الله وتأييده نبتديء بذكر ما شرطنـــا ذكره من تأويل ما بسطناه في كتاب « دعائم الاسلام » ، ونذكر باطنه على مـا يوجب هذا الحد الذي ابتدأنا به ، بلسان من تسمعه اياه ، ومقدار فهمه وقد قال الله سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ الَّا بِلِسَانِ قَوْمِه لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

لان العامـة اذا خوطبوا بلسان الخاصة ، لما فهموا اكثر الخطاب ، وقصدنا بالمخاطبة مـا يقرب من افهام السامعين ، ولم نخرجها على مخارج الفاظ المنطقيين والفلسفيين ، كما فعل ذلك بعض المتكلمين ، وتوكلنا على الله ربنا وهو حسب المتوكلين .

الايمان

ذكرنا في كتاب « دعائم الاسلام » باب الايمان ، ثم اتبعناه بباب الفرق ما بين الايمان والاسلام ، فجمعنا تأويلهما في هذا الباب ، اذ ان اصلهما واحد ، وهذا ما ابتدأنا به .

وذلك ان لكل واحد من اولي العزم[1] من الرسل صلوات الله عليهم اصلان لشريعته ، اصل في الظاهر واصل في الباطن يجمع حدودهما (اي حدود الشريعة) .

فأصل نوح عليه السلام السفينة ، ودعى من آمن به لركوبها ، فمن لم يركبها معه غرق وهلك ، وأصل ابراهيم عليه السلام الكعبة ، وأذن في الناس بالحج اليها ، ودعاهم إلى الطواف بها وسن معالمها ، واصل موسى عليه السلام العصا ، فألقاها لمن كذّب به فتلقفت من ناصبه ، وأصل عيسى عليه السلام الصليب ، فقال لمن آمن به وصدقه « من اراد ان يتبعني فليأخذ معه صليباً »

وأصل محمد عليه السلام ، شهادة ان لا اله إلا الله ، ودعى الناس اليها والى التصديق بها ، فقال : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا معي لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله » وقال (صلى الله عليه وسلم) : « من قال

(١) اولوا العزم في الاعتقادات الاسماعيلية هم : نوح ،وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ولا يدخل في عدادهم آدم لنزول الآية القرآنية الكريمة بحقه التي تقول : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » .

لا اله الا الله مخلصاً دخل الجنة » فظاهر هذه الأصول مختلفة ، اذ كان كل اصل منها شيئاً غير الاصل الاخر ، وباطنها واحد اذ ان كل اصل منها قد اشتمل على جميع حدود شريعة صاحبه ، وما تعبد الله عز وجل به امته التي بعثه اليها ، ولولا ذلك لم يدع من ارسله الى ذلك الاصل ، وهوغير جامع لجميع ما يتعبد به .

وقد زعمت عامة هذه الامة ان رسول الله (ﷺ) دعي في اول الأمر الى شهادة ان لا إله الا الله وذلك في بدء الاسلام ، لان ذلك اسهل على القوم ، فلما اجابوه اليها الزمهم بعد ذلك الفرائض الاسهل ، فالاسهل ، حتى كان الجهاد الذي فيه تلف الانفس والاموال ، وفي ظاهر بعض القول ان آخر ذلك كانت الولاية .

هذا قول يتنافى الحكيم عن فعله [1] ، لانه ضرب من الخديعة والاستدراج ، فلا ينبغي ان يدعو الى بيعته ، ويعطي حقيقته على شيء الا وفيه جميع ما يريده ، ويبايع عليه الا اذا [2] كان مجملا فانه يوضحه بعد ذلك ، ويبينه ويشرح معانيه ، وذلك بمنزلة من دعى الى دين الاسلام وبويع عليه ، فالدين قول مجمل والفرائض مثبتة فيه تبين بعد ذلك لمن اجاب عليه وتشرح له ، وقد سئل رسول الله (صلعم) لما دعى الى قول لا إله إلا الله مخلصاً ، وأوجب الجنة لمن أشهرها باخلاص ، وسئل عن الاخلاص في ذلك وما هو ؟ قال (صلعم) : اعتقادها ومعرفة حدودها » فبيّن (صلعم) ان

---

(١) جاءت الحملة في النسختين هكذا (هذا قول يتنافى عن الحكيم فعله) والصواب هو : (هذا قول يتنافى الحكيم عن فعله) .

(٢) في نسخة (ه) جاءت (ان) .

(٣) الصادق هو الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد مر ذكره.

لها شروطاً وقال : « لا يزال قول لا اله الا الله يدفع غضب الرب عن هذه الامة لا يبلو مـا انتقص من دينهم ، فاذا كان ذلك منهم ردت عليهم ، وقيل لهم كذبتم لستم بها صادقين » وهذا يدخل في جملة مـــا قاله الصادق عليـه السلام ، مما حكينا عنه في كتاب « دعائم الاسلام » : « ان الايمـــان قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالاركان . » وقوله : « الايمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل » ومـا وصفه في قسمة الايمان على جوارح الانسان ، وان كل جارحة منه قـد وكلت من العمل الذي هو الايمان بغير مـا وكلت به الاخرى ، وذكر ذلك شيئاً شيئاً ، في كلام طويل ثبت في كتـاب « دعائم الاسلام » ، فاقتضى من من ذلك كله ان الشهادة جامعة لجميع لوازم الشريعة ، والثابت عن رسول الله (صلعم) [1] انه كان اذا وقف على المشركين ، دعاهم اليهـا فاذا اجابوه وشهدوا بها ، ادخلهم في حكم الاسلام ، وكف عن قتالهم وأمنهم على اموالهم ، الا ما وجب فيهـــا بحكم الاسلام ، وان ابوا دعـــاهم الى ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، واذا امتنعوا قاتلهم فكان القول بظـاهر الشريعة ، موجباً لحكم الاسلام ، محصناً للمهج والاموال ، الا بحقها ، وعاصماً عن دفع الجزية ، وهو قول شهادة (ان لا إلهَ إلا الله » ، والاقرار بالرسول ، وكذلك لا بد من اقرار المؤمن في العهد اذا اخذ عليه ، وذلك ما قاله الله سبحانه في قصة ابراهيم عليه السلام يقول : اذ قال ربه اسلم (يعني الذي رباه بالحكمة)

« قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . ووصّى بِهَـا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ، ويَعْقُوبُ ، يا بُنيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

---

(١) سقطت في نسخة (هـ) .

والاسلام هو الشهادة لله بالوحدانية ، وللرسول بالرسالة ، فالواجب على من شهدها ، ان يشهدها بحقيقة واخلاص ، فان لم يفعل ذلك كان حسابه على الله ، كما قال رسول الله (ﷺ) : « لم تغنِ عنه شهادته عند الله شيئاً ان لم يخلصها ، وكانت مردودة عليه » كما انه يجب في الحكم ان من شهد بشهادة لم يجيدها ، ولم يقف على حقائقها ، ولم يعرف من شهد له ، او عليه بها ، انها غير مقبولة منه ، وترد في حينها ، فكيف بها ان تقبل في اعظم الأشياء كلها واجلها ، فوجب على من شهد بهذه الشهادة العظيم قدرها ، الجليل خطرها ، ان يعرف حقيقتها وحدودها ، ومن شهد له بها بظاهرها وباطنها ويعتقدها ويقوم بفرائضها وشروطها ، والواجب عليه لمن شهد له بها ، لتكون مقبولة منه جائزة له غير مردودة عليه ، ومتى جهل شيئاً منها ، او انكره لم تتم شهادته ، ولم تقبل منه .

والذي في مكنون سر الحكمة التي اودعها الله عز وجل اولياءه ، جعلها معجزة لهم لان شهادة ان لا اله الا الله قد اشتملت على توحيد الله ذكره ، والاقرار برسوله وائمة دينه وحدوده ، وأوجبت طاعتهم ، وولايتهم وقبول امرهم ، واحتوت على جميع ما يتعبد الله عز وجل به ، فلذلك كانت اصل الشريعة ، ودعى اليها الرسول وأوجب الجنة لمن شهد بها مخلصاً ، وقد بيّن (ﷺ) ان اخلاصها اعتقادها ، ومعرفة حدودها ، وإداء حقوقها ، وان حروف الشهادة هي المعبرة عنها ، والدالة على ما فيها ، كما انها معبرة عن لفظها ، ولذلك قال الصادق عليه السلام :

« اول ما خلق الله الحروف ، وبالحروف علمت الاسماء ،

وبالاسماء عرفت الاشخاص » ففرغوا قلوبكم معشر الاولياء لسماع الحكمة ، واقبلوا عليها وتدبر ها حق تدبرها ، تضيء لكم انوارها ، وتكشف لكم حقائقها واسرارها، فهذه شهادة ان لا إله إلا الله التي توجب في ظاهرها ، ان الله تعالى هو الاله الواحد الاحد لا شريك له ، قد تفرد بالآلهية ، وبان بالوحدانية دون جميع خلقه .

وقد يقع اسم الواحد على المخلوق ، ويقوم ذلك في العيان الظاهر ، فإذا رجع منه الى الباطن، كان مزدوجاً محتاجاً الى ما زاوجه وقارنه، كالانسان وغيره من الحيوان ، وهو شخص واحد في العدد ، وقائم كذلك للعيان [1] ، فإذا اعتبر كان جسماً وروحاً ، فالجسم هو الظاهر، والروح هي الباطن ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وكذلك كل شيء في العالم فلا يخلو من ان يكون فيه جوهران مركبان ، اما حار ورطب ، واما حار ويابس ، او بارد ورطب ، او بارد ويابس ، لا يقوم الا بذلك ولا يخلو من حالتين ، اما ان يكون شاهداً او غائباً ، ولا من صورتين اما ان يكون قليلاً او كثيراً، ولا من نوعين اما ان يكون حيواناً او انساناً ، اولطيفاً او كثيفاً ، او ثقيلا او خفيفاً ، وان التضادد والتغاير كثير يطول ذكره ، فالباري جل ذكره بائن عن ذلك كله من احوال خلقه ، غير موصوف بشيء منها ، لا موجود غير عدم ، ولا عدم غير موجود ، بل هو موجود ، ثبت بآياته ودلائل ما خلق ، على انه بائن [2] عن جميعها ليس يشبهه شيء منها ، وليس كمثله شيء .

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (للاعيان) .

(٢) وردت في نسخة (س) (باين) .

قال الله تعالى : « كمثله له تأويل سيأتي في موضعه » واكثر ما قالت العامة فيه انه مجاز خاطب الله عز وجل العرب فيه بلسانها ، لأن القائل منهم يقول ليس مثلي يفعل هذا ، وليس مثل فلان يفعل كذا ، يريدون المسمّى ليس غيره ، وهذا تشبيه محض ، والناس لهم امثال وأشباه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « يا ابن آدم اطعني اجعلك مثلي حياً لا تموت وعزيزاً لا تزل ، وغنياً لا تفقر » وهذا كله له شرح يأتي ذكره ان شاء الله تعالى في حده ، وقد يطول لو ذكرناه ، ويقطع من شرح الشهادة .

شرح الشهادة تأويلا :

وجدت الشهادة على فصلين :

احدهما نفي ، والثاني اثبات ، فقوله : (لا اله) نفي و(الا الله) اثبات ، وكل فصل منها كلمتان ، الأولى منها متصلة بالثانية ، ودونها، والثانية اعلى منها ، وكذلك الفصل الذي هو اثبات اعلى من الفصل الذي قبله ، والذي هو النفي ، فمثل الحد الاخير الذي هو الاثبات في الباطن، مثل على الحد العلوي ومثل الحد الذي هو النفي في الباطن مثل على الحد السفلي ،ومثل الكلمة الاخيرة من الفصل الاخير (اي الاثبات) مثل على الحدود العلوية ، ومثل التي قبلها مثل الحد الذي يليه ، ومثل الكلمة الثانية من الفصل الاول في الباطن مثل على الحدود السفلية ، ومثل التي قبلها مثل على الحد المتصل به دونه .

فالكلمتان المتصلتان في حد الاثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين . وهما لا وإلا والكلمتان المتصلتان بها من الحدين اعلى واجل ، وهما إله

والله ، فقد دلّ ذلك على اشرف الحدود العلوية والسفلية ، وان كان كل واحد من الآخرين متصل به ودونه وأقل حروف منه ، وان الكلمة الاخيرة حملت ثلاثة احرف جمعت فيها كافة حروف الشهادة وهي : الالف واللام والهاء ، وهذه الجملة من القول في حدود الشهادة نوضحها للسامعين بفضل الله علينا وعليهم فنقول :

ان ما رواه الخاص والعام عن رسول الله (ﷺ) انه قال : « اول ما خلق الله عز وجل من خلقه القلم ، ثم أجرى نهراً احلى من العسل، واشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، ثم خلق اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز : فحملت العامة هذا الخبر على ما تعرفه، من ان القلم من قصب ، وان اللوح من خشب على ما نشاهده ، ولم تدر ان هذه هي اسماء والقاب وامثال تحتاج الى ايضاح ، وكشف وبيان وتأويل ، وذلك من تأويل الأحاديث التي ذكرها الله عز وجل .

فالقلم هو أعلى حدٍ من الحدود التي حدها الله بعباده ، ونهى عن تعديها بقوله سبحانه وتعالى : « ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه » وارتفع عز وجل عن الحدود ونصبها لخلقه من دونه ، ليتوصلوا منها الى معرفته ويؤدوا بواسطتها الى الخلق امره ونهيه . فالقلم هو الحامل للعلم الذي استمده من الله سبحانه ، وثبته في اللوح ، واللوح حد من حدود الله ودونه (اي دون القلم) اخذ العلم عن القلم ، وصار اليه منه ، وهما الحدان العلويان اللذان قدمنا ذكرهما ، والنهر الذي اجراه الله سبحانه وتعالى هو القلم . قال سبحانه وتعالى :

« وَلَوْ إِسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا »

فالطريقة هي النبي الناطق في زمانه ، والامام في اوانه من بعده ،

والماء الغدق هو العلم الغزير ، وقال سبحانه وهو اصدق القائلين :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ » وسنذكر هذا بتمامه في موضعه .

هذا ما اقرت به العامة من تأويل الباطن اذ انها لم تجد منه محيصاً، اعني انها اوّلت الماء بالعلم لان الماء الظاهر سقاه الله عز وجـل الى البر والفاجر ، فأخبر سبحانه ان الخلق لو استقاموا لولي امرهم لأوسعهم علماً، وقوله سبحانه : « لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » اي نمتحنهم ونخبر قولهم وعلمهم به، ثم قال سبحانه :

« وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً »

فذكر سبحانه ههنـا ولي امرهم من اعرض عنه صار الى عذاب الله وسماه ذكرا اي اقامه لذكره فسمي باسمه ، وهذا معلوم بلسان العرب انهم يسمون الشيء بما لائمه وصاحبه كما سموا (المزاده) (١) راوية وانمـا الراوية في لغتهم الجمل الذي يحمل عليه المـاء فسموا (المزادة) باسمه لما كانت تصحبه ومثل هذا كثير في لغتهم ، قال تبارك وتعالى : « أنزلَ اللهُ إليْكمْ ذِكراً رَسُولاً » فسمى الرسول ذكراً لانه حامل الذكر .

ثم أقام الله عز وجل بإزاء هذين الحدين العلويين الروحانيين ، حدين اخرين سفليين جسمانيين ، وهما الناطق (٢) والصامت (٣) ، فالنـاطق

(١) وردت في نسخة (س) « المزوادة » ولم نعثر على تفسير لهذه الكلمة ولعلها (مغربية) .

(٢) الناطق اصطلاح اسماعيلي اطلقوه على كل رسول جاء برسالة ونطق بشريعة ، ومجموعـه (نطقاء) وان عدد النطقاء عندهم سبعة هم :آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، والقائم المنتظر .

(٣) اما الصامت فهو تعبير او اصطلاح اسماعيلي اطلق على اساس الناطق الذي هو خليفته مـن بعده والذي تتسلسل منه الائمة وهو المولج بشؤون الدعوة الباطنية في حياتـه والاسس عددهم لدى الاسماعيليين سبعة ايضاً وهم : شيث ، سام ، اسحق ، هرون ، شمعون ، علي ، مهدي .

هو صاحب الشريعة والصامت هو اساس الشريعة في عهد الناطق وصاحب تأويلها ، فالرسول ينطق بالظاهر ، والاساس صامت عنه اي عن الظاهر مؤدي للباطن الذي اثبته الرسول فيه كاثبات القلم العلم في اللوح، فالناطق بإزاء القلم ، والصامت بإزاء اللوح ، ولما كانت الدار التي نصَّب الله سبحانه فيها هذين الحدين السفليين دار نقلة ، وكانت الاجسام فانية ولا يجب في الحكمة الإلهية ان تخلوالدار من حجة، اقام الله عز وجل الاساس بعد الناطق ليقوم مقامه في الامر الظاهر ، وغيره مما كان يقوم به الناطق ، وأمره بتعيين حجة له ، وتأدية علم التأويل اليه واقامته معه، كما كان هو مع الناطق ، ثم اقام الحجة بعده اماماً ، وأمره باتخاذ حجة لنفسه على سبيل ما جرت به سنة الله عز وجل كما قال في كتابه تعالى : « وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً » فلا يزال الامر على ذلك الحال حتى يدور دور ذلك الناطق على سبعة ائمة .

وكذلك النطقاء سبعة وهم : آدم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وقائم الزمان صلوات الله عليهم منهم ستة اولو عزم كما قال في كتابه العزيز :

« وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً »

وقد دلَّ ذلك على ان آدم عليه السلام لا عزم له ، ولكل ناطق من رسول او امام في عصره اثني عشر لاحقاً ، وسنذكر الاثني عشر والسبعة بعد هذا ان شاء الله .

فالكلمات الاربع من الشهادة مثلٌ لهذه الحدود الاربعة فمن اقامهم وعرفهم وقبل عنهم وشهد لهم كان مكملاً لحدودهم من الشهادة ، وقد جمعتهم الشهادة وجمعوا حدودها . فاما الذين اثبتوا الباري عز وجل

بزعمهم من المتفلسفين والمنطقيين وغيرهم ، وانكروا الرسل فقد اثبتوا الحدين العلويين وسموهما بغير هذين الاسمين اي القلم واللوح وقالوا هما العقل والنفس ، ولم يعرفوا الحدين السفليين فلم تثبت لهم الشهادة لانهم اقروا ببعضها وانكروا البعض الآخر ، واما الحشوية من العوا ، الذين اعتصموا بالشهادة وظاهر الاسلام ، وأقروا باللوح والقلم والناطق من الانبياء بلا معرفة صحيحة ، ودفعوا ما سوى ذلك فلم يكملوا الشهادة وكانت غير مقبولة منهم الا في حقن دمائهم وعصمة اموالهم ومنعوا انفسهم بها من دفع الجزية كما جعل لهم الرسول ذلك بامر الله عز وجل لما اسلموا .

والاسلام كلمة مأخوذة من السلم وهو الصلح والاستسلام ، وهو الإلقاء بالايدي الى الطاعة ، والايمان حد يأتي بعده وهو المعرفة بحدود الشهادة واعتقادها واداء حقها ، وذلك هو الاخلاص كما قال رسول الله (ﷺ) الذي وعد من اخلص لها اي للشهادة بالجنة واخبر أنها مردودة لمن لم يخلص لها ، وينقص من دينه بقدر ما نقص منها ، فكانت الشهادة اصل الدين وكان الدين باسره مجموع فيها ، ولذلك كانت الدعوة اليها كما قلنا .

ثم اذا نظرنا الى عدد حروفها وما تدل عليه وتشهد له ، فكانت لا إله إلا الله سبعة فصول ، وذلك دليل ومثل على السبعة النطقاء والسبعة الائمة في دور كل ناطق ، وقد قدمنا ذكرهم وهم آيات الله التي ذكرها في كتابه وكلماته ، كما قال سبحانه :

« وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً »

ثم قال :

« إنّما ٱلْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ».
وقال :

« إذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ».
وقال ايضاً :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ إنَّهُ الحَقُّ »
وقال ايضاً :

« وَفِي ٱلأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِهِمْ افَلَا يُبْصِرُونَ»

هذه امثالهم من الشهادة ، واما امثالهم من السماء والأرض فان السماء الدينية هي مثل لصاحب الزمان ناطقاً كان ، او اماماً والأرض مثل لحجته ، لان الماء ينزل من السماء الى الأرض ، فينبت الشجر والنبات ، وينمو [1] ويزهو ، وكذلك يصير العلم من الناطق الى الصامت فينبت المؤمنين ، ويحيون به .

وامثال المؤمنين في هذه امثال الشجر والنبات يحيون بالعلم الذي يصير اليهم من الحجة . ومثلهم مثل افلاك [2] الشمس والقمر ، فالشمس مثل على الناطق بها يستضيء العالم ، وكذلك بالناطق يستضيء العالم بعلمه ، ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله (ﷺ) انه قال : « ان الشمس تطلع من مغربها على رأس الثلاثمائة » فكان ذلك ظهور المهدي صلوات

(١) وردت (تربو) في نسخة (س)
(٢) وردت (الافلاك) في نسخة (ه)

الله عليه بنوره المضيء ، والقمر مثـــل الحجة لانه يستمد نوره من الشمس ، وكذلك علم الحجة مستمد من علم الامام ، ومثل الناطق من البدن مثل [1] القلب الذي هو امير الجوارح ، ومثـــل الحجة الدماغ الذي هو موضع العقل ، وكل واحد منهما واحد في البدن ، وكذلك الناطق واحد في العالم ، ومثل الناطق ايضاً اللسان لان من قبله يكون البيان ، ومثل الحجة العينان اللتان بهما يكون النظر ، كالاذنين اللتين بهما يكون السمع ، وكاليدين اللتين بهما يكون البطش والعمل ، ومثلهما من الأرض المغرب والمشرق ، فالمشرق مثل الناطق لان من قبله يأتي النور ،والمغرب مثل الحجة القابل لذلك النور واليه ينتهي ، والسموات السبع مثل للسبعة النطقاء ، والارضين السبع مثل للحجج السبع ، وأمثالهم ايضاً السبعة نجوم المدبرات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال : « فالمدبراتِ أمْرا » ومثلهم في الأرض الاقاليم السبعة ، ومثلهم في الانسان هو ان الانسان خلق من سبعة أشياء كما قال سبحانه وتعالى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلخَالِقِينَ »

واجزاء الانسان سبعة هي : شعر وجلد ولحم ودم وعظم وعروق ومخ ، وطوله سبعة اشبار بشبره ، وعرضه كذلك ، وهو ما بين طرفي يديه اذا فتحهما ، ويسجد على سبعة اعضـــاء وجهه ويديه وركبتيه

---

(١) سقطت (مثل) نسخة (ه)

ورجليه ، وفي جبهته سبعة منافذ عينان واذنان ومنخران وفم ، وهذه بعض الشواهد لآيات الله وحدوده وامثالها وبواطنها في العالمين الاكبر والاصغر ، ولها من الشواهد ما يطول ذكره وقد ذكرناها في ذكر الاعداد ، وبأشبع من هذا واكثر ، وان كنا اختصرنا ذلك ايضاً ، وهي الحدود التي امر الله عز وجل حفظها ، ووسم المؤمنين بالايمان ، لقيامهم بها وحفظها ، وأوجب لهم الجنة بذلك فقال سبحانه وتعالى :

« إنَّ ٱللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُم بِأنَّ لَهُمُ ٱلجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وعْداً عَلَيهِ حَقاً فِي ٱلتَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ وَٱلقُرآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ ٱلعَظِيمُ »

ثم وصف المؤمنين الذين اوجب لهم ذلك بصفاتهم فقال :

« أَلتَائِبُونَ ٱلعَابِدُونَ ٱلحَامِدُونَ ٱلسَائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ ٱلمُنْكَرِ وَٱلحَافِظُونَ لِحُدودِ اللهِ وَبَشِّرِ ٱلمُؤْمِنِين »

وهذه بعض الدلائل على السبعة التي ذكرناها .

فاما الاثنى عشر اللواحق فانهم اسباب لكل ناطق في كل زمان اربعة منهم اعلاهم وأقربهم ، ولكل واحد منهم اثنان كاليمين والشمال، ولذلك كانوا اثنى عشر ، ومثل الأربعة منهم مثل طير ابراهيم في قصته كما قال سبحانه وتعالى :

« قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ »

وهم من الاثنى عشر حـــداً ، وكالشهور الاربعة الحرم [1] لقوله عز وجل :

« إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ »

وامثالهم من الشهادة حروفها فهي اثنى عشر حرفـاً [ل ا ا ه ا ل [2] ا ا ل ل ه] وامثالهم في السموات البروج الاثنى عشر ، وامثـــالهم من الارض الجزائر الاثنى عشر لكل واحـــد منهم جزيرة ، وامثالهم من الروحانيين الاثنى عشر الملائكة الرسل اولي الاجنحة لانهم برسالة صاحب الامر يتوجهون ، واجنحتهم الدعاة ، لأن كل واحد منهم يبعث الى احدى الجزائر حداً له لقوله عز وجل :

« ٱلْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحِ ٱللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . »

---

(١) الحرم بالاعتقادات الاسماعيلية هم المجلس الوزاري الاستشاري لكل امام وعددهم اربعة : واحد من الاربعة للرئاسة ويسمى «الباب» ويطلق عليهم تعبير آخر هو « الابدال » اي الذين بدلوا خلقاً بعد خلق وصفوا تصفية بعد تصفية على حد تعبير (اخوان الصفا) .

(٢) الحروف الاثنى عشر هذه تشكل مجتمعة (لا إله إلا الله)، ويقابلها اسماء الجزر الاثنى عشر الذين يشكلون الكرة الارضية او اسماء الدعاة الاثنى عشر الذين يسمون (دعاة الجزر) المكلفون بالدعاية والتنظيم للدعوة .

فهم اي الحدود الاثنى عشر في العالم السفلي نظير الملائكة في العالم العلوي لقوله تعالى :

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ »

فالسبعة ، والاثنى عشر بمجموعهم تسعة عشر ، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله « عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرْ » وقد جمعتهم الشهادة ، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم ، وعمل بما اخذه عنهم ، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة ، ومن عجز عن شيء من ذلك ، او قصر فيه وشهد الشهادة بلسانه ، فهو مسلم غير مقبول الشهادة ، وحسابه على الله ، فلأجل هذا جاء في كتاب « دعائم الاسلام » من قول الصادق صلوات الله عليه : « ان الايمان يشرك الاسلام، والاسلام لا يشرك الايمان، والانسان يكون مسلماً غير مؤمن ، ولا يكون مؤمناً الا بعد ان يكون مسلماً ». وهذه هي الشهادة قد بينا حدودها على الأصول ، وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع ، وهي « محمد رسول الله (ﷺ) » ، وهي ثلاث كلمات مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين ، وهم : أسرافيل وميكائيل وجبريل ، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الارضيين بمد الناطق والاساس ، وهم : الامام والحجة [1] واللاحق وهي ايضاً ستة فصول مثل النطقاء الستة أولي العزم وقد ذكرناهم ، وهي كذلك اثنى عشر حرفاً مثل اللواحق الاثنى عشر ، وقد مضى ذكرهم ، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العليا ، وهي الاصول والشهادة للرسول (ﷺ) هي الدرجة الدنيا ، وهي الفروع .

وقد دخلت اي الحدود العليا والدنيا في حروف الشهادة ، فظاهر

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت « اللاحق »

الشهادة قول باللسان ، وباطنها قول وعلم واعتقادهـا عمل ، فظاهرها الاسلام ، وباطنها الايمان ، وفي ذلك قال الصادق صلوات الله عليه فيما اثبتناه عنه في كتاب «دعائم الاسلام» لما سئل عن الايمان، أقول ام عمل؟ قال « الايمان عمل كله والقول بعض ذلك» . فاخلصوا معشر المؤمنين الشهادة التي دعيتم اليها ، واخلصوا لها ، وقد شرحنا لكم الاخلاص منها ، وقد نهاكم الله عز وجل ان تأبوا ذلك بقوله : « وَلَا يَأْبَى الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا » فاخلصوا لها بالقول والعمل والوفاء بعهده لكم في قوله عز وجل « أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » فقد وعدكم الله سبحانه بلسان رسوله بالجنة ان اخلصتم الشهادة ، وقـد عرفتم ذلك فاعتقدوا ، ولا تشكوا ، ولا ترتابوا ، واعملوا بذلك ، ولا تضيعوا ، ولا تهـاونوا ، ولا تسوفوا ، فتنالوا ما وعدكم الله من الجنة ظاهراً وباطناً ، فقد قـال عز وجل : « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » فتنالوا في العاجـل من العلم الحكمة ما تسرحون في رياضها ، وتنالون به من ثمارها وأزواجها وتصيرون الى جنة الخلد في دار البقاء في الآجل ، فتفوزوا فيهـا بثواب الله الذي وعدكم وتأمنوا عذابه الذي به توّعدكم ان خالفتم ما امركم به ، وارتكبتم ما نهاكم عنه ، واعرضتم عمـا ندبكم اليه ودعاكم الى الاخلاص بالشهادة التي جمع فيها جميع ما تعبدتم به .

وقد ذكرنا في هذا الفصل ، وهو فصل الايمان ما فيه الكفاية من شرح الشهادة، وما دلت عليه من الحدود . وسنذكر في ابواب الكتاب كلها مثل ذلك عند ذكر الفرائض لتعلموا ان هذه الشهادة ، قد حوت وأحاطت بجميع ما تعبدتم الله به ، ولذلك كانت دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) اليها ، وانه اخذ عليكم العهد ان تشهدوها بعده باخلاص ، وقـد كنتم شهدتموها لفظاً ، وان تشهدوها شهادة اعتقاد بقلوبكم ، وعملاً بجوارحكم ،

علماً [1] بتعيينكم محيطين بحدودها التي حددت لـكم ، وشواهدها التي دلت على السبيل القويم الذي به نجاتكم ، اعانكم الله على ذلك ، ووفقكم اليه، وصلى الله على محمد النبي ، وعلى ابرار عترته الائمة الصادقين من ذرتيه المتعاقبين الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (واعلامكم)

الفصل الأول [1]

(وفيه تأويل قصص الانبياء والائمة وآدم وادريس عليهما السلام)

قصة آدم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الأمين [2] وعلى الائمة من ذريته الطاهرين .

وبعد :

كنا ذكرنا قبل هذا تأويل الايمان والاسلام ، وهو ابتداء ابواب « دعائم الاسلام » الذي شرطنا بسط تأويل ما فيه في هذا الكتاب ، ويتلوه باب الولاية للرسل ، ولأولي [3] الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته ، فقال عز وجل :

« أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمرِ مِنكُمْ »

فجمعنا تأويل القول فيهم ، اذ ان الله سبحانه وتعالى قد جمعهم في

---

(١) في نسخة (ﻫ) جاءت (الجزء) وفي نسخة (س) جاءت (الفصل) وهي الاصوب .

(٢) سقطت «الامين» من نسخة (ﻫ)

(٣) في نسخة (س) جاءت (والى أولي)

واجب الطاعة ، وإن تفاضلت درجاتهم ومراتبهم ، وكان النطقاء اعلاهم درجة وهم : آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، وسابعهم قائم الزمان ، ثم يليهم في الفضل الاسس الذين اقامهم من اقامهم منهم في حياته لتأدية الباطن ، والاساس يقوم بعد الناطق ويخلفه من بعده فيكون اماماً ، ويقيم حجة لنفسه ليقوم مقامه ، كذلك حتى يدور دور ذلك الناطق ، ويأتي بعده ناطق آخر بشريعة اخرى ، ويجري كذلك كما جرى اولاً لانه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته طرفة عين ، وقد سئل الصادق عليه السلام متى يكون الثاني في حد الماضي ؟ قال : « في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي » فكان ذلك لئلا يجتمع الفضل الكامل في اثنين ، ولا يكون الا في واحد بعد واحد ، دليلا على وحدة الباري لقوله جل ذكره :

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

فصاحب العصر سواء [1] اكان نبياً او رسولاً او اماماً يدعى ناطقاً ، لانه ينطق بالظاهر ويقوم به ، وحجته يدعى صامتاً لانه صامت عن الظاهر قائم بالباطن ، وهو سبب اللواحق الاثنى عشر الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه بقوله تعالى :

« وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ إِثْنَى عَشَرَ نَقِيباً »

وقد ذكرنا فيما تقدم شواهدهم من الشهادة وغيرها من العالمين العالم الاكبر ، والعالم الاصغر ، وهم امثالهم ، ولذلك قلنا انها اكثر من ان نأتي على ذكرها ، فالامام والحجة يتعاقبان تعاقب الليل والنهار ، وهما ايضاً من امثالها ، فمثل النهار الامام وقيامه بالظاهر ، ومثل الليل الحجة وستره للباطن وكتمانه ، وفي ذلك قال الله تعالى :

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فصاحب العصر من كان)

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ »

وقد ذكرنا ان آيات الله في الباطن حججه على خلقه ، وهم الائمة الذين افترض عليهم طاعتهم وأوجب عليهم ان يأتموا بهم .

واسم الامام يقع على الناطق ، واسم الناطق يقع على الامام ، قال الله تعالى :

« وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ »

وسمي الامام ناطقاً لانه ينطق بما كان الرسول الناطق ينطق بـــه يدوره من ظاهر الشريعة التي بُعث بها ، وسمي اماماً لان العباد تقتدي به كما سمي المصلي بالجماعة إماماً لهم لاقتدائهم به . ولأنه يتقدمهم ، فهو امامهم اي بين ايديهم ، وهم خلفه متبعين له ، وكذلـــك سمي رئيس الضلالة اماماً لمن اتبعه ، قال الله عز وجل :

« وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ »

ولم يطلق اسم النبوة الا لمن اتصلت به المادة العلوية من غير توسط حد سفلي بينه وبينهـا ، فحد الأمامة دون حد النبوة ، وان كانت طاعتهم في الوجوب متساوية ، كما انها كذلك مقرونة بطاعة الله ،ولذلك وجب ان نبتديء اولاً بذكر اصل الامامـة في الحد السفلي ، وهو آدم عليه السلام ، ثم ننسق عليه ما يليه ويتلوه شيئاً فشيئاً بقدر ما يتحمله هذا الحد من القول في ذلك فنقول وبالله نستعين :

قال الله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا

أَتَجعَلُ مَنْ يُفسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ »

وقوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ »

وان اول ما ينبغي ذكره في هذا القول من مخزون علم اولياء الله ، ان القول والكلام المضاف الى الله ، انما قصد به ما يقع بافهام السامعين وليس ذلك كما تشاهدون وتسمعون من قول القائلين وكلام المتكلمين من الأصوات التي تكون عن الاجرام والاجواف وتخرج من مخارجها ، وتقطعها اللهوات والألسن والشفاه ، ويكوّن عنها ، وكالاصوات التي تحدث عن الاحتكاكات بين الاجرام المخلوقة ، تعالى الله عن اضافة ذلك اليه ، وتشبيه بشيء من خلقه علواً كبيراً ، وقد يساغ في اللغة القول والكلام من غير متكلم بالصوت واللفظ المعلوم ، وذلك ان العرب تقول مال (١) الحائط فوقع ، وهم (٢) الرجل فركب، ووعظت الدنيا اهلها ، وخاطبتهم بمواعظها ، وعاتب الزمان فلاناً ، ومن اشباه ذلك في اقوالهم، فخاطبهم الله بما يعرفون من ذلك ، وقد يرى الانسان في منامه ما لم يره في نظره ويسمع الكلام من غير متكلم ، والصوت من غير مصوت ، وفي قدرة الله تعالى ما يتأدى عنها (اي عن القدرة) امره الى المأمور به كما يشاء لا شريك له ، وقد قال جل من قائل :

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (قال)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (قال) ايضاً .

« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

فقوله : كن فيكون كما يقول ذلك المخلوقون ، و (كن) حرفان مما يقوم به الكلام ، احدهما متحرك وهو الاول ، والثاني ساكن وذلك مثل على الاصلين ، والأمثال كثيرة والذي في سر الله عند اوليائه الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى ، انه قال لهم : ما قال من امر آدم لم يكونوا جميع الملائكة ولكن الله تعالى لما اراد خلق آدم الخلق الثاني الذي هو خلق العلم كما قال سبحانه وتعالى : « ثم أنشأناهُ خلقاً آخراً » وقال:

« وَيَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ »

وان ينصبه اماماً ، ندب من الملائكة اثنى عشر ملكاً ليقيمه لهم[1] نقيباً ، ويأخذون منه ، ويبلغون عنه ، اهل الارض ، فلما عرفهم انه يخلقه من طين ، والطين في الباطن هو العلم الظاهر الكثيف الجسداني ، وكان سبحانه قد خلق الملائكة في خلق العلم اللطيف الروحاني الباطن ، وكان فيما سبق اليهم من العلم ان العلم اللطيف لا يتصل بالمادة، والكثيف لا يكون الا بالتعليم ، وان العلم الروحاني اللطيف لا يرتبط بالاعمال ، وانما هو علم بلا عمل ولا تكليف كما يكون علم الظاهر لقول امير المؤمنين ﷺ وقد ذكر القرآن فقال :

« ظَاهِرُهُ عِلْمٌ مَوْجُوبٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ مَحْجُوبٌ »

ولذلك فان[2] الملائكة لم تمتحن بالاعمال ، وكان فيما سبق لهم من العلم ان المكلف لا بد ان يذل ويقصر ، قالوا :

« أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

---

(١) في نسخة (ه) وردت ليقيمهم لهم (٢) سقطت (فأن) من نسخة (ه)

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ؟ »

عنى عز وجل انه يحل بآدم من التأييد ما احله بهم ، ويتلافاه ان قصَّر او اخطأ فيستنفذ من الهلكة ، وكان منهم ابليس فرأى في نفسه انه افضل من آدم وانه احق بالمنزلة منه ، وأنف ان يكون تبعاً له وسبباً من اسبابه وآخذاً عنه ، واستكبر عن امر ربه سبحانه ، واراد الله ان يُري الملائكة عجزها ، فخلق آدم كما قال جل ذكره من طين اي ابتدأه بالعلم الظاهر ، كما يبتديء كذلك في السنة التي سنها جل ذكره لعباده ، واقام على ذلك مدة طويلة لا يعرف غير ما علمه .

وذلك الذي جاء في الحديث ان الله لما خلق صورة من طين بقيت جثة ملقاة زمناً طويلا قبل ان ينفخ فيه الروح يعني العلم الباطن الروحاني ، وان ابليس كان يأتيه ويفاتحه بالعلم ، ويجاريه فلم يجد عنده الا الظاهر فيفرح بذلك ويخبر انه اجوف ، اي خالٍ من الباطن ، ولا باطن عنده ، وذلك كان قبل ان يؤمر بطاعته هو والملائكة الذين اقيموا لذلك لانه عز وجل انما قال لهم :

« فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ »

اي اذعنوا له بالطاعة ، اذا امددته بالعلم الروحاني ، فكان ابليس من بينهم يتعهده لما اضمره له من العداوة ، ووقع في نفسه من حسده والاستكبار عليه ، ورأى في نفسه انه افضل منه ، فيسرُّ بما يرى من تخلفه عن العلم الباطني حسراً منه وتكبراً ، ولما اراد الله اكراه امده بذلك العلم وعلمه اياه كما قال سبحانه : « وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » يعني اسماء كل شيء يحتاج الى علمه البشر ، لان كل ذلك ذو اسم ، فلما

علمه ذلك نصبه للملائكة الذين احلهم للاتصال به ، وابتدأهم بالسوآل مما علمه ، فلم يكن عندهم من ذلك ما يجيبون به ، عندئذ قالوا ما حكاه الله عنهم .

« سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ : يَا آدَمَ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

قال الصادق عليه السلام : « حججت مع والدي يوماً فطاف بالبيت ليلة من الليالى وطفت معه ، ثم مال الى الحجر فصلى وصليت معه حتى كللت فجلست ، وهو قائم يصلي اذ اقبل رجل فجلس الى جانبه ، وهو يصلي فنظرت الى رجل تام الخلقة جليل العظام ، اصهب اللون والشعر ، عليه ثوبان غليظان ابيضان ، فلما رآه ابي وقد جلس الى جانبه اوجز في صلاته ، ثم سلم واقبل عليه ، وقال له : هل لك من حاجة ؟ قال : اتيتك اسألك عن بدء خلق هذا البيت ؟ قال له ابي : نعم ان الله تعالى لما خلق آدم وذكر قصتـــه ، وما كان من امر الملائكة ، وما قالوه له وقال لهم :

« إِنِّي أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

قال فاما ما ابدوه فهو قولهم :

« أَتَجْعَلُ مِنْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ »

واما ما كتموه فانهم قالوا في انفسهم : ما ظننا ان الله يخلق خلقاً

افضل منا ، فيأمرنا [١] بالسجود له ، فلما قال ذلك لهم علموا انهم قد وقعوا في المعصية فلاذوا بالعرش ، وطافوا به اسبوعاً يسترضون ربهم ، فرضيَ عنهم ، وقال لهم اهبِطوا إلى الأرضِ فابنوا فيها بيتاً يلوذ به من اذنب من ولد آدم ، ويطوفوا حوله كما لزتم بالعرش وطفتم فأرضى عنهم كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت ثم رفعه الله عند الطوفان فهو من السماء الرابعة يحجه الملائكة الى يوم القيامة .

وبنى ابراهيم الخليل هذا البيت على أساسه ، وذكر باقي الحديث وهو حديث طويل اختصرنا منه موضع الحاجة ، ثم امر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم اي امرهم بطاعته ، والاتصال به والقبول عنه ، كما قال الله جل من قائل :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلعَذَابُ »

فسجدوا [١] كما قال لهم تعالى :

« إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ »

وانما سمي ابليس بعد هذا اي لمّا ابلس قال اصحاب اللغة ان ابليس على وزن افعيل من ابلس ، ويقال ابلس الرجل اذا ايس ، وكذلك ابليس لما آيس من الحد الذي كان فيه ابلس ، ويقال ايضاً ابلس الرجل

---

(١) في نسخة (س) جاءت (فتأمرنا)

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فجدوا)

اذا انقطع ولم يكن له حجة ، ويقال ابلس اذا حزن ، وبلّس اذا خشع ، وكل هذه الأحوال اجتمعت في ابليس ، قال الله وهو اصدق القائلين :

« وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمِينَ »

وقال عز وجل :

« مَا مَنَعَكَ أَنْ لا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قال : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ »

يعني انشأتني في العلم بالنشأة الروحانية ، والعلم التأييدي البارق ، الذي لا قوام لجسداني معه ، وانشأته بعلم كثيف غليظ منطقي طبيعي جسداني ، فكيف اسجد لمن انا خير منه ؟ فأبدى ما كان اسره ، وجاهر بمعصيته ، فغضب الله عليه ، ولعنه اي طرده ، بقوله عز وجل :

« قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ »

فأخرجه من حدود التأييد ، وقطعها عنه ، وطرده عنها واللعن في اللغة هو الطرد .

وخلق الله عز وجل حواء من آدم وذلك لقوله تعالى « وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا » وكذلك خلق التأييد ، لا الخلق الجسداني ، اي امر الله تعالى ادم فتولى تأييدها وتعليمها وتبصيرها وقرنها به ، وجعلها زوجته وهي حجته عوضه الله سبحانه بها بدلاً من ابليس لا كما زعمت العامة ، ان الله تعالى القى على آدم النوم فنام ، ثم سل [1] احد اضلاعه

(١) في نسخة (هـ) جاءت (سئل)

فخلق منها حواء ، وانمـــا سمعوا من التأويل طرفاً لم يعوه ولا عرفوه ، سمعوا ان الله ابدل لآدم ضلعاً من اضلاعه ، وجعل من ذلك الضلع حواء .

وليس الامر كذلك ، ولكن الله تعالى عوّض على آدم حواء بدلاً من ابليس الذي كان مؤهلا ليكون حجة لآدم كما قلنــا ، وجعله من الاثنى عشر النقباء ، لان امثالهم في الخلق الظاهر من الانسان اضلاع الجسد ، ولأن الانسان له اثنى عشر ضلعاً من كل جــانب ، ومثل الجانب الأيمن مثل العلم الباطن ، ومثل الجانب الأيسر العلم الظاهر ، والنقبــاء بعلم الباطن اثنى عشر وكذلك مثلهم لعلم الظاهر . ثم اسكن الله سبحانه وتعالى آدم وزوجته الجنة ، وهي في الباطن حدود الرسل من التأييد ، فمن دونهم الى النقباء . وليس قولنا في هذا وغيره من الباطن نفياً منا للظاهر كلا اذ أنه مزدوجاً ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ إِثْنَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونْ »

والجنة من اعظم الأشياء التي خلقها الله سبحانه ، وقد جعلهــا عز وجل بشرى للمؤمنين فقال تعالى :

« وَتَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »

وقال تعالى :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانْ »

ثم قال :

« وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً »

فجعل سبحانه الجنة بشرى للمؤمنين وقال سبحانه في موضع آخر :

« لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ »

فأخبر سبحانه ان لهم الجنة في الدنيا والآخرة ، وقوله :

« كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ »

يؤيد ذلك .

فلا يتوهم السامع انا اذا ذكرنا باطن الجنة نفينا ان يكون ثمة جنة خلد ودار نعيم ، واذا ذكرنا باطن النار نفينا بذلك ان يكون ثمة نار ودار عذاب ، او متى ذكرنا تأويل شيء من الباطن ابطلنا من اجله الظاهر نعوذ بالله من ذلك لانه لن يقوم ظاهر الا بباطن ، كما اننا لا نشاهد في هذه الدنيا روحاً تقوم في البشريين الا في جسد ، ولا باطن الا وله ظاهر ، ولولا الظاهر يقع عليه اسم الباطن فافهموا هذا معشر المؤمنين فهماً تاماً متقناً ، واشعروا قلوبكم فان اكثر من هلك من اهل هذا العلم انما هلك من هذا الوجه ، ومن اجله وقع آدم في الخطيئة . وسنذكر ذلك في حينه ، فآمنوا بظاهر ما انزل الله وباطنه واعتقدوا واعملوا به . وقد قال الله تعالى :

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)

وقال :

(وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)

فظاهر الحلال حلال ، وباطنه حلال ، وظاهر الحرام حرام ، وباطنه حرام ،ولكل شيء كما ذكرنا ظاهر وباطن ، فهذا هو الظاهر والباطن ، فاما الامثال التي ضربها الله سبحانه لعباده بقوله :

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وقال :

(إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأمّا الذين آمنوا فيعلمون إنّه الحقّ من ربهم وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)

وقوله تعالى :

(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل)

فليس من سبيل الظاهر والباطن ان يكون المثل والممثول مفروضين ثابتين ، بل انما يكون الثابت والمفروض الممثول كالمثل نظير قوله سبحانه :

(إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

والصراط في اللغة الطريق ، فمثل الامام ههنا بالطريق لان من لزم الطريق لن [١] يضل ، وكذلك من لزم الأمام لن [٢] يضل . والمراد

(١) في نسخة (س) جاءت (لم) (٢) في نسخة (س) جاءت (لم)

بالطريق ههنا الامام لا الطريق المسلوك في الارض .

ولنرجع الى ذكر آدم عليه السلام والى باطن الجنة الذي هو التأييد بالعلم الحقيقي الروحاني الصافي اللطيف ، لان النعيم فيه يفوق كل نعيم ، والتلذذ به يفوق كل تلذذ ، ومن اجل ذلـــك يزهد من عقل في كل العلاقات الدنيوية بأسرها ، وتصفر في عينه ويقل كل ما فيها في نظره ويهون عنده بارتباطه بذلك العلم واتحاده به فيجده انه هو النعيم الكامل والعز الذي لا ذل بعده ، ومن ذلك حديث امير المؤمنين علي صلوات الله عليه لكميل بن زياد الذي قال فيه : « العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، المال ينفذ مع النفقة ، والعلم يزكو مع الانفاق ، مات خزان الاموال ، والعلمـــاء باقون ما بقيَ الدهر ، اشخاصهم مفقودة ، وآثارهم في العالم موجودة » وكان حديث طويل ذكرنا منه بعض الحاجة وقال سبحانه وتعالى :

« يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ »

وحذره من ابليس بقوله سبحانه :

إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى »

وعهد بذلك اليه بقوله عز وجل :

« وَعَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا »

فأباح سبحانه لهما حدود الرسل على شرائطها وواجباتها التي اوجبها فيها من تحليل ما احله وتحريم ما حرمه، والمنع مما منع منه وحذّره، وجعل الشجرة التي نهاه ان يقربها ومنعه منها وحرمها عليه مثلا لحـد قائم الزمان الذي هو صاحب القيامــة ، والذي يكون التكليف في حده

مرفوعاً ، ان لم تكن عملت به من قبل ، كما قال عز وجل :

« لا يَنفَعُ نَفسٌ إيمَانُهَا إنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ وَكَسِبَتْ فِي إيمَانِهَا خَيْراً ، وَلا يُقْبَلُ مِنهَا فِدْيَةٌ ، وَلا يُؤْخَذُ مِنهَا عَدْلاً ، وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ » .

ويتجرد حينئذ الباطن ، ويسقط الظاهر ، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك ، لانه في حدودهم مدفوع الى حججهم ، مستور عندهم ، محمول من واحد الى واحد ، وهو معجزة لهم ، وعلم يستضاء به حتى يصل الى صاحبه اي صاحب القيامة ، فيظهره ويجرده ، وذلك محظور ممنوع قبله ، فمنع الله عز وجل آدم في ابتداء الامر من ذلك لتجري سنة الله التي لا تبديل لها عليه ، وسأل [1] ابليس انظاره الى يوم الوقت المعلوم ، وعنى [2] باليوم صاحب القيامة وقال :

« لِئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ ٱلقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلّا قَلِيلًا ، قَالَ إذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (يعني بذكرك) وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ، (يعني من اتبعك منهم على باطلك فاستعن بهم على امرك) وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلَادِ »

يعني بالاموال العلوم اذا [3] ادخل عليهم منها من شكك وباطلك ،

---

(١) في نسخة (ه) جاءت و (سئل)
(٢) في نسخة (ه) جاءت و (بقى)
(٣) في نسخة (س) جاءت (ان)

وعنى بالاولاد من يولد بالايمان ، لان مثل اهل الدعوة بالباطن مثل اولاده ، قال الله تعالى « مِلةُ أبيكمْ ابرَاهيمَ هُوَ الذي سَماكُمُ المؤمنينَ » فالناطق للمؤمنين بمنزلة الاب، والحجة بمنزلة الام ، لانها تحملهم وترضعهم بالعلم وتربيهم .

ولذلك قال رسول الله (صلعم) : « انا وانت يا علي ابوا هذه الامة» فأراد سبحانه بقوله وشاركهم في ابنائهم المؤمنين بباطلك منهم الذين صاروا بحق ابناءً لهم ، فمن غلبت عليه بباطلك منهم فقد انتزعته من ولادتهم، التي هي ولادة الايمان ، الى ولادتك التي هي ولادة الكفر ، فشاركهم فيه وعدهم بغرورك وباطلك ، فجعل الله ذلك محنة لهم ، ثم اخبر سبحانه عن عباده المخلصين له انه لا يظفر بهم ويردهم بالكلية اليه ، ويكونوا من حزبه وابنائه فقال تعالى :

« إنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سلْطَانْ »

وجعل لنفسه منهم حزباً وقال يصف حزب الشيطان :

« أَلَمْ تَرَ إلى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوا قوْمَاً غَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ (يعني ائمة الضلال) مَا هُمْ مِنكُمْ ، وَلا أَنتُمْ مِنهُمْ ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أَعَدَّ اللهُ لهُمْ عَذاباً شَدِيداً إنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إتَّخذُوا إيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ أولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالدونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَكُمُ وَيَحْسِبُونَ إنَّهُمْ عَلَى شَيءٍ أَلا إنَّهُمْ هُمُ ٱلكَاذِبُون ، ٱسْتَحوَذَ عَلَيْهِمْ ٱلشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمَ ذِكْرَ رَبِّهِمْ أولَئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ أَلا إنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلخَاسِرُونْ »

ثم وصف حزبه فقال تعالى :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (يعني ائمة الجور واتباعهم) وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

فبيّن الله عز وجل ان حزبه هم المنقطعون اليه الذين تولوا اولياءه ، وان حزب الشيطان هم الذين استحوذ عليهم فاقتطعهم لنفسه ، وشارك اولياءه فيهم ، فتولوا اعداءه واعداءهم ، وتبرأوا من ولايته وولايتهم ، وتولوا الشيطان واولياءه ، فاما من استذله الشيطان ، وندم على ذلته ، واستقال من عثرته ، وتاب الى ربه ، فليس من الشيطان ولا من حزبه .

قال الله تعالى :

« وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا وَيَظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ تَوَّابًا غَفُورًا »

وقال الصادق عليه السلام : « لا تجدوا ولياً تذل قدماه جميعاً ، ولكن متى زلت له رجل اعتمد على الاخرى » فاستذل ابليس اللعين آدم وحواء عليهما السلام بقوله لهما « ما حكاه الله عز وجل عنه في كتابه :

« مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ

« أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ وقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ »

زيّن لهما حد الاباحة فيما حذرهما الله عز وجل منه ، وقال لهما ان حد العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب ولو تركتماه لصرتما في حد الملائكة الروحانيين اللطيف وتجردتما من العالم الجسماني الكثيف ، ولكنتما ملكين خالدين فيما تشتهيان ، وذلك قوله تعالى :

« فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا »

اي فجاوز [1] حدود النطقاء التي ابيحت لهما الى حد صاحب القيامة الذي خطره الله عز وجل عليهما ، ومدا ايديهما الى ما ليس لهما فتناولا منه واكلا من الشجرة فوقعا في الخطيئة والمعصية ، فانقطع التأييد عنهما ، وهو لباس التقوى الذي ذكره الله في كتابه فقال :

« وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ »

وعريا منه ، وبدت لهما سوأتهما يعني انه ظهر لهما ما كان مستهجناً [2] فيهما من كثافة الصورة الطبيعية ، لما عريا من لباس التقوى ، اي الكلمة التي وارت عنهما بنورها كل ظلمة كانت فيهما مركبة ، لان التأييد لا يصحب المعاصي ، ومد اليد الى ما ليس لها يوجب في الحكم قطعها .

فلما انقطع التأييد عنهما طفقا كما قال الله عز وجل :

« يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ »

يعني انهما جعلا يتعلقان من نور الحكمة بالتذكار ، ليسترا به عورة ما

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (فتجاوزوا)

(٢) في نسخة (ه) جاءت (مستجاناً)

بدا منهما ، وما انكشف من حالهما بزوال التأييد ، ومن قبل الجهـل بالحدود ، وقد هلك كثير ممن تعلق بهذا الامر ، وصار الى الاباحة « وَنَادَاهما ربُّهما » كما قال عز وجل :

« أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ »

فلم يُصدا على الذنب ، كما صدّ ابليس عليه بل تابا الى الله تعالى منه ، وأتابا اليه ، وسألاه رحمته ومغفرته .

« فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

يعني انه تقرّب اليه وتلقاه بتوبته من جهة الحدود العلوية ، فتاب عليه كما قال عز وجل ، ولم يكن لابليس عليه سلطان يجره به اليه ، ويستحوذ به عليـه ، حتى يصير من حزبه ، بل كان من حزب الله عز وجل بتوبته اليه ومغفرته له وتلقى كلماته ، وكذلك من عمل سوءاً من ذريته فتاب منه ، واتاه من قبل اولياءه ، غفر له وكان من حزبه ومن اصرّ وتمادى في ذنبه ، ولم يثب اليه،ولم يأته من قبل اوليائه ، كان من حزب ابليس وجنوده ، قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوا فَاسْتَغْفَرُوا ٱللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللهَ تَوَّاباً رَحِيماً »

فلا تقبل توبـة التائبين الا بتلقي كلماته ، ولا يغفر لهم الا بعد

استغفارهم واستغفار الكلمات لهم ، فهذا بيان مثل الشجرة التي نهى الله عز وجل عنها آدم عليه السلام ، وما كان من تناوله منها ، وانكشاف عورته ، وبدأ سوءته ، وهو تأويل باطن ، وذلك في الحد المبسوط في هذا الكتاب ، وليس كما تأولته العامة ، واخذته على ظاهره ، من ان الشجرة كانت شجرة الحنطة ، وقال آخرون انها شجرة التين ، وقال آخرون انها شجرة العنب ، وان لباسهما كان من ظفرٍ ، فانحسر عنهما، ولحقتهما التوبة ، وقد بقي ما بقي منه في أطراف اصابعهما وبقي ذلك في أولادهما . وان اكثر الحيوان له اظافر وما شابها ، كحوافر الدواب ، واظلاف البقر والغنم ومخالب السباع والطير ، وليسوا من ولد آدم ولا نالهم ما ناله ، فيكون قد بقي ذلك باطرافهم ولكنها حكمة في تركيبهم الذي ألفه الباري ، وقدّره جل ذكره ، ولو كان اللباس من ظفر لكان مثله في التأويل ما لا تقبله العقول ، ولا يصح في التحصيل، وكذلك ما زعموه من ان آدم وحواء انكشفت سوأتهما فخاطا لهما مئزراً من ورق التين ، فذلك ايضاً ما لا يثبت إذ انه لم يحصل .

والله جل ذكره وعلا أجل من ان يفعل ذلك بنبي قد اصطفاه واكرمه ، ولو ان احد المتأولين ، لذلك نظر الى انسان نقم على عبدٍ له فنزع عنه ثيابه ، وتركه عرياناً ، بادىء الصورة لسفّه بذلك العمل ، وهم ينسبون الى معبودهم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ومن قولهم واكثرهم أخذوا هذا التأويل عمن اسلم من اسلافهم من اليهود ، مثل « كعب الاحبار ، وعبدالله بن سلام » وغيرهما لانهم يزعمون انه كذلك موجود عندهم في التوراة ، وان آدم وحواء بقيا عريانين في الجنة ، وقد احسا بحس الله يمشي بين اشجارها ، فاختفيا منه بين اشجارها ، فناداهما أين انتما ? فقالا : أحسسنا بك تمشي بين أشجار الجنة ونحن عريانين ،

فاستحيينا منك واختفينا ، قال لهما لقد أكلتما من الشجرة ؟ قال آدم : المرأة اطعمتني ، وقالت المرأة : الحية امرتني ، وقالت الحية : ابليس دخل في جوفي [1] . تعالى الله عن هذا التأويل ، ان تحويه الاقطار أو تراه الابصار ، وفي التوارة والانجيل مثلما في القرآن من الامثال والاشارات والرموز ، والظاهر المحتاج الى التأويل الذي هو العلم المخزون قال الله جل من قائل :

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ [2] وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »

فمن هذا يعلم انهم لا يقيمون ذلك الا بالتأويل ، ولذلك قيل في التأويل ان التوراة مثل للظاهر ، والانجيل مثل للباطن ، فأمر الله عز وجل باقامتها جميعاً على نحو ما قدمنا ذكره ، بما انزل الله عز وجل من العلم الذي أودعه آدم ونقله في النطقاء والاسس والائمة ولواحقهم من ذريتهم عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين .

وأما ما تقدم من قوله عز وجل : « وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا » فنداؤه اياهما عز وجل هو اتصال منه اليهما لا على ان ذلك كان نداء كالنداء الذي يسمع من المصوتين ، وكذلك ما نذكره في قوله وكلامه تبارك اسمه ، وقد قدمنا في ذلك شرحاً طويلاً قبل هذا . وانما العباد خوطبوا بذلك ومثله ما يتنافى عن الله عز وجل ولا يليق به ، ولكن المتعارف عليه بين العباد ان الصوت لا يكون الا من مصوت ، وعن جوف ولهاة ، والكلام لا يكون كذلك الا بالشفاه والالسنة ، وكذلك ما يكون من

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت في (اجوفي)

(٢) في نسخة (هـ) وردت هكذا (التورات)

اصطكاك الاجرام ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولما تاب الله عز وجل على آدم لم يحطه من مرتبة الخلافة والامامة التي أقامه لها ، ولا اخلاه من مادته وكلمته وحكمته بالكلية ، لكنه أهبطه وحواء معه من حدود التأويل بدون حجاب ، فقال :

« اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ »

وقال :

« فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ »

وقال :

« يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ، وَرِيشاً وَلِبَاساً مِنَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ »

فأهبط الله آدم من حد التأويل بلا حجاب ، ولم يخله من المادة فصار ما كان يتصل به من المادة يتنزل عليه من الحدود الرومانية العلوية ، ويتصل عنه بالحدود السفلية ، ذلك عن آيات الله كما ذكره ، وجرى ذلك كذلك في النطقاء من ولده .

قال رسول الله (ﷺ) انني آخذ الوحي عن جبريل ، وجبريل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم » فصار التأييد يتصل بالنطقاء من خمسة حدود علوية ، ويتصل عنهم للمستجيبين بواسطة خمسة حدود سفلية ، فالحدود العلوية هم الذين ذكرناهم ، والحدود السفلية هم الاسس والائمة والحجج والنقباء اصحاب الجزائر ، والاجنحة وهم الدعاة ،

والسادس من الحدين هو القابل ، وصار ابليس عدو لآدم وضده ، وكل من والى الله تعالى من ناطق وصامت وامام وحجة، ومن تولاهم وائتم بهم، فهو من حزب آدم الذي هو حزب الله تعالى ، وكل من عـادى أولياء الله وناصبيم ، وبعد [1] عن امرهم او ادعى مقامهم ، فهو من حزب ابليس الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ، والنسيان ههنا هو التأخير بقوله أخرهم عد ذكر الله ، وذكر الله ههنـا في الباطن هم أولياءه الذين بهم يذكر ، وهم الذين أتوا بذكره ، وجرى مثل ذلك ما كان من آدم وحواء في ذريتهما ، وذريتهما وان كثرت لا تعـد جنسيهما من ذكر وانثى كما كان ذلك اعني آدم وحواء وكذلك جرى في جميعهم من الطاعـة والمعصية مثلما جرى في آدم وحواء ، وابتداء آدم في خلقه وما جرى عليه ، وذلك نظير مـا يجري على الخلق من ولده في ابتداء امره ، وكونه في هذه الدار ، وإسكان الله سبحانه آدم وحواء الجنة بعد ما جرى عليهما ، نظير لاسكان الله تعالى اياهـا من آمن وصلح من ذريتهما فمن هو من حزبهما ، وتوبة من تاب منهم كتوبتهما ، وهلاك من هلك منهم بمعصية ، وصار الى عذاب الله بكفره وارتـكابه ما نهى عنه جل ذكره ، لاستحواذ ابليس عليهم وكونهم من حزبه ، وانقطاعهم عن آدم ، وخروجهم عن نسبته ، فـدخلوا مدخل من صاروا منه ، وبانوا عنه ، اي من آدم لانقطاعهم عنه قال الله عز وجل :

« وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأَنَّهُ مِنْهُمْ »

ومن تولى ابليس فهو منه ، وهم ولده بالدعوة اليه ، وأهله بالاتصال به ، وبانوا من آدم لقول الله عز وجل في ابن نوح لما عصاه : « إنـّهُ

---

(١) وردت في نسخة (ه) و (عند)

« إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ » .

وتسميته سبحانه وتعالى حزب الشيطان وسماهم باسمه ، وقال تعالى :

« إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ »

وقال :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ »

يعني اتباع آدم من ولده .

« إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ »

ويعني بالابواب الرسل الذين هم ابواب الظاهر المحض لانه لكل واحد منهم شريعة معلومة ، وقسم من دفعها يولوا حبهم النار ومنها قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلي « انت قيم [1] النار » لذلك يقول لها يوم القيامة: « هذا لك فخذيه ، وهذا لي فاتركيه » .

ومعنى هذا ان مضادة ابليس لآدم وعداوته ، كمضادة اعداء الرسل اياهم ، وعداوتهم لهم ، قال الله تعالى :

« وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ »

فالمذنب من ولد آدم ، المصر على ذنبه ، الذي لا يتوب منه ، ولا يقلع عنه . فمثله مثل ابليس في اصراره ، وقد خرج من حزب آدم ، ودخل في حزبه ، ودخل مدخله ، وصار الى عذاب الله معه ، اي مع ابليس ، والتائب المقلع عما اقترف ، والمطيع فهو من ولد آدم وحزبه

---

(١) وردت في نسخة (ه) (انت قائم النار)

الذي هو حزب الله جل ذكره .

قال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ »

فايد الله سبحانه آدم بالوصية ، واسكنه الأرض ، واستخلفه على من فيها ، وتناسلت ذريته بها ، وكان حجة الله عليهم ، والناطق بالرسالة اليهم ، وأوصى الى ابنه هابيل فحسده اخوه قابيل وقتله ، كما وصفه الله عز وجل . وذلك في حياة آدم لتصير الوصية اليـــه ، فيما توهمه وظنه ، ومضى في عصيانه ، واصدّ على ذنبه . وكان من حزب ابليس.

ووهب الله لآدم من ذريته « شيئاً » فسماه « هبة الله » ، وأودعه للعلم ، واسره اليه ، وأمره بكتمانه ، تقية عليه من قابيل ان يقتله ، كما قتل هابيل ، فجرت بذلك السنة في اسرار العهد وحفظه ، وقيَّض الله آدم الى ما اعده له من الثواب في دار القرار ، وقام بامر الامامة من بعده وصيه شيث ، وجرت الامور في ولده على حسب ما قدمنا ذكره من قائم ، بعد قائم ، وامام بعد امام .

وكان ممن ذكر الله عز وجل في كتابه عن ادريس عليه السلام ، وهو من دور آدم صلوات الله عليه ، ثم انتهى الامر الى نوح صلوات الله عليه ، فبعثه الله سبحانه رسولاً ناطقاً بشريعة غير شريعة آدم ،قال الله سبحانه وتعالى :

« لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْهُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً »

وانقضى دور آدم بقيـــام نوح صلوات الله عليهم وكل منهم لم يقم بالرسالة الا بعد ان كان متمسكاً بشريعة من كان قبله وقد اخذ عليه ميثاقها وكان متمسكاً بها ، قال الله عز وجل :

« وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً »

وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فافهموا معشر المؤمنين ما تلوناه عليـكم من تأويل ما انزل الله عليكم ،واعرفوا حقيقة ما به تعبدكم وباطن التنزيل الذي اخبركم عنه سبحانه في كتابه انه لا يعلمه الا هو والراسخون في العلم من اوليائه ائمتكم الذي انعم الله عليكم بولايتهم واتباعهم فجعلكم بذلك من حزبه الذي وعده بثوابه ، واستنقذكم به من حزب ابليس الذي تواعده لعقابه ، واعملوا بمـا افترض الله عز وجل عليكم العمل به ، واخلصوا لوجهه ، وقوموا ظاهراً وباطناً بمـــا افترض الله عليكم ، ومن اقترف منكم ذنباً فليتب الى الله منه ، وليتلقى فيه ولي زمانه ليستغفر الله له ، ويستغفر هو من ذنبه ، ويصير الى ما وعد الله التائبين بـــه ، الذين استغفروا لذنوبهم ، واستغفر اوليـاءه لهم لتكونوا من حزب ابيكم آدم ، وحزب أوليـــاء الله من ولده الذي هو حزب الله جل ذكره ، واتركوا حزب الشيطان الذين اصروا على ذنوبهم ، كما اصر هو على ذنبه ، وأبلسوا منه كما ابلس هو ، كما آيس من ربه ، ولا تيأسوا من ربكم ورحمته اياكم ، فقد قال سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ أَلا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرِينَ)

وكما حكى من قوله تعالى للخليل ابراهيم

(وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه، ووقاكم من ارتكاب نهيه ومعاصيه، وفتح لكم أبواب طاعة أوليـــاءه. وصلى الله على محمد بنبيه، وعلى الائمة الطاهرين من عترته، وسلم [1].

---

(١) الادوار في المعتقدات الاسماعيلية تقسم الى قسمين أدوار كبيرة وادوار صغيرة، فالادوار الكبيرة هي التي تبتديء بآدم وتنتهي بالقيامة، أما الادوار الصغيرة فهي التي تبتديء بقيام الناطق اي النبي المرسل بشريعة وتنتهي بقيام الناطق الذي يليه. والدور الكبير الذي نحن فيه الآن مقسم الى سبعة أدوار صغيرة وهم: دور آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والقائم المنتظر وان لكل دور امام مقيم وامام متم وأساس وناطق وسبعة ائمة، ومعنى المقيم هو الذي يربي الناطق في دعوتـــه والمتم هو الذي يختم الدور والاساس هو حجة الناطق في حياتـــه ويتسلم الوصية بعده وهو صاحب التأويل الباطني كما ان الناطق صاحب العلم الشرعي الظاهري.

لقد كان الامام المقيم في عهد آدم «هنيـــد» وكان حججه اثنى عشر ومنهم ابليس الذي رفض الاذعان لآدم، أما آدم فقد هبط في عدن وربما كانت عدن الموجودة في اليمن، ثم هـــاجر الى مكة المكرمة وكان اسمها (فاران) وتوفي فيها وكان عمره /٩٣/ عامـــاً ودفن في سفح جبل ابي قبيس، بعد ان اوصى الى ولده (شيث) وكان يسمى (هبة الله). ولد شيث عام /٢٣٠/ مـــن هبوط آدم وتوفي عام /١١٤٢/ وقد عاش /٩١٢/ وقد اوصى لولده (انوش) ولد عام /٤٣٥/ من هبوط آدم وتوفي عام /١٣٨٥/ وقد عاش /٩٥٠/ عاماً بعد ان اوصى لولده (قينان). وقينان ولد عام /٦٢٥/ من هبوط آدم وتوفي عام /١٥٣٥/ وقد عاش /٩١٠/ اعوام بعـــد ان أوصى لولده (مهلئيل). و (مهلئيل) ولد عام /٧٩٥/ وتوفي عام /١٦٩٠/ من هبوط آدم بعد ان اوصى لولده يارد وقد عاش ٨٩٥ عام. ويارد ولد بعام ٩٦٠ وتوفي عام ١٩٢٢ من هبوط آدم وقد عاش ٩٦٢ ثم أوصى لولده (اخنوخ). واخنوخ ولد عام ١١٢٢ وقام عام ١٤٨٧ وقد عاش ٣٦٥ بعد ان اوصى لولده (متو شالح) وكان اسمه ايضاً ادريس وسموه هرمس المثلث وهو اول من خط بالقلم. ولد متوشالح عام ١٢٨٧ وتوفي عام ٢٢٤٢ وهو عام الطوفان وكانت وفاته قبيل الطوفـــان بقليل وعاش ٩٥٥ عام وأوصى لولده (لمك) ولمك ولد عام ١٤٥٤ مـــن هبوط آدم وتوفي عام ٢٣٤٦ اي بعد الطوفان ب ١٠٤ أعوام وعاش ٨٩١ وهو متم دور آدم وسابع الائمة وقد سلم الامر الى ولده نوح بعد ان قضت الارادة الالهية بتغيير الشريعة القديمة والاستعاضة عنها بشريعة جديدة هي شريعة نوح الناطق الثاني.

الفصل الثاني

(وفيه تأويل قصص نوح وهود وصالح)

قصة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى وصيه علي بن ابي طالب خير الوصيين ، وعلى الائمة الطاهرين من ذريته المتعاقبين من صلبه الى يوم الدين ، وبعد .

وابتعث الله عز وجل نوحاً صلوات الله عليه نبياً مرسلا بشريعة جديدة ، بعد ان غيرت شريعة آدم صلوات الله عليه وكثر الفساد في ولده ، فدعى نوح ﷺ الناس الى شريعته وعبادة الله سبحانه وتوحيده بالظاهر ، كما اخبر الله سبحانه عنه بذلك في كتابه بقوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)

فاستجاب من استجاب من المستضعفين منهم ، ودفع قوله المستكبرون منهم ، ومن كان على ظاهر شريعة آدم ، وأجابوه بقولهم :

(مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَرًا مِثْلَنَا)

اي ما جئتنا الا بظاهر ما هو معروف عندنا ، وفي ايدينا ممـــا اقتبسناه عن الماضيين قبلك ، وباشرتنا بما باشرونا به ، فأنت بشر مثلنا والبشر في اللغة ظاهر الجلد ، والمباشرة ملامسة البشرة بالبشرة ، فعنوا بذلك الظاهر ، وأرادوا ان ما جاءهم بـه هو عندهم ، فهو اذاً مثلهم لا فضل له عليهم وقولهم :

(وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاّ الّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ)

يعنون في العلم

وقد ذكرنا فيما تقدم ان النطقاء انما يدعون الى الظاهر .

« قَالَ نوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي واتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلّا خَسَارا »

يعني علماؤهم في الظاهر الذين لم يزدهم علمهم ومن دعوه اليه الا خسراناً ، والمال في الباطن مثل العلم ، والولد مثل المستجيب ، وولده في الدعوة من استجاب له وقبل عنه ما دعاه اليه من حق وباطل .

« وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّارَا » اي عظيماً « وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعَاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً »

يعني علماءهم الذين اخذوا عنهم ، وقد ذكروا اكابرهم اي اكابر علماءهم ، وقد أضلوا كثيراً من الخلق فدعاهم نوح عليه السلام بالظاهر زمناً طويلاً . ثم اوصى الله عز وجل اليه بقوله تعالى :

« إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلّا مَنْ آمَنَ »

يعني الذين صدقوه وآمنوا به من قبل (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)
يعني من كفرهم به (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) فأمره عز وجل بانشاء السفينة ظاهراً وباطناً ، وكذلك امره عز وجل باقامة ما أمره به ان يكون ظاهراً وباطناً ، وان يكون الظاهر مثلا ودليلا على الباطن ، ويشهد له بحدوده وآياته .

فأقام السفينة مثلا لاساس دعوته ونصبه ونصّب حدوده لإقامة الباطن بامر الله عز وجل ليكون نجاة المؤمنين بحياة العلم الروحاني النوراني من غرق الكفر والضلال كما تكون السفينة في الظاهر بنجاة من الفرق الظاهر ، فأقام اساس دعوته وحدوده ونصب الدعوة للمؤمنين به بالعلم المكنون المخزون واطلعهم عليه واخبرهم بما سيصير من امرهم وامر المكذبين ، ونصب السفينة وصار يعمل بها وقد قال سبحانه وتعالى :

(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) .

وجعل السفينة الظاهرة دليلا يستدل المؤمنون به ومثلا لباطنه .

فمن اجل ذلك فان السفينة في الظاهر تجري على الماء ، وتحمل من ركبها ، كذلك دعوة الحق تجري على العلم ، وتحمل من دخل فيها عليه ، وكما انهم يأخذون من الماء ما ارادوا لظهورهم ، وغذائهم بقدر لا يفرطون فيه فيهلكون ، كذلك اهل دعوة الحق فيما يتناولونه من العلم .

وقد قدمنا ان الماء مثل العلم واستشهدنا فيه بظاهر القرآن والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم يقولون في الرجل الواسع العلم هو بحر . ومن ركب البحر بلا سفينة غرق فيه وهلك ، كذلك من قصد العلم وطلبه من عند غير اهله هلك فيه .

وأصل السفينة من اربعة انواع بها تنشأ وتقام وهي العود والحديد لانشائها واقامتها ومثلها مثل الاصلين [1] العلويين وقد ذكرناهما ايضاً . هذه الاربعة اصول هي اصل الشريعة وقد ذكرنا نظائرها وامثالها من الشهادة وغيرها . وكذلك السفينة تجري وترسو بسبعة اشياء هي : رجلان تعتمد عليهما ، وعمود هو الصاري في وسطها ، وعارضته في رأسها وهي القزة ، وقلع تدخل الريح فيه فتجري به ، ومرساة تمسكها اذا رست وهو الهوجل ، وحبل تربط به .

وهذه السبعة هي امثال السبعة [2] النطقاء ، والسبعة [3] الائمة بين كل ناطق وناطق ، وكذلك لها اثنى عشر لوحاً من الخشب وهم مثل اللواحق [4] الاثنى عشر ، اربعة منها اصول نظير الاربعة من الاثنى عشر لاحقاً الذين قدمنا ذكرهم . وانهم مثلما قال الله عز وجل :

---

(١) الاصليين العلويين « العقل والنفس » او « القلم واللوح » او « السابق والتالي » ومثلهما في عالم الدين (الناطق والامام) .

(٢) لقد عددنا السبعة نطقاء في الصفحات السابقة .

(٣) السبعة ائمة هم الذين يكملون الدور ما بين ناطق وآخر . فمن آدم الى نوح كان عدد الائمة سبعة ومن نوح الى ابراهيم سبعة وهكذا حتى عهد الناطق محمد .

(٤) اللاحق في التعبير الاسماعيلي هو الداعي المكلف بشؤون جزيرة والجزر لدى الاسماعيلية تقسم الى اثني عشر ، كما ان الايام تقسم الى سبعة ولا حق الجزيرة اقل رتبة من حجة الاقاليم وهو تابع له ويتلقى اوامره منه .

(إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ[1])

فامثال هؤلاء الاربعة من السفينة الاربعة عراء المثبتة فيها التي تشد اليها حبال العمود وهو الصاري فتثبته لئلا يميل ، والثمانية تمام الاثنى عشر امثالهم من السفينة الثمانية حبال ، وهم حبلا الرجلين في كل رجل حبل يمسكها ، وترفع وتنزل به ، وأربعة حبال من رأس الصاري الى العراء مثبتة كما ذكرنا ، وحبلان في العارضة التي هي القزة المعترضة في رأس الصاري في كل طرف منها حبل تدار به حبال الريح ، وتدير بها فاصلتها ، وهي نظير الشهادة وفصولها وعدد حروفها .

وكذلك كما ذكرنا ان اصل شريعة نوح موافقاً لاصل شريعة محمد صلوات الله عليهم الذي هو الشهادة ، وان اختلف ظاهرها فالمعنى يجمعها كما ذكرنا . ومنه قوله تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً)

ولان نوح كان أول من شرع الشريعة ومحمد (ﷺ) آخر من شرعها. وهذا الذي ذكرناه من صفة السفينة وهو اصل ما بنيت عليه وما زاده الناس بعد ذلك من آلاتها فهو زيادة والاصل ما ذكرناه . فلما

---

(١) «الحرم»هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ولا يفارقونه وبينهم واحد منهم هو اعلاهم ويسمى الباب واذا غاب احدهم حل محله واحد من الاربعةوهم يشكلون مجلس الامام وعندما يفقد واحد من الاربعين يحل محلهم واحد من الاربعمائة المستجيبين وهكذا الخ . ويطلق على « الحرم » الابدال وهم الذين لا تخلو الارض منهم وهم العالمون المتصلون بالاسرار الالهية والذين بدلوا خلقاً بعد خلق وقد وصفهم اخوان الصفاء وصفاً دقيقاً فقال عنهم بانهم أرواح صافية متجردة هيولانية غير ذات كدورات .

أقام نوح عليه السلام دعوته بالظاهر ، ودعوة اساسه بالباطن لم يستجب له احد ايضاً ، كما قال الله تعالى : « إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ » يعني الا من آمن من قبل فدعا ربه :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً »

قوله دعوت قومي ليلاً ونهاراً يعني بالظاهر والباطن ، وقوله اعلنت لهم ، يعني فأعلن لنفســـه من الدعوة الظاهرة ، واسررت ما اسر في دعوة اساسه من الباطن ، وانهم قد علموا ذلك ، وانهى اليهم بجملة الخبر انه قد نصّب دعوة بالسر غير الدعوة التي دعاهم اليها في الظاهر . وقوله : واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي لتدخلهم في السر والباطن ، والغفران في اللغة الستر ، ومنه سميَ المغفر لأنه يستر الرأس ، والغفارة لانها ساترة ، والغفور هو الساتر ، يقول دعوتهم بظاهر الدعوة ليستجيبوا اليها فيصيروا الى باطنها . وقوله جعلوا اصابعهم في آذانهم ، اي لم يسمعوا الدعاء ، وحشوا اسماعهم بالكلام المنبوذ . واستغشوا ثيابهم اي اشتروا بظاهرهم ، وما زينوه لانفسهم .

وقد مضى تأويل اني دعوتهم جهاراً ، ثم اني اعلنت لهم واسررت

لهم اسراراً وقوله :

« فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا »

فقد اولنـــا المغفرة ، يقول : اسألوه ان يطلعكم على المستور من الباطن ، يرسل ، يرسل السماء عليـكم مدراراً . فقد ذكرنا ان مثل السماء في الباطن الناطق ومثل الماء العلم ، يعني انه متى اطلعكم على العلم الباطني ، در لـكم وليكم بالعلم ، ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لـكم جنات ، ويجعل لـكم انهاراً ، وقد ذكرنا ان باطن المال والعلم ،والبنون في الباطن المستجيبون ، اي يجعل منـكم دعـاة يستجيب لهم العباد ، ويجعل لـكم جنات يعني دعوة في الباطن والانهار يعني علماء من الباطن .

ثم قال جل ذكره :

« حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ »

يعني جاء علم التأييد ، وتكلم به الاساس ، وصدر عنه علم التأويل ذي النور :

« قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ »

يقول : اجمع على ولاية الاساس ودعوته ، ممن تجمعه فيها على الازدواج ، واقرن الاساس بك ، والأمام بالحجة ، والنقباء بالدعاة ، واحملهم على مراتب الحدود العالية على ما جرى من تأثير الحكمـــة في ازدواج الخلق ، ليكون ذلك من الدلائل على توحيد الباري جل ذكره. وكذلك افعـــل في ظاهر امر السفينة الظاهرة ، ليكون العمل ظاهراً وباطناً . كما يجري ذلك في حدود الرسل الى حين انقطاع العمل بظهور صاحب القيامة وقد ذكرنا نكتاً من القول فيه ، وسنذكر تمام ما ينبغي

ان نذكره ، من امره في هذا الكتاب على الحد الذي بسطناه فيه ، اذا صرنا اليه انشاء الله تعالى :

وقال :

« اركبوا فيها بإسم الله مجراها »

فقوله بسم الله هما اسمان مثل الاصلين العلويين ، وهما سبعة احرف مثل حروف (قلم ولوح) ، (محمد و علي) (أمام و حجة) فبذلك جرت الدعوة واستقرت عند من استقرت عنده« إنّ رَبّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » فقد أولنا الغفور والرحمة من الله ما رحم به عباده وتفضل به عليهم ، فهو رحيم بذلك ، واعظم رحمته التأييد وتأثيره في باطن العلم ، والرحمة مشتقة من الرحم ، فنظير ذلك تأثير الحكمة في باطن المؤيد ، كوقوع النطفة في باطن الرحم ، واغتذائها فيه ، خفيفاً خفيفاً حتى يتم خلقها ويكمل .

« وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ »

يعني جري للاساس في دعوته بالمستجيبين له في العلوم من حد الى حد ليوقفهم على حدود المعرفة ومراتبها ، والموج ههنا مثل لمن تصور بالعلم ووسم نفسه به ، من علماء الظاهر ، وهو خال من العلم يتلاشى من يديه كما يتلاشى الموج الذي اذا اجتمع كان في رأي العين كالجبل، كذلك المتحلي بالعلم الظاهر عند اتباعه هو الامام الحقيقي الذي لا يتضعضع عن امره ولا يزول عن رتبته ولا يتلاشى علمه .

فدعوة الحق تجري على رؤوس هؤلاء المتشبهين بالعلماء ، وتخرقهم كما تخرق السفينة الموج ، وتجري عليه وهم يهولون بباطلهم ، ويخرقون ويزحفون كما تضطرب الأمواج وتهيج ، والمستجيبون للدعوة في راحة من

تقليدهم،وسلامة من ضلالهم ، كما يكون من في السفينة آمناً من موج البحر «وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ» اي ولده من صلبه «وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ عَنْهُ» اي قد انعزل عنه ، وكان يأمل ان يكون الأمر اليه ، فلما أقام نوح غيره حسده ، وانف من الدخول في أمره وتحت حكمه ، وذلك كما كان من ابليس مع آدم ، ومن أمر قابيل مع هابيل من ولد آدم ، فدعاه نوح الى ان يدخل تحت حكم اساسه ، فأبى ذلك وقال :

«سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَاءِ»

اي ألوذ باحد علماء الظاهر ، فآخذ عنه ، واعتصم به من حجة أساسك الذي طغى [1] عليَّ بعلمه .

«وَقَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ»

اي ان هؤلاء الذين ذكرتهم ليسوا بعاصميك ، وانما يعصمك من رحمه الله . وقد بينا معنى الرحمة يعني اهل التأييد فأخذته الشفقة عليه ، وسأل الله ان يهديه .

فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ «ٱلْحَاكِمِينَ»

اي أنك قد وعدتني ان تحمل أهلي معي في السفينة اي في دعوة الحق وسفينة النجاة ، قال عز وجل :

«إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»

يعني انه لما فعل ذلك ، وأصرَّ عليه فقد انقطع نسبه منك ، ونسب الى من أجاب لدعوته ، وتمسك به ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ولخصناه

---

(١) سقطت في نسخة (ه) الذي طغى .

وبينا معناه .

« وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ »

يعني بالموج علماء الضلال [1] وقد شرحنا حالهم ففرق معهم ظاهراً وباطناً في الشكوك والشبهات والهلاك .

« وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي »

فالارض ههنا مثل للاساس الذي اقامه نوح لدعوته الباطنة وامره ان يستر ما صار اليه من العلم الباطني وصيانته عن غير اهله والاستيلاء عليه وجمعه عنده . والسماء مثل للناطق كما قدمنا وهو ههنا نوح عليه السلام ، امر لما أقام اساسه لتأدية الباطن ان يقلع هو عنه ويسلمه الى من اقامه له ويقبل هو على الظاهر الذي اقيم له : « **وَغِيضَ الْمَاءُ** » اي غامض العلم الباطني في الحجة الذي هو اساس الشريعة ، ومثله مثل الارض التي يفيض الماء فيها ، فيستتر عن الابصار ، وكذلك صار العلم المكنون المصون في مستقره ومكانه ، وغاض فيه

« وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ »

يعني الدعوة انتهت الى المستجيبين .

ومعنى ذلك ان المفاتحة بالدعوة والعلم الباطني جرت من قبل الناطق الى الاساس ، ولم تستقر فيه بل جرت منه ايضاً الى الاتماء وهم الائمة ، وكذلك لم تستقر فيهم ، وجرت الى الحجج ولم تستقر عندهم ، بل جرت ايضاً الى النقباء ، الذين هم لواحقهم ، ثم جرت الى الاجنحة الذين هم الدعاة ، ثم جرت الى المستجيبين فاستقرت لديهم ولم تخرج عنهم ، واستوت

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت « الاضلال »

واستقرت عليهم .

« وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

اي انهم ابعدوا عنها ولم يكن لهم حظ فيها .

ولما قال الله عز وجل لنوح جواباً عما استخبره من وعده في خلاص ابنه ، وانه وعده بخلاص اهله وقيل له :

« إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ »

علم نوح عليه السلام انه اخطأ في سؤاله هذا واحتجاجه بما سبق له من الوعد فاستعاذ بالله واسترحمه بقوله :

« رَبِّي إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

« قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ، وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ »

ولم يرد بالهبوط ههنا هبوط نقص كونه سبحانه وتعالى قرنه بالسلام والبركات وذلك خلاف ما قال لآدم وابليس .

« اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ »

اي اهبطوا من الجنة ، ولكنه عنى سبحانه ان اهبط الى ما دونك بسلام منّا ، اي بتأييد منا ، وايدهم من قبلك بتأييد الحكمة التي آتيناك بها ، وبلغ الرسالة التي ارسلناك بها ، وخص سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام والبركات ، وامم ممن معه يعني من المعتصمين بحبل الله عز

وجل ، وهم الأسس والائمة والحجج والنقبـــاء والاجنحة والمستجيبين المخلصين ، قد خصهم الله عز وجل بالسلام والبركات .

« وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ »

يعني الداخلين في ظاهر الدعوة غير المعتصمين بباطنها اي سيمتعهم بظاهرهم في عاجلهم ، بما يحقن به دماؤهم ، ويصون به اموالهم ، الا بحقها ، ويدفع عنهم من صغار الجزية ومذلتهـــا ، ثم يمسهم في آجلهم عذاب أليم ، لتخلفهم عن حقائق الايمان ، ونقضهم العهد والميثاق ، وايمانهم بالغيب . وإقامة الظاهر دون الباطن، وعدمهم التأييد بالحكمة، والعلم المكنون الروحاني المصون .

وقوله عز وجل :

« وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِسَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً »

عنى سبحانه مدة دوره ، ولبث شريعته ، لان شريعته مهما لبثت فانها منسوبة له معمول بها ، مدعو اليها ، فهو لا يقر بالتسمية فيها ، بل يدعى اليها باسمه وتقام حدودها وفروضها واحكامها بسنته وحكمته، فاما لبثه ببدنه وشخصه وهيكله فلم يكن الا مدة عمره الطبيعي مائة وخمسة وعشرون سنة ، ولم يجعل الله سبحانه لأبدان البشر وطبائعهم التي (١) اقامهم بهـــا ان تبقى طول هـــذه المدة بل جعل لهـــا نهاية دون هذه النهاية ، لا تـــكاد تتجاوزها ، ولا تتعداها . لانها تخرب وتعطب ، وانما جعل الله عز وجل البقاء التام للارواح في دار الآخرة ،

---

(١) سقطت في نسخة (هـ) (اقامهم بها)

بعد فراق هذه الدار ، وفراق الاجسام المرتبطة فيها في دار الدنيا . ومما جرى من امر قوم نوح ، ومن تابعهم عليه من الأمم من بعده ، ومن بعدهم ، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه عنهم ان السابقين الى دعوته كانوا من المستضعفين فيهم واهل الغباوة منهم اكابرهم [1] وذلك قولهم .

« مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيءَ الرَّأْيِ »

وقوله :

« ولاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً »

يعني ان الله سبحانه قد آتاهم ذلك ، وعلى ذلك مضت الامم من بعدهم بقولهم لأنبيائهم عندما يبتدؤنهم بالدعوة الى الظاهر وكذلك جرت سنة الله في الامم ان يقولوا لأنبيائهم كما قال نوح عليه السلام ».

« مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

وقد ذكرنا تأويل البشر والمباشرة في الظاهر وقولهم :

« لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً »

يعنون من يأتي بالعلم الباطن الروحاني اذ كانوا من الروحانيين، وقولهم

« مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

يعنون بآبائهم الذين أخذوا عنهم ما أخذوا ، مما ذهبوا اليه من الباطل ؛ وقد ذكرنا كيف تكون الابوة ، ويقولون في ذلك ان الذي كنا نعرفه ان الرسل يكون معهم الظاهر ، ويقومون بالباطن باسمهم ،

---

(١) في نسخة (س) وردت «اكبرهم»

وهم الذين عنوا بالملائكة ، وهذا كان قبل ان يقيم نوح أساسه لتأدية الباطن ، فلما اقامه لجوا [1] في كفرهم كما لج ابوهم ابليس . قال الله عز وجل :

« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ، بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ إِنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ »

يكفرهم بالاول والثاني ، وجرى ذلك في الامم من بعدهم كما قال الله سبحانه وتعالى في ذلك من امرهم وهو اصدق القائلين :

« تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »

فكل أمة تقول مثل ذلك في رسولها كما حكاه الله عز وجل عنهم :

« مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ »

يعني ما عندهم من الظاهر ، لما لم يفتح لهم غيره ، وكقولهم .

« أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ »

فقول قوم نوح قد حكته سائر الامم المكذبين المنكرين الجاحدين بآيات ربهم الملحدين في اسمائه ، ثم امر الله سبحانه نوحاً عليه السلام بحمده وشكره ، وسئل الثبات على ما وهب له ، فقال الله تعالى :

« فَإِذَا اسْتَوَيْتَ [2] وَمَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (تولجوا)

(٢)في نسخة (ه) جاءت (اثتويت)

نَجَّانَا مِنَ ٱلقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ».

أمره بذلك ظاهراً وباطناً اذا استوى على السفينة الظاهرة ونجـا فيها من ركبها وهلك من تخلف عنها . وكذلك قوله في الباطن اذا استوت دعوتك الباطنية ، واستقام امرها ، وجرت على حدودهـــا ، وكملت واستقامت فقل الحمد لله اي احمد المنعم عليك بذلك واشكره على مـا وهب لك من فضل ما بين التقليد والبيان ، وذلك ان دعـاء الرسول الناطق الى الظاهر دعاء تقليد ، يأمر الناس بـه فيجيبونه مقلدين له بذلك ، فاذا امتحنوا به وأجـــابوا كانوا مؤمنين ، ونصّب لهم دعوة الباطن بالبيان ، واقام لذلك اساسه ، وقوله سبحانه وتعالى :

« وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ »

اي اجعل نزولي ومستقري بما أوليتني من نعمتك ، نزول بركة وهو التأييد ، وهو محله يومئذٍ ، ثم امر نوح ان يسأله ابقائه على منزلته منه كما امر جميع المؤمنين ان يسألوه الهداية الى الصراط المستقيم ، وهو إمام الزمان وقد هدوا اليه ولكن امرهم ان يسألوه الثبات على الهداية لان الهداية التامة تكون بالثبات عليها ، فأما من هدي ثم ضلَّ فهو من الذين ضلوا وذلك قوله :

(أهدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ)

وأمر نوح بالدعاء بما وصفناه ، والمؤمنين بما ذكرناه، ليكونوا على حد الخوف والوجل من الزلل مستشعرين لذلك غير آمنين به ، لان من أمن بذلك تهاون به فوقع فيه فلذلك أمروا ان يسألوا ذلك في كل ركعة من

صلواتهم في الليل والنهار لئلا يغفلوا او يعرضوا عنه فينسوه ، ومما اتبعت الامم قول قوم نوح عليه السلام مما حكاه الله عز وجل :

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ)

يعني كما كذبت محمد (ﷺ) قومه وقالوا انه مجنون ، وزجروه اقتداءً منهم بالمكذبين قبلهم ، وكذلك وصف الله عز وجل غيرهم من الامم ، وقد ذكرنا تطابق الامم على مثل هذا ، ومنه قول رسول الله (ﷺ) « لتسلكن سبل الامم قبلكم حذوَ النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجرضب لدخلتموه .

وقد ذكرناه في كتاب « دعائم الاسلام » وفي حديث آخر : « لتركبن سبل من كان قبلكم ذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه ، فالضب دويبة تأوي الى الاحجار ، وتصيدها الاعراب ، وتأكلها وهي معروفة ، والخشرم مأوى الزنابير ، وهي ثقب من طين تبنيها ، وتأوي اليها ، وتفرخ فيها ، والدبر جماعتهم وهي اضداد [1] النحل التي يكون منها العسل ، وتبني بيوتها بالشمع وتنتفع فيها الزنابير ، وبالعكس لا نفع فيها تبني بيوتها ، ولا خير فيها ولا نفع عندها ، وهي مثل لأهل الضلالة المتشبهين باهل الحق ، الذين امثالهم امثال النحل ، وحجر الضب ، وهو مثل حجر اليربوع ، المضروب مثل النفاق فيه ، وقيل ان النفاق مشتق من النافقاء ، لأن لليربوع حجر يقال له النافقاء ان اخذ عليه باب حجره ، خرج من الباب الآخر ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله اتباع هذه الامة الامم قبلها على الضلال والنفاق لانهم يدخلون احجرة الضباب او ثقب

(١) في نسخة (هـ) جاءت (النمل)

الزنابير .

ولا يجوز ان يمثل رسول الله (ﷺ) مثلا على ما لا يكون ، قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام .

(فَفَتَحْنَا لَهُ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا ٱلأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)

باطنه انفتاح ابواب الناطق ، اي الذين اقامهم للظاهر بعلم الظاهر وقوله :

(وَفَجَّرْنَا ٱلأَرْضَ عُيُوناً)

اي تفجير العلم من حدود الباطن يعني النقباء الاثنى عشر الذين نصبهم اساسه لعلم الباطن في كل جزيرة نقيب لاحق به ، ومثل ذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام .

(أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)

وقوله تعالى :

(فَٱلْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)

اي علم الظاهر والباطن كل واحد منهما مقدّر على الامر الذي جُعل له لا يتعداه الى غيره ، فالتقليدي للرسول ، والبيان للاساس وكذلك يصير بعد الرسول التقليدي للامام ، والبيان للحجة ، على ما قدمنا ذكره من تقدير الله عز وجل وذلك على ما قدره ورتبه وجرب به حكمته في عباده .

(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ)

يعني السفينة .

وقد ذكرنا تأويل الالواح وانها اثنى عشر لوحاً ، وتجمع السفينة اياها وهي مثلٌ على النقباء الاثنى عشر ، والاساس يجمعهم ، والدثر المسامير التي تشد بها ، وهي الفوائد الملكوتية العالية التي تتصل بهم ، وقد قدمنا ان الحديد فيها في جملته مثله مثل احد الاصلين العلويين ، وفوائد الملكوت من قبله تجري على ما قدمنا ذكره من جريهـــا على الحدود العلوية والسفلية ، وقوله سبحانه وتعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَـا نُوحاً وَابْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا [1] عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ)

معنى ذلك ان الصفوة من آدم عليه السلام تنقلت من واحد بعد واحد في ذريته حتى استقرت في نوح ، ثم صارت بعده في ذريته ، فنقلته كذلك حتى صارت الى ابراهيم ، ثم صارت بعده في ذريته ، وانتقلت كذلك الى الرسول من بعدهم ، ويعني بالذرية ههنا الذرية المستخلصة المنجبة من صلب نوح وابراهيم عليهما السلام الذين هم الانبياء المرسلين والائمة واسبابهم منهم ومن غيرهم من الذرية بمولد الدعوة كما قدمنا ذكرها في تأويل الدين والنبوة والتأييد .

والكتاب ههنا العلم المثبت عند الائمة سماه كتاباً لـمـا كان مثبتاً في الكتاب ، والكتاب في الباطن هو الامام على ما قدمنا القول في تسمية الشيء باسم ما صحبه ولائمه . فالتأييد العـــلم في الذرية المستخلصة من صلب نوح وابراهيم ومن اقاموه لاسبابهم من ذريتهما الباطنية التي هي

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (قضينا)

ذرية الدين وكثير من هذه الذرية وذرية الصلب غير مخلصين منهم فاسقون، وقد بينا انهم ينقطعون من النسل والنسب بسبب الكفر والفسوق والضلالة اذا اصروا عليه غير نادمين ، ولا تائبين منه ، ومن تاب منهم بقي على ما كان عليه ، والصفوة من الذرية للصلب مبرأة من الدنس ، سليمة من اللبس طاهرة مطهرة ، ومحمد (ﷺ) والائمة من ذريته من ولد علي وفاطمة صلوات الله عليهم في جملة من ذكر من ذرية نوح وابراهيم قد جعل الله عز وجل فيهم التأييد والعلم ومن شاركهم في ولادة الصلب من ولد الدعوة من غير اهل الصفوة منهم مطيع وعاصي كما يكون في سائر الخلق وولد علي وفاطمة من ذرية رسول الله (ﷺ) من قبل فاطمة كما كان عيسى من ذرية ابراهيم من قبل امه مريم وقال الله تعالى :

(وَتِلْكَ حِجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَيَعْقُوبَ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)

فأثبت سبحانه وتعالى عيسى من الذرية من قبل امه بما لا يدفعه من دفع ان تكون الذرية الا من الصلب خاصة ، فنسب الذرية الى نوح وابراهيم وكان من بعدهما موسى وعيسى ولم تجر الامامة في ذريتها من قبل ولادة الصلب [1] لانه لا عقب لهما ، فرجعت من عقب ابراهيم

(١) في نسخة (ه) جاءت (الصليب)

وقال نوح عليه السلام

(رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً)

يقول لا تجعل لمن كفر بك نصيباً من الحقيقة

(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّاراً)

يقول انك ان جعلت ذلك لهم اعدوه لتضليل عبــادك عن الحقيقة ، ولا يتولد من دعوتهم الا من هو في مثل حالهم .

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)

وقد ذكرنا تأويل المغفرة فيما تقدم والوالدان يعني الذين توليا دعوته وتربيته .

(وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً)

يعني من كان منهم من قبله ومن يكون منهم من بعده عمهم بالدعاء

(وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)

التبار الهلاك ، والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه يعني الذين وضعوا الامامة في غير موضعهــا ، وكان من دور نوح عليه السلام من انذر بشريعته ودعا بدعوته هود وصالح عليهما السلام .

هود عليه السلام

أما هود عليه السلام ، فقد دعا قومه كما حكاه الله عز وجل بقوله:

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودٌ)

فنسبه الى اخوتهم من جهة الولادة لانـه كان منهم في ظاهر الامر وباطنه ، فأما ظاهره فانه كان من عشيرتهم يجمعه واياهم اب واحد ، وكان كذلك اخاهم في الولادة الظاهرة ، واما الباطن فانه واياهم من امة نوح عليه السلام ، وأهل دعوته فهو ابوهم (اي نوح) في البـاطن كما قال الله عز وجل

(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ

فمن آمن منهم ، اتصل بـه ، ومن كفر انقطع عنه ، وخرج عن نسبه ، فنسبه الله بالاخوة الى من آمن منهم كما قال سبحانه وتعالى

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

وقال :

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)

وقوله فيهم :

(فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ

مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا سَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)

فباطن الريح العقيم العلم العلوي الذي يأتي بمادة الله لاولياءه بالحجج الدامغة [١] لاعدائه في حين استطالتهم بحجة الباطل على اهـــل الحق ، وليس من العلم الذي يربون به ، وتكون ولادة المؤمنين بسببه ، ولكنه قرع ودفع للكافرين ، وذلك أنهم حاجوا هوداً وناظروه ، فاحتجوا عليه من جهة الظاهر ، فأدلوا بحججهم منه وهولوا عليه ، فرمز لهم بحجة العلم المكنون ، وتواعدهم بظهوره .

« قَالُوا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ »

وقال :

إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ، وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ » .

يقول انه علم ما رمز به اليكم هو عند الله لا يظهره إلا في حدوده ، وقد ابلغتكم من العلم ما ارسلت به ولكنكم قوم تجهلون حدود العـــلم والمعرفة ، فأتاه التأييد من الله عز وجـــل بقمعهم ، وكسر باطلهم ، وهتك شكوكهم فلما فاتحهم بشيء من ذلك توهموا انـــه يريد ان يفيدهم من علمه ، وقوله تعالى :

« فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا »

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (الدافقة)

وقد ذكرنا ان مثل الماء العلم ، والمطر كذلك رزقاً بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر بأمر ربها » يقول هو الذي قلتم عنه :

« فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ »

فهو لكم عذاب ، وليس بعلم تستفيدونه ، وذلك عندما دنا هلاكهم ، وغضب الله عز وجل عليهم ، فأرسل عليهم الريح الظاهرة لهلاك أجسامهم ، ولكي لا يفارقوا الدنيا ، وهم عند انفسهم على حجة صحيحة مما كانوا عليه من الضلالة ، اذ لم يجيبو الى ظاهر الدعوة كما يجب على من دعي اليها ، ويتبعوا صاحب الظاهر متى يدخلوا بعد ذلك في حكم حجة صاحب الباطن على نحو ما قدمنا ذكره في ذلك ، فأتاهم عذاب الله ظاهراً وباطناً فدمرهم كما قال تعالى :

« فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نُجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » .

صالح عليه السلام

وكان من دور نوح عليه السلام ، وممن انذر بشريعته ، ودعا بدعوته ، وقد دعا قومه ثمود كما حكاه الله عز وجل بقوله :

« وإلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمُ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ » .

. فاخوته لهم بحسب مـا ذكرنا في قصة هود عليه السلام من نسب الولادة لأنه كان منهم في الظاهر والباطن ، وقوله وقول هود ونوح عليهم السلام وكل من يدع قومـه من الانبياء الى عبادة الله عز وجل ، بقوله يا قوم اعبدوا الله هي الدعوة الى عبادة الله عز وجل بتوحيده ، ولن ينال توحيده جل ذكره إلا من جهة الباطن ، لأن من طلب معرفة الله عز وجل بلا تأويل لا يخلو من أحد وجهين ، امّا ان يصير الى التشبيه او يخرج الى التعطيل [١] اذا نفاه من التشبيه بريبة ومبلغ علمه بلا دليل.

وان أخذ ذلك من جهة نظره او كتاب يقـع عليه او استراق ممن لم يؤذن له في البـلاغ ، لم يقبل الله عز وجل ذلك منه وقد قال جل ثناؤه :

« وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ».

وكل من وحّد الله جل ذكره من غير جهـة التأويل المأخوذ عن الدليل [٢] ، فقد الحد فيه سبحانه ، لان الانسان مخلوق بظـاهره وباطنه وعقله الذي سلامته فيه ، يثاب اذا اطاع ، ويعاقب اذا عصى فليس ينفك من الحدث في جميع ذلك ، ومن كان محدثاً بهذه الاوصاف فلا تقع اشارتـه الى محدثٍ يساويه في الحدث ، فان قال واحد قالوا هو يدخل تحت العدد والمعدودات ، وان قال شيء فالشيء شيئاً والشيء محدث ، وانه قال ليس كمثله شيء فقد حدّه لانه قد جعل له مثيلا فان

(١) وردت في نسخة (ه) « التعظيم » . (٢) وردت في نسخة (س) « الدلائل » .

احتج باللغة وقال ان العرب تقول ليس مثل فلان يفعل كذا ، كذا يعنون بذلك فلاناً هذا لا يريدون مثله وهذا ابلغ احتجاج في هذا البـاب قيل لهم فلان مخلوق ، وكذلك من يقول هـذا تعالى منه خلق ولهم اشباه وأمثال واذا قلتم ذلك في باري البرايا فقد جعلتم له كذلك شبيهاً ومثيلا وان قال شيئاً جعله محدثاً . وان قال لا شيء صار الى التعطيل .

ولكن من جهة اسمائه عز وجل ، فان اسماءه حدوده التي هي دونه وليس الاسم واقع عليه كما تقع الأسماء على المسميات ، لان الاسماء لا تقع إلا على الصفات المدركات ولهذا الكلام موضع يثبت فيه بتمامه لطوله ، ولا ينبغي ان يوضع في حـــد من حدود المعرفة ، واذا صرنا اليـه بسطناه فيه انشاء الله تعالى .

وقول صالح لقومه .

« وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ »

فقد ضرب الناقة مثلا للحجة ، كبقرة بني اسرائيل ، وسيأتي ذكرها في موضعه انشاء الله تعالى .

وليس عند اليهود فيما يدعون في ثوراتهم ولا عند النصارى فيما يدعون في انجيلهم للناقة خبر ، ولا يعرفون شأنهـــا فيما ذكر في قصة صالح في ظاهر ولا باطن . وذكور الابل أمثال الائمة ، وإناثهـــا أمثال الحجج وكذلك البقر .

والعرب الذي نزل القرآن بلغتهم يسمون الرجل الشريف قرماً وهو الفحل [1] من الابل . فضرب الله عز وجـــل لهم الامثال من حيث

---

(١) وردت في نسخة (ه) (النحل)

يعقلون . ويعرفون . وقوله .

« فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ »

عنى به ان يتركوها ، وما وهب الله لها من حظها الذي مثله بالارض التي يأكل منها الحيوان .

« وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ »

يقول لا تنكروا عليها ، ولا تغيروا أفعالها ، وذلك لما نصبها لحمل الباطن وبسط الدعوة ، فيأخذكم عذاب قريب اذا فعلتم ذلك .

« وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ »

يقول ذلك لمن اتبع هود ، وصاروا خلفاء من بعده في كتبه وبيانه

« وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ »

انزلكم على تأويل الاساس

« فَتَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً »

يعني ما اعطوه من حد البيان والمفاتحة اي تقيمون اجنحة للدعوة

« وَتَنْحَتُونَ منَ الجِبَالِ بُيُوتاً »

يعني تنشئون من حد التأييد لواحقاً ، فهذه البيوت مأوى المسترشدين الذين بدأ نشأهم من كلام كثيف جسداني مركب كالبيوت الظاهرة للابدان الكثيفة .

« فَاذْكُرُوا آلاءَ ٱللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

فإلا قد مر ذكرهـا ، وانما خاطب بذلك قوماً كانوا من أهل ولاية هود ، وبقايا ذريته من اتبعه من غير مـــا كان عليه فأتاهم صالح ليقيم أمرهم ويرشدهم ويصلح حالهم .

« وَلاَ تَعْثَوا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

يقول لا تتعرضوا حد التأويل بالتبديل والتغيير .

« فَعَقَرُوا ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ »

فعقرهم الناقة دفعهم الحجة عن مقامه ، والتغلب عليه في ظاهر أمره وفي وجه آخر انهم قتلوه ، ومن ذلك شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بعقر الناقة حيث قال : اشقى الاولين عاقر الناقـــة واشقى الآخرين قاتلك يا علي » .

وجاء في الاخبار انهم عقروا فصيلها ، وهو ولده الذي كان قد اهله لمقامه من بعده ، كما قتلت هذه الامة علي والحسين صلوات الله عليهم ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) « لتسلكن سبل الامم قبلـكم حذوَ النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، ولو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » فقتلهم من قتلوه من الائمـــة عقر ، ومنعهم من منعوه وتغلبهم على ظاهره عقر له ايضاً ، وقوله :

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ » .

قيل في التفسيرات ان الناقة تشرب ماءهم يوماً ، ولا يشربون هم شيئاً . الا انهم يأتون اليها ، فتدر لهم فيحلبونها ويشربون في ذلك اليوم لبنها، بدلاً من الماء ، ويشربون هم من الماء يوماً ، وهذا تفسير القاه احد رجال

التأويل ، فأخذت العامة بظاهره .

وقد ذكرنا ان مثل الماء العلم ومثل اللبن العلم الباطن لأنه يخرج من ضرع يكون كامناً فيه ، وهو من علم الباطن رمزاً واشارة ، وذلك اول حدود الباطن للمستجيبين ، كما يكون الرضاع اول غـــذاء للولدان .

وقد ذكرنا ان الناطق يقوم بظاهر عـــلم الشريعة ، والحجة يقوم بباطنه ، فأراد بذلك ان باطن الماء قسمة بين الناطق والصامت ، وهو العلم بالجملة واستفادة الصامت باطن العلم من الناطق . فأخبر ان علم الناطق قد قسم بين حجته وعامة اهل دعوته ، فهو يفيد اهل دعوته بظاهره ، ويفيد حجته بباطنـــه ، وحجته يفيد اللواحق ، واللواحق يفيدون الاجنحة ، والاجنحة يفيدون المؤمنين .

فصار علم الناطق قسمين على ما ذكرنا ، واللبن لا يكون الا للاناث وامثالهن الحجج ، ولا يكون للذكران وامثالهم النطقاء . وقوله تعالى:

« فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ »

يعني عدو صاحب الزمان ، وانهم اجتمعوا عليه وتواطئوا معه على الوثوب على حجة صالح ففي بعض القول انه قتله ، وفي بعضه انه أزاله عن حده ، وتغلب على مكانه ، في ظاهر الامر ، ومن تغلب على ظاهر امر من وليَ الامر ، فهو في الظاهر عند من لا يعرفه ، كالميت وعند اهل المعرفة به حي ، لأن التغلب على امر اولياء الله انما يكون بتغلب المتغلبين عليهم على ظاهر امر الدنيا وذلك ما لا وزن له عندهم .

فاما امر الله جل ذكره وما جعله الله لهم فهو بأيديهم ، لا يغتصب ولا يسلب . ولكنهم انما يسعون في إزالة من تغلب على ظاهر امرهم ليقيموا

امامة المبطلين ، من دين الله ، ويحيون عباده بحكمته ، ولولا ذلك لم يلتفتوا الى شيء مما تغلب عليه المتغلبون . وقوله :

« وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ »

« فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »

وهي مسائل صاحب الزمان ، وحججه التأييدية ، وقد ذكرنا ذلك في قصة هود بشرحه .

« فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ »

يعني من قيام بحجة الباطل ، وما كانوا منتصرين على صاحب زمانهم الذي دفعهم بحججه التأييدية قبل ان يهلكوا الهلاك الادنى بمفارقة الدنيا ، ثم يهلكوا الهلاك الاكبر ، وذلك قوله تعالى :

« إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ »

وقوله تعالى :

« وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ » .

فباطن المدينة حدُّ حرم الباطن ، ورهط الحرم تسعة اصناف فكان بإزاء كل صنف منهم رهط من اضدادهم يفسدون حدود الدعوة ، فأول صنف من رهط الحرم النطقاء (١) والثاني الاسس (٢) والثالث الائمة (٣) والرابع الحجج (٤) والخامس النقباء (٥) والسادس الايادي (٦) والسابع

(١) مفردها (ناطق) (٢) مفردها (اساس) (٣) مفردها (امام)
(٤) مفردها (حجة) (٥) مفردها (نقيب) (٦) مفردها (اليد)

الاجنحة [1] والثامن المأذونون [2] والتاسع المستجيبون [3] فبإزاء كل قوم من هؤلاء ضد لهم من اعدائهم كما قال الله تعالى :

« وَجَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ » .

لقد اثبتنا على ما رأينا انه يدخل في هذا الحد الذي بسطناه في قصة نوح عليه السلام ، ومن كان في دوره من النطقاء والائمة ممن ذكرهم الله في كتابه واخبرنا عن نوح عليه السلام انه اول اولي العزم من الرسل على نسخ شريعة من كان قبله واحياء شريعته . وذكرنا بعض ما سنته امته في دفعه، وسلكت سبيلها الامم من بعده ، ليكون ذلك علماً عندمن سمعه وتحذيراً لمن وقف لفهمه ، فاسلكوا معشر المؤمنين سبيل من تقدمكم من الصالحين ولا تقتدوا بافعال المكذبين وعليكم بطاعة أئمتكم وشهداء الله عليكم واعرفوا كيف جرت الامامة فيمن كان قبلكم قرناً فقرن وجيلا فجيل .

أقام الله تعالى في كل امة رسولاً للقيام بظاهر شريعتها وأساساً لباطن دعوتها وائمة تترى بين كل رسول ورسول لئلا يكون كما قال الله عز وجل .

« لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فَيَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ .»

واعلموا ان السنة جارية في الامامة الى قيام قائم يوم القيامة فتحالله لكم من الخيرات واعمكم بنزول البركات وجعلكم ممن يشكر فضل ما

(١) مفردها (جناح) (٢) مفردها (مأذون) (٣) مفردها (مستجيب)
هذوه رتب الدعوة الباطنية في زمن الناطق .

يؤتى اليه ليستوجب بوعده السابق المزيد منه وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطاهرين وسلم [1] .

---

(١) ولد الناطق نوح عام ١٦٤٢ من ولادة الناطق آدم وصار الطوفان عندما بلغ نوح من العمر ٦٠٠ عام ، وتوفي عام ٣٥٠ بعد الطوفان وقد عاش ٩٥٠ عاماً وقبره في جبل الجودي من اعمال الموصل . كان بدء الطوفان في العاشر من شهر رجب عام ٢٢٤٢ بعد ولادة آدم وقد دام ستة أشهر وانتهى في العاشر من محرم عام٢٢٤٣ وقد ركب معه فيالسفينة سبعون رجلا وان ولده الذي تخلف عنه يدعى (يام) ، أما اولاده سام وحام ويافث فقد ولدوا قبل الطوفان وكانوا من جملة السبعين رجلا الذين ركبوا معه في السفينة ، ونوح كما هو معلوم كان قد أوصى لولده سام بالخلافة وهو اساسه في حياته .

ولد سام بن نوح عام ٢١٤٢ من ولادة آدم اي قبل الطوفان بمائة عام وتوفي عام ٥٠٠ بعد للطوفان وقد عاش ٦٠٠ عام ووصيه ولده ارفكشاد ولد ارفكشاد بن سام عام ٢ بعد الطوفان وتوفي عام ٤٦٧ بعد الطوفان وقد عاش ٤٦٥ عاماً وأوصى لولده شالخ بالخلافة شالخ هو بن قينان بن ارفكشاد وقد سقط اسم والده من شجرة النسب لانه كان يتعاطى السحر لذلك حرم من مركز الامامه . ولد عام ٢٧٦ وتوفي عام ٥٦٧ من الطوفان وعاش ٤٦٠ عاماً وأوصى لولده (عابر).

وعابر ولد عام ٤٦٦ وتوفي عام ٨٣٠ من الطوفان وقد عاش ٣٦٤ عام وأوصى لولده (فالج)

اما فالج فقد ولد ٥٤٠ وتوفي عام ٨٧٩ من الطوفان وعاش ٣٣٩ وأوصى لولده (رعوا) ،لقب فالج (بذي القرنين) ايضاً وهو المذكور بالقرآن الكريم (رعوا) ولد عام ٦٧٠ وتوفي عام ١٠٠٩ من الطوفان وقد عاش ٣٣٩ كما عاش والده تماماً وكان حجحه (صالح) عليه السلام وقد أوصى لولده (سروج) ولد سروج عام ٨٠٢ وتوفي عام ١١٣٢ من الطوفان وقد عاش ٣٣٠ عاماً واسمه ايضاً سرور وساروغ وقد أوصى لولده (نامور) ولد عام ٩٣٢ وتوفي عام ١١٤٠ بعد الطوفان وقد عاش ٢٠٥ أعوام وسلم الامر لولده (تارح) ولد عام ١٠١١ وتوفي عام ١٣١٦ بعد الطوفان وهو الامام المقيم للناطق الثالث ابراهيم الخليل وقد عاش تارح ٣١٥ عاماً اما هود فهو ابن عبدالله بن رجاح بن الخلود بن عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح وكان حجة للامام عابر وكان يقيم في حضرموت يدعو قومه لشريعة نوح وبعد ان اهلك الله قومه عاد الى مكة ودفن فيها .

أما صالح فهو ابن عبيد بن آسف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن تمود بن عائر بن ارم بن سارم وكان حجة للامام رعوا وكان يهدي قومه (ثمود) الذين كانوا يقيمون بالحجر وبعد هلاكهم هاجر الى مكة وتوفي فيها وعمره ٥٨ عاماً .

الفصل الثالث

(وفيه تأويل قصص ابرهيم ، واسماعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وأيوب)

قصة ابرهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد الرسول الامين ، وعلى وصيه علي بن ابي طالب ، وعلى الائمة من ذريتهما الى يوم الدين، وبعد.

لما انقضى دور نوح عليه السلام ، وكمل عدد أئمته ، ابتعث الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام نبياً . وأرسله واختصه بالخلة

(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)

وذلك لانه وفّى بما لم يعرف به آدم ونوح عليهما السلام ، ووصفه الله بذلك فقال تعالى :

(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)

وهذا الوفاء هو اتمامه للكلمات التي ابتلاه الله بهن ، بقوله تعالى :

(وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)

وكان تلقاهن آدم بعد ان ذلّ فتاب عليه بهن ، وذكر الله تعالى اطلاع ابراهيم على ملكوت السموات والارض ، لان الله سبحانه لا يطلع على ذلك الا من ارتضى من خلقه ، كما قال سبحانه في أدريس عليه السلام :

(ورَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)

وقال في عيسى عليه السلام :

(بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ)

وقال في محمد (صلعم) :

(سُبْحَانَهُ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

فأخبر رسول الله (ﷺ) عن الاسراء به كيف كان ، وصعوده الى السماء ، ومن رأى فيها من الملائكة والانبياء والمرسلين الذين مضوا من قبله ، وما فعل وأمر به ، وما قيل له في كلام طويل مأثور معروف عنه .

ومثل هذا فانما يطلع الله عز وجل عليه الارواح الزكية الفاضلة التي صفت له ، وزكت في طاعته ، واستخلصها سبحانه ، واصطفاها ، واختصها ، وارتضاها ، فيطلعها على ملكوت السماوات ، فتتصل بالارواح العلوية السماوية دون الاجساد التي تأوي اليها الكثيفة الارضية .

ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله (ﷺ) في حديث الاسراء به انه اسرى بروحه ، وروي عن بعض نسائه التي كان عندها في تلك الليلة

انها قالت : « مات إلا بين سحري ونحري » يعني ما ظهر لهـــا من جسمه ، فاما روحه (ﷺ) فقد انتهت الى الملكوت ، ورآه وجـال فيه ما رويَ عنه من ذلك ، وكذلك كان ابتداء مـا يأتيه الوحي فيما يروى عنه (ﷺ) برؤيا يراها في منامه .

وكذلك يمد الله عز وجل بذلك كثيراً من أوليائه ، ومنـــه قول رسول الله (ﷺ) « الرؤيا الصالحة جزء من الوحي » وكان اذا تغشاه الوحي نام واستغرق في نومه وغط واجهده ذلك وأكربه حتى يرفضَ عرقاً . ولذلك قالوا في ابتداء ما حدث به ذلك انـه مجنون ، لان امر الرسالة ومشافهة الارواح السفلية للارواح العلوية فيها ثقل ومشقة ، ومن ذلك قول الله عز وجل :

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلًا » .

ومن طبع البشر انه متى رأى شخصاً لم يره قط هـاله ، ونفرت منه طباعه ، واستوحش وخاف حتى يأنس به فيسكن اليه .

وكذلك قال ابراهيم (صلعم) لمـّا رأى اول الحدود العلوية الملكوتية السماوية : « قَالَ هَذَا رَبِّي » وقال كذلك للثاني ، والثالث ، فاذا رآه تناهى الى ما فوقه ، وترك المتناهي المستقل ، وتمسك بالعالي الى ان يتناهى فيتركه كما وصف الله عز وجل ذلك في كتابه الى ان توجـه الى باري البرايا ، وفاطر السموات والارض ، الذي كل حـد ومحدود دونه وهو المتعالي فوق الحدود ، والمحدودات بقدرته ، فملكوت السموات التي ذكر الله عز وجل انه اراها ابراهيم (صلعم) هي الحدود العلوية ، التي ينتقل التأييد الى الحدود السفلية عنهـا . وقد ذكرناها ايضاً ، فيما اراه اياها في ابتداء امره ونشوء خلقه في الدين على ما قدمنا القول فيه ، وذلك

ان جميع من خصه الله تعالى بالنبوة ، واصطفاه بالرسالة والامامة ، او لما دونها من حدود الدلالة من جميع البشر لم يكن قبل ذلك شيئاً ، ثم كان بقدرة الباري مخلوقاً كما خلق جميع البشر من مـــاء مهين [1] . ثم صوّر في الرحم ، وحمل ووضع ورضع ، وكان طفلاً لا يعقل ، ثم عقل وصار صبياً غير مكلف ، ثم بلغ وكلف كل ذلك .

فلله عز وجل في أرضه من البشر حدوداً اقامهم لدينه على ما قدمنا ذكره ، فلا بد لذلك المخصص المجتبى من معلم منهم يعلمه ، وهادٍ يهديه ، ومرشدٍ يرشده ، ومنعم ينعم [2] عليه ، اذا صار الى حـد التكليف ، الى ان يرتضيه الله عز وجل للمقام الذي أهله له فيصير اليه ، فابراهيم (صلعم) كان كذلك ، وكل نبي وإمام قبله وبعده وممن دونهما من الحدود الارضية ، الذين قدمنا ذكرهم في غير موضع .

فاطّلع اولاً على أقرب الحدود الارضية ، وهو الداعي ومثـله كما ذكرنا الكواكب في السماء ، وذلك ما قاله الله تعالى :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً » .

ومثل الليل كما ذكرنا الكتمان ، فلمّا اخـــذ عليه الداعي العهد الكريم ، وأمره فيه بالستر والكتمان ، جرّ عليه ذلك ، اي ستر عن الاباحة به ، والاظهار له ، ولم يطلعه بعد على غيره من الحدود ، وفتح له بعض ما عنده مما ينبغي ان يفتح لمثله ، وسمع من ذلك ما هاله سماعه واكبره ، وتوهم انـه الغاية وانه ليس فوقه حد . فقال في نفسه « هَذَا رَبِّي » اي متولي امري ، والسبب فيما بيني وبين الباري عز وجل

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (مهيمن) (٢) في نسخة (ه) وردت (ينعمون) .

مربي والمنعم عليّ ، وذلك كقول يوسف عليه السلام .

«ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ»

وهذا معروف في لسان العرب الذين يقولون للرجل رب النعمة ، ورب العبد ، ورب البيت ، اي المالك لذلك والمنعم به .

« فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ إِنِي لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ »

اي اني اسمعه واطلعه على الحد الذي فوقه ، وهو الحجة ، وعرفه ان الذي عنده هو من قبله ، واخبره عن ابنائه ، ووصله به ، واطلع على فوق ما اطلعه الأول من عنده ، وتوهم فيـــه كما توهم في الأول ، وظنّ ان الغاية والسبب الاقصى ، وذلك قوله :

« فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي »

وانحط له الحجة واطلعه على الحد الذي فوقه وهو الامام ، واطلع على اكثر ما اطلعه الثاني ، وأراه برهانه ، وذلك قوله :

« فَلَمَّا آمنَ قَـالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ ٱلظَّالِمِـينَ » .

يقول لئن لم اظفر بالهدى من عند صاحب الزمان اني لمن الضالين[1].

وقد ذكرنا فيما تقدم ان مثل القمر الحجة ، فلمـــا اطلع على امر الأمام وهو قوله :

« فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ »

(١) في نسخة (س) وردت (الفالين)

يعني اعترف انه ولي امره ومربيه الاكبر « فَلَمَّا أَفَلَتْ » يقول فلما وقف على خطط صاحب الزمان ، ووصفه لمن فوقه من الحدود العلوية.

« قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »

فتبرأ [١] مما كان عليه قومــــه من الشرك ، واخلص التوحيد لله وحده ، لا شريك له .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)

ثم لما رفع الله عز وجل ابراهيم عليه السلام الى درجــــة النبوة ، واختصه بالرسالة ، دفعه الى ملكوت السموات ليريه اياها على نحو ما ذكرنا من رفع الروح البسيطة اللطيفــــة الى ما شاكلها من الارواح البسيطة ، دون الجسم الكثيف ، الذي لم يبن وينشــــأ ويركب على الصعود والارتفاع ، بل تركيبه وهويته وطبعه الرسوب ، والخلود الى الارض ، التي منها خلق واليها يعود .

فلما اطلع على اقرب الحدود العلوية ، قدّر لذلك انه غايتها لتعظيم امر الله في نفسه ،واجلاله لما قابله ، وواجهه ، من تأييده ، وقدرته ، وكذلك كان امره في الحد الثاني والثالث ، الذي هو غاية الحدود العلوية ، فلما رأى تأييد الباري عز وجل له ، وما اوقفه عليه من عظيم قدرته ، واتصلت به عنه الكلمة ، اطلع على ملكوت السموات ،

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (فأبرأ)

كما اطلع على ملكوت الارض ، وحوى الفضل وحازه ظاهراً وباطناً . فكان كما قال عز وجل فيه ووصفه : (إِنَّهُ مِنَ الْمُوقِنِينَ)

فاما ما تأوله الجهال من انه كان ملك ذلك الزمان ورأى انه يولد فيه من ينزع ملكه ، وانه امر بقتل كل مولود ، وان ام ابراهيم عليه السلام هربت به الى البرية ، وآوت به الى مغارة بعد ان ولدته فكان فيها ، ولم يخرج منها ، ولا رأى شمساً ولا قمراً ولا نجماً حتى كبر ، فلما خرج ورأى ذلك قال ما قال ، فظاهر هذا التأويل يشهد بباطله ، ولو كان في مغارة كما قالوا ولا يرى منها السماء لكان لا يصل اليه فيها الهواء ، ولما عاش ، ولو كان كذلك وعاش ثم خرج الى الهواء دفعة واحدة لهلك ، وما كان يمنع امه اذ آوت به الى مغارة ان تخرجه الى الى نسيم الهواء ، والى ما لا بد منه الى الخروج اليه من حاجة الانسان وغير ذلك . واذا كان ذلك فأجدر ان تخرجه في الليل ، أو في اطراف النهار حيث لا يراه احد ، والشمس والقمر والنجوم نصب عينيه . ولولا انه عرف بالرب لما عرفه كما ان الطفل لو لم يسمع الكلام لما تكلم ، وبذلك يكون الولد اخرس لا يتكلم واصم لا يسمع ولا يعرف ما يتكلم به ، اذا لم يسمعه يتحرك به لسانه فيخرج الصوت من جوفه وحلقه كما تخرجه البهيمة التي لا تميز الكلام وان كان له لساناً ولهاة وشفتان .

وفساد ما تأولوه بأرائهم اوضح من ان يحتاج الى دليل ، او احتجاج عليهم فيه ، والاحتجاج في ذلك يطول ، ولم نبني هذا الكتاب عليه ، ولا قصدنا به اليه ، فلما رأينا انه يقطع عما قصدنا به اليه قطعناه ، وكذلك لم نذكر فيه تأويل العامة ، وما اتوا به مما يذكر من مثل هذا

الخلط في المواضيـع التي تجري هذا المجرى مما يراد به الباطن دون الظاهر ، ويكون الظاهر في القول مثلاً يراد به الباطن .

وقوله تعالى :

« وَإِذ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ »

يعني بالكلمات التي ابتلى بها آدم عليه السلام ، وهي حدود اصحاب الشرائع الستة التي ابيحت له ، ويفيد باقامتها على الفروض والتكليف فيها دون السابعة التي مد يده آدم عليه السلام اليها متعدياً لما نهاه الله عز وجل عنه من تناولها ، وهي التي تلقاها آدم عليه السلام لما تاب ، ومما تلقاه من حدودها العلوية ، وقد ذكرنا ذلك ، والكلمة هي صاحب الشريعة فأتم ابراهيم (ﷺ) الكلمات الستة على واجب الفروض والعمل فيما حدد في شريعته ، ولم يتعد الى غيرها ، ووفى بها ، فذكره الله عز وجل بالتمام والوفاء .

وأقام ابراهيم عليه السلام بالكلمات العلوية وهم الحـــدود ، بالقبول عنهم في حد العلم ، والكلمات السفلية وهم النطقاء الستة باقامة شرائعهم في دار العمل ، فكان آدم عليه السلام ونوح قد اقاما شرائعهما ، واقام بنفسه ما وضع بعدهما مما امر الله باقامته ، وقام هو بشريعته من الظاهر بما يستدل به على شرائع من يأتي بعده ، ودل عليهم بانفسهم ، وبلغ ذلك في الباطن الى من ينبغي ابلاغه اليه ، فاتم الكلمات ، ووفى بها كلها ، ولما اتم ذلك اقامه الله عز وجل إماماً ، وقال في كتابه :

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً »

وقد ذكرنا فيما تقدم تأويل الامام والامامة « قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » سأل الله ان يجعل الامامة في ذريته ، فقال عز وجل :

« لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ »

فأجابه الله سبحانه وتعالى في ان **يصيرها** فيمن لم يظلم من ذريته ، واخرجها ممن ظلم ،والظلم في لسان العرب وضع الشيء في غير موضعه .

ولما اقام الله عز وجل ابراهيم عليه السلام نبياً مرسلا بشريعة غير شريعة نوح عليه السلام ، اقام لها في الظاهر اصولاً يدل باطنه على ما تعبد الله به امته على حسبما ذكرنا فيما اقامه كل نبي مرسل بشريعة[1] جديدة ، فكان اصل شريعة ابراهيم (ﷺ) البيت ، فبناه ونادى في الناس ، واذن فيهم بالحج اليه ، والطواف به ، واقام له مشاعر ومعالم ومناسك ، واشرك معه في بنائه ولده اسماعيل عليه السلام وهو اساس شريعته كما قال الله تعالى :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ »

وقال :

« وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ »

فأقاما البيت في حرم[2] مكة حيث كان ولده اسماعيل ، واقامه مثلا له ولكل امام بعده ، وحج الناس الى البيت ، وطوافهم به ، مثلا ودليلا على انه كذلك يجب عليهم ، ان يأتوا الى الامام في كل مكان قرب منه ، او بعد عنه ، ويلوذوا به ، ويحوطوا به ، ويطوفوا

---

(١) في نسخة (ه) وردت (بشرع)
(٢) في نسخة (ه) وردت (حريم)

حوله ، وقوله تعالى :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ »

باطن رفعهما القواعد مثل على النطقاء الاربعة من بعدهما وهم : موسى وعيسى من ولد اسحق ، ومحمد والقائم صلوات الله عليهما من ولد اسماعيل فالقواعد أربعة وهم مثل على الاربعة حدود اي النطقـاء الأربعة ، الذين يأتون بعدهم ، وقطعا بالحجر على ركبتين منه ، وذلك دليل على انقطاع النبوة من ولد اسحق بعد موسى وعيسى عليهما السلام وبقاءها في ولد اسماعيل، وذلك ان الطواف في الاسلام يقع على ركنين من البيت الذين مثلهما محمد والقائم صلوات الله عليهما والركنان الآخران اللذان مثلهما موسى وعيسى صلوات الله عليهما لا يقبلان ولا يلتمسان ولا يقربان ولا يطاف حولهما ، وانما يطاف من وراء الحجر الذي لصق بهما ، وحجز الطائفين عنهما وعن لمسهما ، كون امرهما ينقطع ويبقى الطواف بالبيت على النـاطقين الباقية شريعتهما من ولد اسماعيل الذي نصب البيت مثلا له في ابتدائه ، وللائمـة واحداً واحداً من بعده ، وجعل للبيت بابـاً واحداً مثلا للاساس وهو وصيه اعني الامام الذي جعل البيت مثلاً له وحوله اثنى عشر باباً امثال النقباء الاثني عشر الذين يعرف الامـام من قبل كل واحد منهم ، وهم الموزعون في الجزائر الأثنى عشر ، كما يدخل الداخل من الباب الى البيت وجعل الطواف حوله سبعة أشواط ، وكذلك السعي بين الصفا والمروءة، وهو مثل للنطقاء السبعة ، والائمـة السبعة ، والحجر الذي نصب في الركن مثله يد الناطق ، واستلامه مثل مصافحة المبايع له . ولذلك جاء في الحديث ان الحجر يمين الله عز وجل . وان الله لمـا اخذ العهد على بني آدم أمر الحجر فالتقمه ، ولذلك يقول من يستلم الحجر « اللهم امانتي أديتها وميثاقي تعاهدته ليشهد لي عندك بالبلاغ » وأمر بعد الطواف بالبيت

بصلاة ركعتين ، وهما مثلاً على الطاعة للأمام والحجة ، وبأن يصليا من وراء المقام ، ويجعل بين يدي المصلي ، وانه لا تجوز الصلاة بينه وبين البيت . وذلك مثل على انه لا يتوجه الى الناطق الا بوصيه ، ولا يقبل عمل من تعداه ورفضه ، وانه اطاع الناطق وتوجه اليه ، لقوله عز وجل .

« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »

وأمروا بعد ذلك بالشرب من ماء زمزم ، وان يغبطوا [1] منه عليهم وذلك مثل لقبول العلم ، وابقائه وطلبه ، والصفا والمروة هما مثل الأمام والحجة ايضاً ، والطواف بهما مثل لطاعتهما ، وعدم الخروج عن امرهما او مفارقتهما وسيأتي شرح ذلك في باقي مناسك الحج عند تمام ذلك ، وانما قصدنا ههنا الأخبار عن البيت لانه جمع كافة اصول الشريعة ، ودل عليها مثل ما جمعت ذلك السفينة ودلت عليه ، وكذلك الشهادة بحسب ما ذكرنا عند ذكرها .

وكما قلنا ان ظاهر الأصول مختلفة ومعناها فيما تدل عليه وما جعلت مثل له ، فمن لم يعرف حدودها وبواطنها ، ولم يقم بإداء حقوقها ، لم ينفعه علم ظاهرها ، ولم يعلم حقيقة ما هو عليه كما يروى عن عمر بن الخطاب انه قبل الحجر الاسود وقال : اما والله اني أعلم انك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولكني رأيت رسول الله يفعل مثل هذا ففعلته » وقوله سبحانه وتعالى :

« وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ »

يعني طهارة اسم الحرم من كل دنس ، « للطائفين » يعني : اللواحق الاثنى عشر اصحاب الجزائر الذين هم الطائفون [2] بالامام في الجزائر كما

(١) في نسخة (ه) وردت (يغيظوا) . (٢) في نسخة (ه) ورد (الطاعنين) .

طافت أبواب المسجد الاثنى عشر بالبيت واحاطت به كل من جهة ، وقد ذكرنا ذلك ، « والعاكفين » هم الائمة الملازمون المقيمون « والركع» الأسس ، « والسجود » النطقاء ، « أَذِّنْ في النَّاسِ بالحجِّ » يقول اعلن الدعوة ليستجيب لك المستجيبون .

ومما ذكره الله عز وجل من امر ابراهيم قوله تعالى

« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً »

قوله : « إِذْ قَالَ يَا أَبَتِ » يعني الذي كان اخذ عنه علم الظاهر من علماء الظاهر ، فنسب الى ولادته من قبل الظاهر ، فلما انتهى ابراهيم الى ما رقي اليه واتصل بحدود الباطن ، خاطب الذي كان رباه بالظاهر يحرضه على الدخول فيما دخل فيه بقوله :

« يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً » .

يعني من أخذ عنهم ذلك العلم الظاهر وهم كما قال الله عز وجل :

« صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ »

وقوله :

« يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً »

يعني ما جاءه من العلم الروحاني المخزون .

« فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ »

اي ادلك على امام زمانك وهو الصراط السوي ،

وقوله :

« يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا » .

يعني لا تطع من هو ضد صاحب الزمان الذي عصى خالقه برده على امره ، وقوله :

« يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا » .

يعني تكون مثله في ولايتك له وقوله :

« أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ » .

يعني رؤسائه الظاهرين ، واسلافه الذين اخذ عنهم علمه .

« لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا » .

يقول لئن لم ترجع عمّا انت عليه لأرمينك بالقبح فتباعد عني .

« قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي » .

، اي دعا له بالسداد ، وقوله « سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي » اي استدعي لك ، واسأله فوائده عليك ، وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ » .

يقول أتيناه تأييده بالكلمة ، منّا ، وقد علمنا ما يتناهى اليه أمره .

وقوله تعالى :

« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ » .

يعني الذي علمه علم الظاهر الذي قدمنا ذكره ، واما آباء النطقاء ،

فلا يكونون من الفكرة ، وقد قال رسول (ﷺ) : « نقلت من كرام الاصلاب الى مطهرات الارحام » والكرم التقوى فقال عز وجل :

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

والمتقون هم المؤمنون المخلصون ، فقال لأبيه الذي علمه علم الظاهر كما قدمنا ، لأن الابوة في الباطن تكون للمؤمن وللكافر فقال لابيه هذا وقومه واهل نحلته من الظاهر .

(مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) .

يعني الذين مثلوا انفسهم وتشبهوا بأهل الحق وليسوا من اهله :

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) .

يقولون على هذا أدركنا ابائنا :

(قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ) .

يعنون أعندك حقيقة ما تقول ، ام ان قولك لا حقيقة معه .

(قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ) .

يعني انه خالق الظاهر والباطن .

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) .

يعني عجزهم عن معرفة دعائم الدين وحدوده .

(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) .

يقول ان ادبرتم عن الحق اريتكم كيف اكسر أصنامكم يعني أهل

الباطل ، الذين يأخذون عنهم ، علمهم واكثرهم بحجة الحق .

(فَجَعَلَهُمْ جذاذًا) .

يعني لما كلمهم وأقام الحجة عليهم فرقهم وبددهم .

(إلاَّ كَبِيرَهُمْ لَعَلَّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ) .

يعني رئيسهم وانه لم يفاتحه بل تركه ليرجعوا اليه فيما كسره عليهم فيعلمون ان لا شيء عنده ، قال اي الاتباع من فوقه لما سمعوا ان اكابرهم قد اكثروا بالحجة عليهم ، ولم يكن يعلم اكثرهم من فعل ذلك بهم .

(قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) .

يعنون بدفعه حقهم بزعمهم ان اكابرهم أصحاب حق قال الذين سمعوا منهم .

(قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ) .

والفتى في التأويل المرشح المستعد للامامة .

(قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) .

فأحضروه معهم ليسمع الملأ قوله ، وقولهم :

(قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ انْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) .

يعني لما حضر ابراهيم سأله الملأ قائلين أأنت الذي كسرت اكابرنا بحججك ، فقرّ ربهم وقال لهم بل كبيرهم :

(فَاسْأَلُوهُمْ اِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ)[1] .

اي اسألوهم ان كان عندهم حجة فلما رأوا ان ليس لرؤسائهم ولا لكبيرهم حجة يدحضون[2] بها حجة ابراهيم .

(فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ) .

اي رجعوا الى أكابرهم الذين كانوا يأخذون عنهم وقالوا لهم عندما رأوا انقطاعهم عن الحجة :

(إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) .

اي بوضعكم الامر في غير موضعه .

(ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ)

يقول ثم نكسوا على رؤسهم يتفكرون في انكسار حجة رؤسائهم وعنفهم ابراهيم عليه السلام .

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

يعني أتطيعون من دون الله من يحلل لكم ويحرم عليكم برأي نفسه ما تحللونه وتحرمونه اتباعاً له ، وقد ذكرناه في غير موضع .

قال رسول الله (ﷺ) لعدي بن حاتم وكان من العرب على دين النصرانية ، ثم اسلم وسمع قول الله عز وجل :

« إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ »

فقال عدي : ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، فقال (ﷺ) : « ألم

---

(١) وردت بنسخة (س) (ينصطون) . (٢) وردت بنسخة (س) (يضحضون) .

يكونوا يحللون لكم ، ويحرمون عليكم ، وكنتم تستحلون ما احلوه لكم ، وتحرمون ما حرموه عليكم ؟ (قال : بلى) قال (صلعم) : فتلك عبادة منكم لهم وقوله تعالى :

« قَالُوا احْرِقُوهُ وانْظُرُوا آلِهَتِكُمْ ، إنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ »

يعني اجماعهم على رفع امره الى سلطان رفاقهم والوقيعة فيه عنده ، واحماءهم اياه عليه ، وهذا جائز في اللغة ، يقول الناس : احرق فلان فلاناً عند السلطان ، اي سعى به عنده ، وألهب صدره عليه ، بما اغضبه عليه .

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إبْرَاهِيمَ)

يعني انه سبحانه جعل كيدهم ، وما اتوا به سلطانهم برداً في قلبه ، ولم يستعر له قلبه ، ولم يغضب عليه ، بل ناظره ، وما حجبه كما وصف الله عز وجل ذلك بقوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِي حَاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيت)

(ظاهراً وباطناً قال الملك) : انا احي واميت ، اي أعفو عمن استحق القتل فأحييه واميت من اريد قتله . هذا قوله في الظاهر ، وادعى ايضاً بحقيقة علمه ، وانه يحي من انشأه فيه ، وان احب موته كسر عليه ، وأوقعه في الشك والحيرة ، واخرجه منه ، فيكون بذلك اماته .

(قَالَ ابْرَاهِيمُ فَأَنَّ اللهَ يأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)

عنى بالشمس كلمة الله التي اظهرها من ناطق الزمان ، وجعل غروبها في اساسه ، فان كنت صاحب الكلمة فغيرها من المستفيد ، (فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ) يعني الذي انقطع وانحصر .

(وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ)

يعني من وضع الشيء في غير موضعه ، وقد اولنا ذلك .

وكذلك فان هذا الملك ادعى ما ليس له ، ووضع نفسه في غير موضعها ، فلم يهده الله تعالى لرشده ، ومن ذلك قول ابراهيم عليه السلام .

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِين)

يعني اقباله عليه بقلبه وجوارحه .

(قَالَ رَبِّي هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ)

يقول رب هب لي اولا مستجيبين مخلصين (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وقد ذكرنا ان الغلام هو المرشح للامامة ، والمستعد [1] لقبول الكلمة ، وهو اسماعيل عليه السلام (فَلَمَّا بَلَغَ مِنهُ ٱلسَّعِي) يعني ما سعى به في التربية .

(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلمَنَامِ إِنِّي إِذْبَحُكَ)

اي آخذ عليك ميثاق الامامة ، واقيمك اماماً لشريعتي .

(فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟) يؤكد ذلك عليه لما يعلم من ثقل هذا الامر وشدته وصعوبته ، وقد ذكرنا فيما تقدم ذلك .

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (والمستفيد) .

(قَالَ يَا أَبَتِ إِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)

يعني على حمل اثقال الملكوت (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يعني استسلما كليهما ، ابراهيم بتسليم الامر ، واسماعيل بتسلمه منه واحتماله ، (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) اي اضجعه وانزله منزلة القبول منه وخضع اسماعيل له .

(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)

اي اشعرناه بالوحي بذلك ، اي صدقت امرنا ، وسلمت اليه .

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

يعني جزاء من احسن بالقبول والاداء بمثل هذه الكرامة .

والذبح في الباطن مثله اخذ الميثاق ، لان الذبح يحدث الموت ، وهو سكون الحركات الجسدانية ، فرقيَ اسماعيل الى حـــد التأويل والستر ، والقيام بدعوة الباطن ، ونصب الحدود لها ، وأسكت عن المفاتحة والبيان والمناظرة بالظاهر ، ونصب لذلك اسحق عليه السلام دونه ، وكان اسماعيل في حـــد الاساسية [1] واسحق دونه في حد الامامة [2] وذلك قول الله عز وجل « وَفَدَيْنَـاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » وجاء في الظاهر انه فدي بكبش ، والعرب تقول للرجل السيد الحامي عن قومه ، فلان كبش قومه ، والذبح في الباطن هو اخذ الميثـاق كما قلنا و وذلك يؤخذ على النبيين ، والاسس والائمة متى اهلوا لذلك ، كما انه

---

(١) في نسخة (س) جاءت حد (الاسوسية)

(٢) في نسخة (س) جاءت (حد الامامية)

يؤخذ على المستجيبين في حدهم الذين هم فيه ، فلا يأخذ النبي والاساس والامام شيء مما أهل له حتى يؤخذ عليه الميثاق في ذلك ، كما انه لا يفاتح المستجيبين ، حتى يأخذ العهد عليهم فاذا صار النبي والاساس والامام الى حدودهم ، اشتغلوا عن الجسد باليمين ، وقهرت اجسادهم قوة التأييد ، واطلعوا من الملكوت على ما تصغر الدنيا وما فيها عندهم ، ففدى اسماعيل باسحق ، ورقي الى حد الاساسية ، وأهل الحق دونه في حد الامامية ، الذي كان اسماعيل دعي اليه ، فأجاب واستسلم لأمر الله ، وصبر على الكون بدون درجة ، ففداه الله عن ذلك بصبره ، واستسلامه لأمره ، ورفعه الى درجة الاساسية ، واكرمه بالنبوة والرسالة ، بقوله سبحانه وتعالى :

(وَاذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَعِيلَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً) .

وقوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

ففي هذه القضية تأويلين ، الاول دون الآخر ، فأحد التأويلين ان ابراهيم عليه السلام سأل في ابتداء امره ان يرى كيف يحي المستجيبين

للدعوة من موت الجهل والغفلة والضلالة ، والرؤيا ههنا العطية والموهبة مثل قول موسى عليه السلام :

(رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)

أي هب لي ذلك ، وتفضل عليَّ به ، فسأل ابراهيم (صلى الله عليه وسلم) مرتبة الحجة وكان دونها ، وقد كان الله عز وجل وعده ان يقيمه اماماً ، بقوله عز وجل

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)

فكان سؤاله هذا استنجازاً للوعد فقيل له (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) اي اولم تصدق بالوعد كما حكاه الله عز وجل عن أخوة يوسف قولهم لابيهم »

(وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)

اي بمصدق لنـا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)

« قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » اي يسكن لما تعلق به

(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ)

يعني اعمد الى اربعة من المأذونين (١) بالمفاتحـة (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) وبلغهم حدود النقباء ، وتولهم بنفسك بالمفاتحة والتربية ، فاذا فعلت ذلك بهم واكملت امرهم فأمر كل واحد منهم ان يستخلص لنفسه كما استخلصتهم انت رجلين ، ويلي امرهما بعد ان ترفعهم الى حدود النقبـاء ، فيكونوا اثنى عشر نظير شهور السنة ، اربعة منهـا حرم (ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) الذي جرت عليه سنة الله في اوليائه .

(١) في نسخة (هـ) جاءت (المأذونون)

(ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جزءاً)

اي اجعل بكل جزيرة من جزائر الارض واحداً منهم ، يعلو بها ، بما ايدته به من الحق على جبلها ، وهو المتغلب عليها .

(ثُمَّ ادْعُوهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)

أي يأتونك مطيعين وكل من فيها ، واعلم ان الله عز وجل حكيم .

فعمت دعوة ابراهيم عليه السلام اقطار الارض ، وكل امة تقر بالباري عز وجل ، وبالرسول فقد اقرت بفضله وأجابت دعوته، والتأويل الثاني قوله :

(أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)

اي اطلعني كيف يرقى العبد من عبادك من حد الى حد التأييد ،

(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ)

يعني جرى بما جرى عليك من ذلك وتصدق [1] به (قَالَ بَلَى)

قد صدقته وعرفته (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)

يعني اذا كان ذلك على من هو دوني ، وأحطت به اطمأن قلبي

(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ)

أي اعمد الى اربعة من المأذونين بالمفاتحة (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ)

يعني ضمهم الى نفسك بالمفاتحة والتربية ، فـاذا فرغت منهم فقطعهم بالكسر عما جمعتهم عليه بالبيان .

(وَاجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً)

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (وتصادق)

اي أضف كسرك الذي كسرته عليهم الى لواحقك واحداً واحداً .

(ثُمَّ ادْعُوهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)

يعني اذا فعلت ذلك ادعهم بتأييدك فترى ان التأييد قد ظهر على جميع من ذرعته في قلبه ، وكأنهم لم يسمعوا كسراً ، ولا قطعاً ، ولا شيئاً من ذلك ، ويجيبونك مسارعين عدواً ، فإذا رأيت ذلك ، فاعلم ان الله عزيز حكيم ، اي عزيز بما ابدع ، حكيم بما احكم .

وممن ذكره الله عز وجل في كتابه ممن كان في دور ابراهيم واسمعيل واسحق ، وقد ذكرنا مقامهما ، وقوله تعالى في اسمعيل انه كان صادق الوعد ومنهم لوط عليه السلام وكان من نقباء ابراهيم (ﷺ) .

قصة لوط . .

كان لوطاً من نقباء (حجج) ابراهيم (ﷺ) في جزيرة قد كثر علم اهلهـــا ، واتسع ثم تداخلهم الفساد ، فعدلوا عن مراتب الحدود التي حددت ، والترقي في الدرجات التي نصبت فيهم ، وجعل بعضهم يفاتح البعض بالتأويل والباطن ، ويكسر بعضهم على بعض ، فنهاهم لوط عن ذلك ، وامرهم بالالتزام بدعاتهم ، والاخذ عنهم ، وستر علم الباطن ، فلم يفعلوا كما امروا وهتكوا الستر ، ونقضوا الميثــاق ، واجروا الحقيقة على مجرى الظاهر ، وزرعوه في غير موضع الولادة ، وتركوا ازواجهم الذين امرهم الله عز وجل باتيانهم ظاهراً وباطناً ، واكتفى بعضهم ببعض في مثل ذلك من الظاهر والباطن ، وذلك قول لوط :

« أَتَأْتُونَ ٱلذِّكْرَ إنَّ ٱلذِّكْرَ مِنْ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ ربُّكُمْ مِنْ ازواجِكُمْ بل انتم قَوْمٌ عَادُونَ »

يعني المستجيبين لظاهر الدعوة المتهيئين للقبول .

« قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ »

عنى لنخرجنك من اضافة الدعوة اليك ، ولما أكثر عليهم لوط الموعظة :

« قالوا : أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ»

اي يحفظون حدود الدعوة .

والقرية ههنا الدعوة برسمهم ، وأضافوها الى انفسهم ، واستحلوا مثل ذلك من ظاهر المحارم ، الذي هذا باطنه ، فنكح بعضهم بعضاً ، ودخل معهم في ذلك حجة لوط ، وهو الذي كنى الله عز وجل عنه بامرأته ، فبعث الله عز وجل ملائكة لهلاكهم ، وتدميرهم ، وحبسهم في صور الآدميين ، ومروا بابراهيم ، كما امروا ان يبشروه باسحق ويعقوب ، وذلك قول الله تعالى :

« وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَماً فَقَالَ سَلاَمٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ »

يعني انهم فاتحوه بالحقيقة ، فتوهم انهم من بعض المستجيبين ، ففاتحهم بذلك ، وانزلهم ، وذلك بحسب ما كان الناس يردون عليه لما اذن فيهم بالحج ، فتوهم انهم ممن جاءوا لذلك وذبح لهم عجلاً [1] وخذه ، اي

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (عجل)

شواه ، واتاهم به ، فلم يمدوا ايديهم اليه ، فلما رآهم كذلك انكرهم كما قال تعالى :

« وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ »

والعجل في الباطن مستجيب له قوة المفاتحة ، احضرهم اليه ليفاتحهم بحسب ما كان يفعل فيمن اتاه ، فلما لم يدخلوا معه في الكلام ، انكرهم فكشفوا له عن امرهم ، وما امروا به .

« وإمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ »

وامرأته في الباطن أساسه ، وكان قائماً فيما امر به يأخذون عنه ، ونال خطأ[1] من ذلك المجلس ، وبما جرى فيه بين ابراهيم والملائكة . فتقوّى بذلك وظهرت قوته فيـــه ، ففطنت الملائكة لما تأثر فيه ، فبشروه[2] بالعلو والرفعة ، وذلك ما قدمنا ذكره ، مما نقل اليه من حد الامامة الى حد الاساسية وبشروه باسحق ، وانه فدَى به ، واخبروه ان يعقوب يصير بعد اسحق .

« قَالَتْ يَا وَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ »

يعني حين كان الناطق يؤيدني ، ويعينني على العمـل والاجتهاد في الدعوة ، وكنت حريصاً على ذلك مقبول القول عنـد القوم ، لم يجبني أحد ، فاليوم عندما امسك هو عني وعن تأييدي لبـــلوغي الى حيث

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (حظ) (٢) في نسخة (س) جاءت (فباشروه) .

بلغت وعجزت عن قبول ما كنت قادر عليه يستجاب لي ، ويكون لي الولد .

« قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ رَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعَ »

الى ما كان ارتاع منه ، وجاءته البشرى باسحق ويعقوب وما رقيا اليه .

« يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ »

أي جعل يسأل في قوم لوط .

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ ٱلقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ، قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطاً »

يقول : ان في هذه الدعوة التي تريدون بها ما تريدون لوطاً وهو صاحبي ومؤمنون معه .

« قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَهُ وَأَهْلَهُ (يعنون المؤمنين) إِلَّا إِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلغَابِرِينَ »

يعنون حجته الذي هلك فيمن هلك ، وغيّر وبدل انه يكون فيمن يحل عليهم العذاب .

ولما صاروا الى دعوة لوط وقصدوا اليه رآهم قومه ، فأسرعوا نحوهم قوله تعالى :

« وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ »

اي اسرعوا اليه .

« وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ »

وظنوا انهم ممن أتاه من المستجيبين ممن لم يدخل مدخلهم ، وظنّ لوط انهم كذلك من المستجيبين ممن لم يدخل مدخلهم . فأتوا ليفاتحوهم ، فخاف ان يفتنهم قومه ، ويصدوهم عنه الى ما هم عليه ، فقام الى من اتاه منهم .

« قَالَ يَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي »

يعني لواحقه يفاتحونكم وهم يكلمونكم بما تريدون ، وهنّ اطهر لكم اذا كانت مفاتحتهم جائزة لكم ، وهؤلاء لا يحل لكم مفاتحتهم .

« فَاتَّقُوا ٱللهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ، قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ »

اي مالنا عند لواحقك من حاجة ، وانك لتعلم انما نريد ان نرد هؤلاء عنك الى ما نحن عليه .

(قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)

يقول : ان استطعت على دفعكم ، وإلا لجأت الى الناطق عليه السلام فكشفت الملائكة عن امرها .

(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ)

يقول اذهب (١) باهل دعوتك المستجيبين لك الذين لم يغيروا ، ولم

---

(١) في نسخة (ه) وردت (اذهبوا) .

يبدلوا في حدود المعرفة ، ومنازل البيان ، وقوله : بِقَطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ اي بمن بقي من لواحقك اهـــل الستر الذين لم يدخلو مدخل هؤلاء « وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ » يعني ما كان قبله من الظاهر قبل دخوله في الحقيقة « إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ » يعني بطانتك ، وموضع سرك ، من لواحقك الذين دخل معهم ، فانه يصيبها ما يصيبهم من الانتقام لمساعدتها لهم .

(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)

يعني ظهور امر ناطق انت متصل به .

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا)

يقول لما ظهر امرنا من جهة الناطق وهو ابراهيم (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) يقول : حططنا درجة من كان علا في الدعوة الى اسفلها وهو الظاهر

(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ)

يعني رميناهم بمسائل صعبة ، من قبل الناطق دفعتهم بالباطن الحقيقي قبل هلاكهم في الظاهر ، لئلا يخرجوا من الدنيا غير محجوجين [1] .

فهذا ما جرى لمن أمر بهلاكهم ، واهلكهم الله بالعذاب الظـــاهر والباطن ، كما فسقوا في الظاهر والباطن وعلى ذلك تجري الامور بالكمال ولو كانت في البــاطن دون الظاهر ، أفي الظاهر دون الباطن لم يكمل بالحقيقة ، كما لا يتم شيء الا بظـــاهره وباطنه ، ولا يكون شيء من الاشياء الا وله باطن وظاهر .

---

(١) في نسخة (هـ) وردت غير (محجوجين) .

قصة يوسف ويعقوب

يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام ، انتهت الامامة الى ابيه يعقوب ، فأقام دعوته الظاهرة، ثم نصّب [١] لواحقه ، وأهل يوسف عليه السلام لمقامه ، وآخى له ، للاتصال به من اللواحق فلمّا بلغ يوسف وصار الى حده ، اتصل بـه التخيل من التأييد من قبل الله عز وجل ، فأراه ان الامـامة ستصير اليـه ، وان الامام وحجته ولواحقه سيخضعون له ، ويصيرون تحت امره بتسليم ذلك اليه ، فذكر ذلك لأبيه يعقوب ، وهو قوله :

« يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحدَ عَشرَ كَوْكَباً وٱلشَّمْسَ وٱلقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي سَاجِدِينَ »

فعلم يعقوب ان ذلك سيكون ، وأمره ان يكتم [٢] ذلك عن اخوته بقوله :

« قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخوتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيداً إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلانْسَانِ عَدُو مُبِينٌ ، وكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِمُكَ مِنْ تَأوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ » .

يعني تأويل الكتب المنزلة ، ومنه قوله تعالى :

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (أنصب)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (يتكلم) .

« اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً » .

وتأويل أخبار الرسل وكلامهم وهو حديث ايضاً :

« وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

واشتدت محبة يعقوب له ، وآثره على اخوته ، لمّا علم ان تخيل التأييد اتصل به ، وانه سيصير الى ما ذكره ، وعلم اخوة يوسف بميل يعقوب اليه ، والى اخ كان له من لواحق يعقوب ، فاجتمع العشرة ، وقالوا :

« لَيُوسُفُ وأخوهُ أَحَبُّ إلى أبينا مِنَّا ونَحْنُ عِصْبَةٌ إنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .

يعنون ابوة الامامة ، وانه ضلّ عن طريق الأئمة ، اذ أراد ان ينصب يوسف واخاه وهما أصغرهم ودونهم في العلم ، فيما رأوه ، وانهم رأوا انهم أحق بذلك منه فحسدوه .

وقالوا : (اُقْتُلُوا يُوسُفَ) اي ألقوه في امرٍ لا يكون بعده مؤيداً ولا يصلح لما اهّله له يعقوب ، (واُطْرَحُوهُ أَرْضاً) اي ضموه الى احد من حسالة القوم فيفسده .

« يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ ابِيكُمْ وتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ »

اي يصفو لكم تأييد أبيكم ، وتتوبوا من هـذا الحدث فيما بعد ، وتصلحوا انفسكم .

« قال قائل منهم لا تقتُلوا يوسُفَ »

كأنه استعظم الأمر لان قتله معناه قطعه من التـأييد ، وذلك يفسد النسل ، ويعظم من أجله الذنب ، ولكن :

« أَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ »

ما اجمعتم عليه ، يقول : القوه الى رؤساء اهـل الظاهر ، فيكون ممنوعاً ممّا رمتم ، ولا تفسدوا عليه العلم ، ويلتقط كلامكم بعض المختلفين في الظاهر ، فأتوا يعقوب عندما ارادوا الخروج الى جزائرهم .

« قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ »

اي نثقفه ونقومه لتكون له دعوة .

« أرسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ »

اي يخوض في الظاهر مع اهله .

(وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

اي نحفظه من ان يذلّ بشيء قال يعقوب :

« إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ ٱلذِئْبُ وانْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ »

اي تغفلون عــنه بمفاتحة من تفاتحونه ، وهو حديث العهد فيخرج المسترق للسمع المحتال من اهل الظاهر لبعض ما عنده .

« قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ »

اي اذا وصل اليه السارق بذلك ، فاننا نخسر ما أردناه من اصلاحه

ولكن انما أردنا ان ندربه ، وان يباشر الناس ، ويعلم حقائق ما عندهم ، وما هم عليه ، فأذن لهم يعقوب في ذلك ، وأطلقه في الدعوة ، مأذوناً يكاسر [1] أهل الظاهر .

فلما ذهبوا به ، واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب خرجوا وخرج معهم ، وبعدوا عن يعقوب ، واجمعوا على ان يلقوه الى رئيس من رؤساء أهل الظاهر ، يشغلوه به ليصده عمّا عنده ، ويتغلب عليه بقوة ما لديه من ظاهره ، فيصير في غيابة [2] الظاهر ومهواته .

« وأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وهم لا يَشْعُرُونَ »

يقول : اتاه تخيل من التأييد بمكرهم به ، وانه سيظهر عليهم ، ويحتج بما فعلوه على جميعهم ، وأتوا به الى رئيسٍ من رؤساء الظاهر ، له علم هو به متسع ، وقالوا ليوسف اكسر على هذا فلعلك تظفر به ، وقالوا لذلك الرجل هذا انسان قد علق بأمر وفارق الحق فيه ، فلعلك تكسب ثوابه في ردّه عمّا سبق اليه ، ومضوا وتركوه وانصرفوا الى يعقوب .

« وَجَاءُ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ »

اي أتوه سراً يظهرون النقمة على يوسف .

« وقَالُوا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا »

اي خلفناه بما استودعناه من البيان (فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ) فغافلنا المسترق للسمع الذي حذرتنا منه ، فأخذ ما عنده .

---

(١) في نسخة (س) وردت (يكارس) .

(٢) وردت في نسخة (س) (غيبة) .

« وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ، وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ »

اي اختلفوا عليه بما يوجب الشك فيه ، وهذا من الامثال التي ذكرها الله عز وجل انما يضربها لعباده ، فاما من حمل ذلك على الظاهر من لفظه ، فكيف يستقيم لتصديقهم ان يأكله الذئب والذئب لا يفترس الانسان ولو فعل ذلك لم يأكله كله ، ولو وصلوا الى قميصه لوصلوا الى باقي جثته ، وكانت الحجة تلزمهم فيما ادعوه من ذلك ، ولم يكونوا ليدعوا بحجة لا تقوم لهم .

قال يعقوب اذ انه قد علم ما صار الى يوسف من تخيل التأييد .

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)

ووثق يعقوب بما عند يوسف انه لا يفعل ما قذفوه به ، واقام يوسف عند الرجل يكاسره [1] (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) اي قوم مختلفون في الظاهر الى ذلك الرجل الذي عنده يوسف ، يأخذون عنه ويتعلمون منه (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) اي زعيمهم في القول ، فدخل الى عند الرجل فوجد عنده يوسف (فَأَدْلَى دَلْوَهُ) اي ألقى مسائله ، ففاتحه يوسف فأصاب فيه فضلا من القبول عنه ، فلصق به الرجل ومضى معه الى اصحابه ، وخلابهم دونه (قَالَ يَا بُشْرَى) اي ابشركم ، (هَذَا غُلَامٌ) اي رجل مرشح ، ومتهيء للامامة ، وقد سمعت منه ما لم اسمعه من احد

---

(١) في نسخة (ه) جاءت (يكاسيه)

قبله ، واجتمع يوسف معهم ، وفاتحهم فأعجبوا به (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) اي جمعوا ما استفادوه من العلم بحسب ما امرهم ، وكانوا من اهل مصر، فسألوه المسير معهم اليها ، وكان مأذوناً له في التوجه ، حيث شاء فمضى معهم ، وأروا الرجل الذي كان عنده يوسف (إِنَّهُمْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) إنه لا حاجة لهم فيه لكي لا يتشبث به خوفاً عليه منه .

ولمـــا صاروا في مصر وهي يومئذ مدينة القبط ، وفيها مملكتهم ، ورئيسها يومئذٍ صاحب امر دينهم ، وفـــارق يوسف حدود الشام الذي كان فيه يعقوب اماماً ، وكتم يوسف نسبه ، وأقام مع القوم الذين اتوا به ، وسألهم عنه ، فأنكروه فاعطاهم دراهم ، ورغبهم بهـا ، فاطلعوه عليه ، واحضروه له ، وفاتحه فأعجبه ما عنده ، فضمه الى حجته الذي أهله لموضعه ، وهي التي ذكرها الله تعالى انها امرأته ، وهو قوله تعالى:

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكَانُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ، وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ ، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً)

يقول : لعلنـــا ننتفع به اي بعلمه (او نتخذه ولداً) اي نصرفـه الى ما نحن عليه ، فيكون لنـــا ولداً في الدين ، وذلك لما رآه من حسن بيانه وتوجيهه ، وذلك هو الحسن [1] الذي كان يوسف يوصف به ، فضمه حجة الملك اليه ، وحازه لنفسه وجعل يفاتحه ويعجب بما عنده ويعظمه ويكرمه ، وقد عز جانبه ، وقوي امره ، وذلك قول الله عز وجل.

---

(١) في نسخة (ه) وردت (الاحس)

(وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ)

اي نفيده من علم التأييد .

(وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

ولما بلغ اشده، يقول : انتهى الى حدود التأييد(وَآتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا) يعني اتصل التأييد به .

(وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ، وراودَتْهُ التي هو في بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ)

أي أراد منه الذي هو عنده ، وهو حجة الملك المؤهل لمكانه ان يطلعه على حكم الحقيقة ، وذلك لما رآه يرمز به ، ولم يكن يوسف يفاتح قبل ذلك الآن من قبل الظاهر الذي يؤيده العلم الحقيقي الباطن ، فلما اتصل به التأييد ، رمز به واستشرق الذي هو عنده اليه ، ونزعت نفسه نحوه ، وأكد له على نفسه انه لا يقبل من أحدٍ الا منه ، ولا يطلع على ذلك احد غيره ، وذلك قوله :

(وَغَلَّقَتْ ٱلأَبْوَابُ وقالت هِيتَ لَكَ)

اي اقبل على ما أدعوك اليه ، قال يوسف :

(مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أحسَنَ مَثْوَايَ)

بما امدني به من التأييد .

(إِنَّهُ لا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِهَا)

اي همت به ان يفاتحها بالعلم الحقيقي ، وهمّ هو ان يلقي ذلك لها.

(لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)

اي تأييده ان يضع الحكمة في غير موضعها ، وعلى غير نطاقها ، وحدودها ، وترتيبها ، هذا تأويل ما ذكره الله عز وجل من قصة يوسف .

فأما ما نسبه اهل الظاهر اليه من امرأة الملك في الظاهر زوجته ، وهمّت به ، وهمّ بها ، اي وصل الهيجان بهما ، وقعد منها مقعد الخنا، فقد عصم الله اولياءه من ذلك ، اذ هو الزنى الظاهر ، وقوله : (واسْتَبَقَا ٱلبَابَ) يعني اراد كل واحد منهما ان يسبق صاحبه الى باب صاحب ذلك المكان ، لاخباره عما جرى بينهما .

(وقُدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبَرٍ)

يقول شنع على ظاهر سيرته فهتكها .

(وألْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلبَابِ)

يعني الملك الذي له امر دعوة البلد ، ومقاليد دين اهله .

(وقَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

يقول ما جزاء من هم بمفاتحة حجتك على غير الوجه والسبيل ، الا ان يسكت عن المفاتحة ، او يعذب بالكسر ، والهدم عليه .

(قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)

يقول هي ارادت مني ان افاتحها .

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا)

يعني احد شهداء الحق من اهل الدعوة .

(إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ)

يقول ان كان الكلام الذي يذكر عنه من علم الباطن ، فقد صدق فيما القاه اليه ، وفاتحه به ، وان كان من علم الظاهر فقد كذب ، وهو من الصادقين ، وذلك قوله :

(وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ)

ولو كان فاتحها بالباطن ، لأظهره وهتكه .

(فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ)

اي ان ما ذكرته عنه هو من العلم الظاهر .

(قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)

اي هذا كيد منك له عظيم وقال ليوسف .

(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)

يعني عن الكتمان ، واظهر [1] امرك ، وانشر دعوتك ، وقال لصاحبته (وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ) يعني مما اردته به ، اذ سعيت الي بأمره لتحملني الكره عليه :

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ)

يعني المأذونين في الدعوة .

---

(١) في نسخة (س) وردت (وظهور)

(إمرأةُ العزيزِ تُراوِدُ فتاها عن نفسِهِ ، قد شغفها حُبّاً ، إنّا لنراها في ضلالٍ مُبينٍ)

يقولوا ان حجة عزيز مصر دعانا ، وما نحن عليه ، وقد راود من تهيأ ، وانتصب لأن يكون اماماً ليدعو الى ما هو عليـــه ، ويدعي دعوتنا انه لفي ضلال مبين .

(فلمّا سمعت مكرهنّ ارسلت إليهنّ)

يقول لما ابلغه ما قالوا فيه جميعهم اليه (واعتدت لهنّ مُتّكأ)

اي اقامت مجلساً للمفاتحة والمذاكرة .

(وآتت كُلّ واحدةٍ منهُنّ سكّينا)

اي أفاد كل واحد حجة قاطعة ، مما عليه ليكن عندهم زيادة عن الذي لديه

(قالت اخرُج عليهِنّ)

يعني ليوسف اى القي عليهم ما عندك (فلمّا رأينهُ أكبرنهُ)

اي فلما القى اليهم بعض ما عنده تعاظموا امره (وقطّعن ايديهُنّ)

اي انصرفت قلوبهم عن اولياء امورهم ، وما كانوا عليـــه الى ما فاتحهم به .

(وقُلنا حاشا للهِ ما هذا بشراً)

يعنون : ما هذا كلام بشر جسداني ، ان هذا الا كلام الملائكة الروحانيين .

« قَالَتْ فَذَلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ »

يقول لئن لم يظهر ما عنده ، لأقطعنه من المفاتحة ، ولأسقطه [1] من درجته .

« قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ، مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ »

أي قطعي من المفاتحة، أحبُّ إلي من ان اطلق لهم ما ينبغي اطلاقه لمثلهم ، على غير الحدود الواجبة في ذلك .

« وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ »

أي مما راموا مني .

« وَأَكُنْ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ »

اي رفع عنه من أراد منه ما لا ينبغي له وعصمه من ذلك

« ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ »

يقول : بدا لهم ولصاحبهم ان يقطعوه عن المفاتحة ويمنعوه عنها ، الى مدة لينظروا في أمره ، لما شاع خبره بين الناس ، وخافوا ان يتغلب عليهم ، واسكتوه من بعد ان ظهرت لهم آياته وعلموا صحته مـــا هو عليه ، واسكنوا معه رجلان كانا قد استجابا لأمره ، وأهلهما ان يكونا

(١) في نسخة (ه) وردت (الاساقطة)

بعض أسبابه ، وذلك قوله عز وجل .

« ودَخَلَ مَعَهُ ٱلسِجْنَ فَتَيَانِ قَـالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً »

يقول اني أرى نفسي قائماً بتأويل الظاهر ونشره .

« وَقَـالَ ٱلآخَرُ إني أراني أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خبزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ »

يقول : اني أرى نفسي اني أقوم بحسن سيرة ولي امري ، وبنشرها بما يكون عدة للمفاتحين ، يعني من الرموز والاشارات بالتأويل الباطن ،

« أَنبِئْنَـا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُـكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا »

يقول لا يصل اليكما امر وما تنالان من الحظ ، الا عرفتكما بـه ، قبل اطلاعكما عليه .

« ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَني رَبِّي إنني تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ، واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسحق ويَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَـا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ عَلَيْنَـا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ »

فاظهر لهما امره ، واطلعهما على نسبه ، وأخبرهما ان الذي عنده من العلم ، انما صار اليه عن مربيه بالحكمة ، ففتح لهما بعض سره .

ثم قال لهما « يَا صَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ » اي يا صاحبي الكتمان .

« أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ »

يقول ائمة تفرقوا واختلفوا ، يعني أهل الظاهر خير ام أمام واحد ، قام بامر الله لا اختلاف بما جاء به ، بل هو واحد الزمان ، قائم بامر الله الواحد القهار .

« مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ »

يقول : ما تبعتم الا قوماً ، نصبتموهم انتم ، وعلماؤكم بآرائكم فاملوا لكم ، وحرموا عليكم ، واطعتموهم في ذلك فعبدتموهم من دون الله ، وهذا قول الله عز وجل .

« ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ »

وكقول رسول الله (ﷺ) لما قال له ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، وكان القائل (عدي بن حاتم) فقال له الرسول (ﷺ) اما كانوا يحللون له ويحرمون عليكم فتأخذون عنهم قال : نعم فقال : تلك عبادة منكم لهم ان الحكم إلا لله ، أمر ان لا تعبدوا الا أياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، ففاتحهم من التصريف والتوقيف بما ثبتها به .

ثم قال :

« يَا صَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ »

اي يا صاحبي السر والكتمان « أَمَّا أَحَدُكُمَا » اي الذي قال له

« إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً »

فيسقي ربه خمراً اي يكون من بطـانته ، وصاحب سره [1] ، ويلي باطن علمه ، ويؤدي الى من دونه عنه ،

« وأَمَّا ٱلآخَرُ فَيُصْلَبَ فَيَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ »

يقول يقوم داعياً شريفاً ، فينال المأذونون علم الرئيس من قبله .

« قُضِيَ ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهُ تَسْتَفْتِيَانِ »

اي قد تم هذا الامر لكما ، وقضيت به ، وأقمتكما له .

« قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ »

يعني عند صاحبه الذي سيلازمه « فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ » اي انساه هواه الذي غلب عليه ان يذكره عند ربه « فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ »

اي في الستر والكتمان (بِضْعُ سِنِينَ) قالوا أربعة ، وقالوا تسع وذلك مثل الحدود التسعة : ومجموعهم أربعة . يقول : واحد اثنان ثلاثة أربعة اربع كلمات تجمع تسعة اعداد ، وقد تقدم ذكر هذا بتمامه .

« قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعُ بَقَرَاتٍ سِمَان يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلأُ افْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »

ان الملك الذي كان يملك مصر يومئذ ، تفكر فيما القى اليه يوسف عليه السلام من رموز [2] الحكمة ، فجمع اهل بطانته وخاصته ، وقال

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (سيره) . (١) وردت في نسخة (س) (زبور)

لهم : اني أرى كذا وكذا ، وهو ما ذكره من امر البقرات السمان ويعني بهم حجج الناطق « يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ »

يعني حجج الائمة اي يصير علمهم اليهم ، فيكون ذلك هو السمن ، وهو العلم « وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ » يعني الائمة السبعة، الذين اخضروا بالتأييد ، والبيان مثل الآخرين الذين انقطع التأييد عنهم بانقطاعهم .

« يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ افْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »

يقول ان كان عندكم علم من التأويل ، فأخبروني به هذا سؤال امتحان كان منه لهم لا سوآل استفادة ، لأنه انما أراد ان يوقفهم على عجزهم ، وليأتهم بالبيان ، من قبل يوسف عليه السلام الذي انكروا امره، وذلك لما أراد اطلاق دعوته ورغب الدخول في امره .

(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ)

يقولون هذا تخليط من القول ، وما نعرف تأويله ، ولا معناه .

(وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا)

يعني من الرجلين المتصلين بيوسف (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) اي بعد حين .

« أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ »

أي الى يوسف فأرسله الملك ليحضره اليهم ، وطلب منه ان يبين ما عنده ، ويطلق القول به .

« أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى

ٱلنَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ : قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعُ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ »

فجاءه الرسول بجوابه يقول : ان علة هؤلاء الحدود المعدودين ان النطقاء سبعة ، وقد أقاموا أسسهم السبعة ، ليذرعوا الحكمة في أدوارهم، بقلوب المستجيبين لهم فما حصدوه ، اي نالوا ثمره ، أقروه في معاده ، ولم يبذروا ليحيوا به الحياة الأبدية .

« إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ »

يعني ما تفضلت به الأسس على الائمة ، فإنه لا ينتقل اليها ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ، يعني الائمة بين كل ناطق وناطق .

« يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ »

اي يصير ذلك العلم اليهم فيعطونه حججهم .

« إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ »

الا ما تفضل به الائمة على الحجج من العلم فانه لا يصل اليهم، فأخبر عن أدوار النطقاء ، وأدوار الائمة ، كيف تكون ، وعن العلم كيف ينتقل فيهم .

« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ »

يعني أنه يأتي من بعد هذه الادوار القائم المنتظر ، وهو قائم الزمان الذي ينفي بعصره كل تقليد ، ويخرج ما فيه من المعاني اللطيفة ، والعلم الحقيقي ، كما يعصر العنب والزيتون وغير ذلك من الحبوب ، فيؤخذ صفوه ، ويرمى بكدره ، ففتح يوسف هذا للرسول ، وهو صاحب

الخمر الذي وعده ان يقيمه هذا المقام، واطلقه [1] واذن له بالمفاتحة[2] ، فأتى الى الملك واصحابه ، واخبرهم بذلك فسمعوا منه ما لم يخطر بقلوبهم وأرسل اليه ليأتيه ، ويفاتحـــه بعد ان بسط عند أهل خاصته حاله ، وعرفهم فضله ، لئلا يأخذوا ذلك عليه ، كما أخذوه على صاحبه من قبل.

قال يوسف لذلك الرسول :

« إرْجِعْ إلى رَبِّـكَ فَاسْأَلْهُ ، مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ »

أراد من الملك ان يؤكد عندهم امره ، ويحتج عليهم به لئلا يكون لهم فيه بعد ذلك ، مقال ، فانصرف اليهم بذلك ، والى الملك ، فغررهم الملك وسألهم عما راموا منه ، بقوله :

(قَالَ مَا خَطْبُـكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَـا لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)

وقال صاحب الملك اي صاحب امره وحجتـــه ، الذي كان يوسف عنده .

(الآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ إنَّا رَاوَدْتُهُ عَــنْ نَفْسِهِ وإنَّهُ لَمِـنَ ٱلصَّالِحِينَ)

يعني كان صادقاً بما قاله يومئذ .

(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ إنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ وإنَّ ٱللهَ لا يُهْدِي كَيْدَ

---

(١) في نسخة (س) وردت (واطلعته) .

(٢) في نسخة (ه) وردت (بالفاتحة) .

ٱلْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي)

يقول استعداه لنجاة نفسي ، وأسلم أموري كلها اليه ، فأتي بـه . وقال له الملك .

(إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)

قال يوسف للملك بعد ان واثقه ، واخذ عليه العهد ، كن انت على ما أنت عليه من ملكك ، وظاهر امرك .

(إِجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ)

يعني حد الاساسية الذي اهله يعقوب له ، وأقامه فيـه ، أبسط للدعوة ، واقيم حدودهـا ، وآمر بها ، ففعل فأقام يوسف لواحقه في الجزائر ، وفشت دعوته ، وانتهى خبره الى أبيه ، بما فتح له ، وصار اليه ، وذلك قول الله عز وجل .

(وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ، يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ)

يعني تمكينه من الاساسية ، فينزل نفسه منهـا حيث يشاء ، فوسع علمه بذلـك غير ممنوع من شيء منه ، فعلت دعوة يوسف ، واتصلت وغزت وظهرت بظهور امر الملك وسلطانه اذ صار اليها ، وضعفت دعوة يوسف ، وانقطع لواحقه الذين فعلوا بيوسف مـا فعلوا عن الحكمة ، ورفضهم المستجيبون لهم من قبل ، وصاروا في غمار النـاس ، واقبل الناس من كل جهة الى يوسف يقتبسون منه ، وجاء كذلك أخوه يوسف فيمن جاء اليه ليعرفوا مـا عنده ويستفيدوا منه ، اذ قد انتهى اليهم

عنه من نشر الحكمة ، وبلاغة القول ، مما ليس عندهم ، وهم لا يظنون انه هو صاحب ذلك ، وهو قوله تعالى :

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)

يعني انه عرف حدهم ، وهم انكروا حده ، وما صار اليه من التأييد والحكمة ، ولم يعرفوه حقيقة المعرفة ، واعرض هو عن تعريفهم نفسه .

(ولَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ)

يقول : افادهم ببعض ما عنده ، وما ينبغي ان يفيدهم به ، ولم يكن اخوه الذي جهزه يوسف للاتصال بـه معهم ، فجعل يسألهم عن احوالهم حتى اخبروه خبرهم ، وان لهم اخاً من أبيهم .

(قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ الا تَرَوْنَ إِنِّي أَوْفِي الْكَيْلَ وأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ولاَ تَقْرَبُونَ)

يقول : ان لم تأتوني به لا افاتحكم ولا أكلمكم بشيء من الحكمة ، « قالوا سنراود عنه اباه وإنّا لفاعلون قال لفتيانه » يعني دعاته :

(اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ، إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

يقول اجيبوهم في مسائلهم ، ليعرفوا جوابكم ، فلعلهم ان يعرفوا حقيقة الحق ، فاذا انصرفوا الى اصحابهم ، فيكون ذلك مما يدعوهم الى الرجوع ، « فلمّا رجعوا الى أبيهم ، يعني فلما انصرفوا الى يعقوب ، أخبروه بالخبر :

(قَالُوا يَا أَبَانَا إِمْنَعْ فَسَادَ ٱلْكَيْلِ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ، وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

اي أرسله معنا يفاتح لنا ، ونستفيد ، لانا لم نسطر شيئاً من الحكمة ، ومنعنا من المفاتحة ، وإنا سنستفيد بسببه .

وقد قيل لنا ذلك :

(قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وهو أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ)

(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ)

يعني تذكروا ما جرى من مسائلهم .

(وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)

اي وجدوا ان دعاة يوسف قد أجابوهم جواباً مجملا :

(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا)

اي نستمد لاهل دعوتنا « ونحفظ أخانا » من ان يصل اليه من المخالفين ، مثلما صار الى يوسف قبله (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) .

اي نزداد بعلم إمام يؤخذ من قبله (ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) .

اي ما كان عندهم ، وما صار اليهم ، قبل هذا الخطاب من كثير ما عنده :

(قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقاً مِنَ ٱللهِ لَتَأْتُنَّنِي

بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ، قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ، قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)

امرهم ان لا تقصدوا داعياً واحداً باجمعكم ، ولكن تفرقوا على الدعاة[1] ، لتعرفوا ما عند كل واحد منهم ، وفي وجه آخر ، لا تسألوا عن نوع واحد من العلم ، ولكن يسأل كل واحد منكم عن نوع .

(وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ)

يقول ليس بانتسابكم لي تعطون ما يجب لكم .

(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ[2] مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

يقول وجدوا ان ما قاله لهم أبوهم انه لا يغني عنهم من الله من شي ، فلا يعطوا بانتسابهم اليه إلا ما يجب لهم من المفاتحة .

وقوله :

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

اي ضمه اليه ، وقربه الى نفسه ، واطلعه على ما ينبغي ان يطلعه عليه ، مما اختصه به دونهم من حده ، واخبره انه لا بأس عليه من مكرهم وحسدهم المعروف منهم قديماً له .

---

(١) وردت بنسخة (هـ) (الدعوة) (٢) وردت بنسخة (هـ) (أباهم) .

(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ)

يعني أعطاهم ما استوجبوه من العلم .

(جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)

يعني ما أتاه من مرتبة الدعوة وحظ التأييد دونهم ، كونه اطلعهم على ما لم يطلعهم عليه .

(ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)

يعني قال داع من الدعاة ، انكم قد أخذتم الحكمة [1] ، مما ليس من حدكم ، ومن حيث لا يجب لكم أخذها .

(قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ، قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ)

يعني بالصواع تقدير الحكمة التي يؤتها الناس على الترتيب والمقدار .

(وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ)

اي كل من صار اليه ، وحازه على حسبه وجاء به على وجهه فله منزلة حمل الأمام .

(قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ)

اي ما جئنا لنفسد في حد التأويل ، ولا نسرق منه ما لم نعطه ، ونحن ولد يعقوب ، وانما جئنا لنستعيد ما اعطيناه .

---

(١) في نسخة (س) وردت (الاحكام) .

(قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ)

يعنون من وجد معه ما لم يعطه ، ومد يده الى ما ليس له . والى حــد غيره يسلب ما كان عنده اولاً وآخراً ، مثلما كان الحكم في عصر آدم .

(كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ)

اي من وضع الشيء في غير موضعه .

(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ)

يقول جعل يسألهم ويستخبرهم واحداً واحداً ، قبل أخيه فلم يأتون بشيء من حظ التأييد ، ولم يجيبون الا بما القيَ اليهم ، ثم سأل أخاه ؟ فأجاب : بما ليس عندهم ، واتى بما يوجبه حظ التأييد دونهم ، وذلك قوله تعالى :

(ٱسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)

يعني الكلمة .

(كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

يقول كذلك اعطينا ليوسف الهداية ، الى افادة اخيه [1] ، وتأييده

---

(١) في نسخة (ه) وردت (اخاه)

على سبيل الناطق ، وهو في سلطان الملك ، فيأخذه اليه ، ويقيمه مقام المؤيدين، تلطفاً منه يأذن الله له في ذلك بالتأييد الذي ألهمه به ما فعله .

« قَالُوا إِنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ »

يعنون ان يكن هدا قد تعدى الى حد غيره ، ولم يعط ذلك فقد فعل اخوه ذلك من قبله ، فقد سرق من ابيه حد غيره .

« فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ : أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانَاً »

يعني في قولهم الزور .

« وَٱللهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ »

« قَالُوا يَا أَيُّهَا ٱلعَزِيزُ »

اي عزيز بما وهبه الله .

« إِنَّ لَهُ أَبَاً شَيْخَاً كَبِيراً »

اي قد بلغ في الحكمة مبلغ الائمة ، وله حرمة جده .

« فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ »

اي في تحظيرك عليه حد المفاتحة ، او اقامته لما شئت ان تقيمه له .

« إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ تَأْخُذْ إِلَّا مَنْ قَدْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ مَتَاعَنَا »

اي العياذ بالله ان نأخذ بحمل هذا الامر ،الا من جعل الله قولوله فيه.

« إِنَّا إِذاً لِظَالِمُونَ »

اي اذا فعلنا ذلك نكون وضعنا الامر في غير موضعه .

« فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً »

اي اعتزلوا يتناجون « قَالَ كَبِيرُهُمْ » يعني اكثرهم علماً وهو الذي اشار عليهم في الاول بان لا يقتلوا يوسف .

(أَلَمْ تَعْلَمُوا إِنَّ أَبَاكُمْ أَخَذَ مُوثِقاً مِنَ ٱللهِ)

يعني في ضمانهم بان يأتوا به .

(وِمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ)

يعني ما جرى من امرهم فيه ، يذكرهم بذلك .

(فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلأَرْضَ) اي مستقري الذي انا قائم فيه .

(حَتَّى يَأْذَنُ لِي أَبِي) اي ولي امري .

(أَوْ يَحْكُمُ ٱللهُ لِي وهُوَ خَيْرُ ٱلحَاكِمِينَ)

يعني بما يشاء .

(ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ)

اي اخذ من غير حده ، ومدّ يده الى ما تجاوزه ، فأرتهن بعقله :

« وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا »

اي هذا الذي ظهر لنا وعرفناه .

« وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ »

اي ان في ذلك ما غيّب امره عنّا ، فانا لم نحفظه ولم نعلمه .

« واسْأَلِ ٱلقَرْيَةِ ٱلتي كُنَّا فِيهَا »

اي اهل الدعوة التي كنا معهم .

« وَٱلعِيرِ [1] ٱلّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »

اي السيارة وهم المختلفون في الظاهر اي اسأل عن ذلـــك الموافق والمخالف ، فانه امر قد ظهر علينا ، واشتهر ، وعلمه القريب والبعيد « وَإِنَّا لِصَادِقُونَ » بفعلهم بما اشار به عليهم ، وقالوا ذلك ليعقوب ، فلم يقبله منهم .

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرَاً)

اي حدثتكم انفسكم فيها ، بما ليس هو كذلك في الحقيقة .

(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً)

اي يبلغا مبلغاً من التأييد .

(إِنَّهُ هُوَ ٱلعَلِيمُ ٱلحَكِيمُ)

(وتولى عنهم) اي قطع عنهم امره .

(وقَالَ يَا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ)

يقول اسفي عليه ان لم يكن ما انقطع عني صار اليهُ .

(وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلحزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)

اي انه انقطع عندما كان يتصل به من مادة الاصليين ، وصار ذلك الى يوسف .

(قَالُوا تَا للهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً)

---

(١) وردت في نسخة (ه) (العيار)

اي تشرف على الهلاك (وَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ)

اي لا تزال تذكر يوسف ، حتى يذهب ما عندك ، وما انت فيه ، فاعرض عن ذكره ، واقبل على نفسك .

« قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحزْنِي إِلَى ٱللَّهِ »

أي إنما أقول ذلك فيما بيني وبين الله ولا اذكره الى من دونه .

« وأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ »

اي اني اعلم من حفظه لأمره ، وأنـــه وان قطعه عني لم يخرجه عن يوسف ولم يبعد عنه .

« يَا بُنَيَّ اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأَخِيهِ ولاَ تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرِين »

يقول اختبروا الامامة ، أين حلـّت ، والبابية [1] لمن صارت ، ولا تيأسوا من فوائد رحمته ، فأن اليأس المحض من ذلك كفر ، ولكن متى تداخلهم اليأس ، فيرجون الفرج ، وذلك قول الله عز وجل :

« حَتَّى اسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وظَنُّوا إِنَّهُمْ ، قَدْ كَذِبُوا فَجَاءَهُمْ نَصْرُنَا »

فلم ييأس الرسل من فوائد رحمة الله واذا تداخلهم اليأس فمن الناس.

« فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ »

اي على يوسف .

« يَا أَيُّهَا ٱلعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا وأَهلَنَا ٱلضُّرُّ »

---

(١) في نسخة (س) وردت (البابـاوية) .

يعنون النقص من الفائدة .

« وجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ »

اي مسائل ضعيفة لا تؤدي بنا الى علم ما نؤمله من علم الحقيقة .

« فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ »

اي تفضل علينا من قبلك من الفوائد ، ما لعلنا لا نحسن السوآل عنه، ولا تنتهي اوهامنا اليه .

« قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ »

يقول هل تأملتم ما جرى منكم في أمر الأمام ، وبابه ، وانكم ارتكبتم ذلك بجهل منكم قدرهما .

« قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ »

اي انت الامام .

« قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي »

وكشف لهم عن حده من الامامة [١] ، وحد أخيه من البابية [٢] ، وانــه أول اللواحق له « قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا » يعني بهذين الحدين .

« إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ »

يعني من اتقى ان يشرع في حد غيره ، وصبر عن ذلك ، وما تشوق نفسه اليه ، مما هو فوقه لم يضيع ذلك عند ربه .

« قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ »

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (الامامية)

(٢) في نسخة (س) وردت (الامامية) .

آثرك بالامامة دوننا ، وان كنــا قد اخطأنا فيما أردناه من دفعك عن مقامك .

« قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ، يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ »

اي يمحو عنكم ، ويستر عليكم .

« اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ »

يقول اذهبوا بحد الامامة التي البسني الله اياهــا ، فألقوا ذلك على وجه ابي ، فان التأييد يتصل به فيصير الى ما كان عمي عنه

« وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ »

اي بأهل دعوتكم اجمعين ، فردوهم اليّ

« وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ، لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونَ »

يقول لما أتوه ، وقد انفصلوا من فوائدهم ، أحس يعقوب بالتأييد ، من جهة يوسف .

« قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ ٱلْقَدِيمِ »

اي ما كان عليه قبل ان يتصل به شيء من امر الله .

« فَلَمَّا أَنْ جَاءَ ٱلْبَشِيرُ »

يعني الخيال المتصل به الذي كان يعرفه .

« أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً »

صار مؤيداً كما كان .

(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ، قَالَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيم)

سألوه الستر ، والدخول في الامر ، فوعدهم ان يسأل ذلك لهم .

« فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ »

يقول دخلوا في ولايته . (آوي اليه أبويه) اطلعهما على حده .

« قَالُوا : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ .

يقول ادخلوا في الدعوة ولا تخشوا السقوط ان شاء الله تعالى :

« فَدَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ »

يعني ابويه الذين توليا دعوته ، جعل لهما حظاً من الدرجة التي اختص بها « وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً » يعني خضعوا بالاقرار له بما أتاه الله من حد التأييد ، وقبلوا عنه ما جاء به .

« وقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا »

اي حقق لي ربي ما كان قد ألقاه اليَّ أولاً ، ورأيت ان اطلعك عليه .

« وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ »

اي من حد الحرمان والمنع .

« وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ ٱلْبَدْوِ »

أي مما كنتم أبتدأتم به الى الأخذ عني .

« مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وبينَ إِخْوَتِي »
يعني ما تقدم منهم .

قصة ايوب . .

كان ايوب عليه السلام من ائمة دور ابراهيم (ﷺ) وقد ذكره الله عز وجل في كتابه ، فقال :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ »

عنى بالنصب الشر ، وبالشيطان ضده في زمانه ، وكان من الفراعنة المتغلبين ، وقد استضعفه وتغلب عليه ، واستمال اهل دعوته ، فمالوا عنه اليه ، ودفعه عن مكانه ، واسقطه في أعين الناس ، ومن ذلك قوله تعالى:

« وأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ»

وفي الحديث ان ابليس تسلط عليـــه ، فقتل أولاده عن آخرهم ، وذهب بجميع نعمته ، وما كان له من حيوان ومال ، ثم ابتلاه في بدنه وذهل ، وسرت فيه الديدان ، ورمى به على مزبلة ولم يعد يقرب منه أحد غير امرأته .

فتأويل ابليس هو ضده في زمانه ، وقتله أولاده ، هو صرفـه اهل دعوتـــه ، والديدان مثله مثل الذين كانوا استجابوا له ثم تولوا عنه، فهم

يأكلون من لحمه اي ينالون من علمه ، وليسوا من شكله ، ولا على صورته .

وفي الحديث ايضاً انه كان يرد ما يقع من الديدان [1] عن بدنه اليه ، ويقول له كل من رزقك الذي رزقك اياه الله .

تأويل ذلك انــه كان ينبئهم من العلم رجاء ان ينتفعوا به، ويرد من نزع منهم عنه اليه ، وان كانوا على غير طريق استقامته ، وامرأته التي صبرت عليه ، واقامت معه هي صاحبة سره وحجته ، ومثل الضر الذي اصابه مثل عجزه عن القيام بالدعوة ، وإقامة اللواحق والدعــاة [2] ، والمزبلة مثل ظاهر شريعة متقدمة نسبت اليــه ، فصار لذلك لا يقربه مرتاد ، ولا يدنو منه مستجيب ، ولا يقبـــل عليه راغب ، ولا يقدر على اقامة شيء من امر دعوته ، لتغلب ضده عليــه ، وذلك هو البلاء العظيم .

فلما استجاب الله عز وجل دعاءه ايده من العــلم الحقيقي بمادة امده بها ، وهو قوله تعالى :

« أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وشَرَابٌ »

اي بادر بإقامة حد من حدودك لنشر هذا العلم فانه يغسل كل قذر من كان جهل الامة قد اضيف الى ظاهر دعوتك ، ففعل فانصرف اليه أهل دعوته ، وصار اليه غيرهم ، وهو قوله .

« وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّــا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ »

ففرّج الله عنه ، واظهره على عدوه ، واستقامت له دعوته ، وفي

(١) في نسخة (هـ) وردت (الدود)

(١) في نسخة (س) وردت (والدعوه) .

الحديث انه اغتسل من الماء فبريء جسمه ، وان الله ردّ اليه من مات من اهله وولده ومواشيه ، وحيواناته بعد ان ماتوا .

تأويل ذلك ان اهل دعوته عادوا اليه ، ودعوته صلحت له ، وفي الحديث ايضاً : انه كان نقم على امرأتـه ، واقسم ان سوف يضربها ، فلما زال عنه البلاء ، وعلم حسن مقامها معه ، ندم على ذلك وقد قال الله تعالى :

(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ)

وتأويل ذلك انه كان اطلع على ان بابه احدث عليه شيئاً ممـا كان داخله من النقص ، فحلف انه سيقطعه ، فلما فرج الله عنه ندم على ما سبق من اليمين الذي حلفه حفظاً منـــه على بابه ، وصبره عليه وتاب اليه ، مما كان منه ، فقيل له : اجمع لواحقك فاكسر هذا الذي حلفت عليه ، بحطه الى من هو دونه ، ولا تحنث [1] ، وابقه في درجة اللواحق ، ولا تسقطه بغير جرم ثبت عليه ، بل ارجع عنه ، وتب اليه منه . والضغث الجماعة من الشيء ، كقضبان النبات تجمع ، وذلك مثل جمعه اللواحق ، وقوله تعالى :

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً)

يعني بابه الذي نقم عليه وصبر الباب على ذلك وقوله تعالى :

(نِعْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

اي انه راجع الى ما يرضي الله عز وجل ، وغـــير راضٍ على ما يكرهه جل ذكره ، وذلك ما كان من الانابة والتوبة مما كان فيه .

---

(١) وردت في نسخة (هـ) هكذا ولا (تحنس) .

قصة شعيب . .

شعيب صلوات الله عليه . كان في آخر أدوار ابراهيم ، وبه اتصل موسى صلوات الله عليهم ، وهو الذي أتم له لواحقه ، وقد كان عجز عنها ، وسنذكر ذلك في موضعه عند ذكر موسى ، وكان شعيب بمدين [1] اماماً منصوباً يدعى اليه ، وأحد دعاته موسى ، وكان في مصر يدعو اليه ، وكان من امره ما كان ، وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ، ومما ذكره الله عز وجل من امر شعيب قوله تعالى :

(إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً)

يعني أخاهم بالولادة الجسمانية ، واخوة الدين كما ذكرنا في قصة هود وصالح ، ولم يذكر الله سبحانه تعالى بذلك إلا من كان من الائمة في ادوار المرسلين فنسبهم الى ابوة ذلك النبي على ما قدمنا ذكره في قصتي هود وصالح :

(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

فهذه دعوة النطقاء اجمعين الى الظاهر بالتقليد .

(قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)

يعني بالبينة نفسه وامامته .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (بمدينة) .

(فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ)

باطن ذلك القيام بما يوجبه الناطق ، من حد الظاهر ، لانه ميزان الله الذي يوزن به اعمال المخلوقين ، واقبلوا بعد قبول الظاهر على ولاية بابه المنصوب لتأويل الظاهر ، فانه مكيال الله الذي تكال بـه الحكمة للخلق :

(وَلاَ تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)

يقول لا تردوا امر الله الذي أتاكم ، فتبخسوا الناس حظهم منه يردكم اياه .

(وَلاَ تُفْسِدُوا فِي ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)

يقول لا تفسدوا في الاساس الذي اقامه الناطق لتأويل شريعته ، وظاهر ذلك محرم مثل باطنه ، وهو النقص في الكيل والوزن ، والفساد في الارض .

(وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ)

الصراط في اللغة الطريق ، وكذلك هو في التأويل طريق الدين ، وأوله الذي يقصد منه هو الناطق امر الله العباد بقبول حده اولا ، وهو الظاهر واستعماله ثم يتمشون على ذلك الى حد الاساس ، وهو الباطن ، فيصيرون اليه لان الباطن انما يكون تأويل للظاهر ، فلا ينبغي ان يسبق التأويل الظاهر ، لانه انما يتأول المتأول ويشرح ما قد سبق من الظاهر.

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى :

(لاَ ٱلشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱللَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ)

فالشمس مثل الامام ، والقمر مثل الحجة ، فالامام هو السابق ،

وكذلك الناطق والاساس ، فالاساس يلحق النـاطق ويدركه ، والحجة كذلك يلحق الامام ويدركه ، لان الامام يلحق الحجة ، ولان النـــاطق يلحق الاساس ، ومثل النهار الظاهر لان الاشياء فيه تظهر ، وهو حد الشمس ، وبطلوعها يكون ، مثلمـــا ان الظاهر هو حد الامام ، وحد الناطق ، والليل مثل الباطن والكتمان لان الاشياء فيه تستتر ، وهو حد الحجة ، وحد الاساس ، والحجج هم كالمراحل في الطريق ، فذلك معنى الصراط في الباطن ، واصله الناطق في عصره ، والامام في زمانـه ، واللواحق حدوده ومراحله ، وكذلك الطريق الى البيت الحرام .

وقد قدمنا ان مثله الامام ، والحاج مثله المستجيب وبيته مثل داعيه الذي يأوي اليه ، ويسكن الى قوله ، كالبيت الذي يأوي اليه ساكنه، ويسكن فيه ، ويستره ، فاذا اراد ان يرقى الى معرفة حـــد الامام ويبلغ درجة الصالحين ، لزم الطريق من بيتـه اي من داعيه ، ومثل ذلك هو أرقاء الداعي اياه في حدود المعرفة باللواحق والآيات التي جعلت لهم شواهد ومعالم ، فـلا يزال ينتقل من مرحلة الى اخرى ، وهو على الطريق الى ان يبلغ البيت الحرام ، وذلك حد الامام فـإذا انتهى اليه وعرفه ووقف على حدوده ، وطاف بـــه ، وقضى مناسكه ، وأدى فروضه ، انصرف الى بيته على الطريق ملازماً له اي عـــاد الى داعيه فآوى اليه، فان عدل عن الطريق او عن مرحلة من مراحله في انصرافه اخطأ بيته ولم يكن له مأوى ، وفرق بينه وبين اهله كما يكون كذلك من عدل عن الحق فانه يفارق المؤمنين وينقطع عن الامام ولواحقهومادته فهذا هو الصراط المستقيم الذي امر الله عباده ان يسألوه الهداية اليهومثله في الباطن .

فـكان قوم شعيب يصدون النـاس عن دعاته ولواحقه ، ومن قصد

اليه ، ويتواعدونهم ، ويخوفونهم ، وذلك قوله تعالى :

(وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعِدُونَ ، وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً)

اي تريدون عوج هذا السبيل بصرف من سلكها [١] عن حدودها ، والاستقامة عليها ، الى ان يبلغ غايته فيها .

والصراط ايضاً في وجه التمام واصله من العلو ومنتهاه اول الحدود العلوية ، وقد قدمنا ذكرها ايضاً الى اتصالها بالرسول ، ثم بالاساس ، ثم بالامام بعده ، ثم ببابه ، ثم بلواحقه ، ثم بدعاته ، ثم بالمأذونين لهم بالكسر على المستجيبين ، وارتقاء المستجيب هو بعلمه بهذه الحدود ، وذلك من حده الى الحد الاعلى ، وكل حد من هذه الحدود هو حد الصراط لمن فوقه ، اي الى الطريق بين المرحلتين ، والطريق واحد ومراحله وحدوده ينزل فيها الماشي عليه ، فيأوي اليها ، ويسكن فيها، ويستريح بها ، وينال من الطعام والشراب ما يحييه ويقوم به ، ويقويه على سفره ، كذلك ينال المرتاد [٢] في هذه الحدود من العلم والحكمة ما يحمي به روحه ، ويقويه الى بلوغ غايته ، التي يجد عندها الحياة الدائمة الابدية ، ومثل ذلك على التقريب من المعقول ، مثل المسافر وما يجده في المناهل ، مما يقتات به سائر ليلة مبيته بذلك المنهل ومسافة ما بينه وبين المنهل الذي يليه ، فلا يزال كذلك حتى ينتهي الى مكان مستقره ، الذي قصد اليه ، فيكون له فيه قوته ، ما دام فيه .

والشواهد والدلائل والايضاحات في هذه كثيرة اقتصرنا منها على

(١) في نسخة (ه) وردت (سالكها)

(٢) وردت بنسخة (س) (المرتاع) .

ما يوجب هذا الحد الذي شرحناه من حدود التأويل ، واشبعنا القول في ذكر الصراط اذ جرى ذكره لما افترض الله من سوآله في كل ركعة من الصلاة في كل يوم وليلة ، وعند كل استفتاح تلاوة يقرأ بها بفاتحة الكتاب آية الهدى . وذكر :

(صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)

فانه استثناهم من ان يكون لهم صراط يقصدون اليه غير امام زمانهم ، وان كانوا ربما سلكوا بين مراحله ، ونزلوا فيها كما يكون بعض اهل الجهل والضلال ربما ركنوا الى بعض حدود اولياء الله وسألوهم عن بعض ظاهر دينهم ، واخذوا عنهم ، وعن اولياء الله كما قد اخذوا عن علي ومن بعده ، الى جعفر الصادق بن محمد صلوات الله عليهم ، ومن بعدهم ، مثل من اخذ عنهم من العوام وهم لا يعتقدون بامامتهم ، ولا يقصدونهم كذلك ، ولا يعرفون فضلهم .

ومثلهم في ذلك مثل من سافر الى مكة ممن هو على غير الملة ، او من لا يريد الحج ، ويبتغي غرض الدنيا من التجارة وغيرها ، فسلك[1] الطريق ونزل المناهل ، وآوى اليها ، وأكل ، وشرب فيها ، وليس قصده حج البيت الحرام ، ولا يخطر بباله فضله ، ولا فضل طريقه ومناهله ، وما قد قدر الله عز وجل عليه ذلك لقوله لا شريك له .

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ)

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فسلم) .

ثم نعود الى ما ذكره الله عز وجل من قول شعيب نسقاً على مـــا قدمنا ذكره .

وبيان ذلك في التأويل ، وهو قوله :

(واذْكُرُوا إذْ كُنتمْ قَليلًا (في إبتداء أمركُمْ فَكَثَّرَكُمْ)

الله عز وجل باستجابة الناس الى ما انتم عليه فاليوم بعد ان كثرتم ، ومن الله عليكم بالقوة ، والكثرة هي ما قد غيرتم وخالفتم .

(وانظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفسِدِينَ)

يعني الذين افسدوا على الرسول والائمة مثل ما افسدتم ، وما اعقبهم الله من عذابه .

(وَإنْ كانَ طَائِفَةٌ مِنكُمْ آمنُوا بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ)

يقول : ان كان من لم يكن آمن من جماعتكم قد انكروا مـــا دخلتم فيه ، فأصبروا حتى يحكم الله بيننا بحكمه كما حكم فيمن قبلنــــا ، ولا ترتدوا اليهم على ادباركم .

(قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعكَ مِنْ قَرْيَتِنَا)

يعنون من هذه الدعوة التي اجمعنا عليها (أَوْ لَتَعودَنَّ في مِلَّتِنَا)

اي ترجعون الى ما نحن عليه من محض الظاهر بلا تأويل .

(قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)

يعني لذلك الرجوع .

(قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى ٱللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ أَنْ نَجَّانَا ٱللهُ مِنْهَا)

اي لقد قلنا الكذب على الله ان نحن انكرنا التأويل وكذبنا به .

(وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْنَا)

اي ما يكون لنا ان نعود الى الظاهر المحض ، وندعي التأويل الا ان يشاء الله ان يجعل للمفسدين ظاهراً يبدون به ، فهو اعلم بمن ينبغي ذلك له .

(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ)

ومن ذلك قوله :

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ)

يعني بذلك قول الذين سمعوا التأويل ، ممن كان استجاب لدعوته ، ثم خالفه اي كلامك الذي جاءنا به دعاتك من التأويل هو كلام غريب لا نفهمه .

(وَإِنَّا لَنَرَاكَ مَيِّتاً ضَعِيفاً)

اي ضعيف الحجة .

(وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)

اي لولا من اقام على امرك ممن استجاب منا لك لرميناك بالقبح من القول ، وكسرنا كلامك [1] ، لكنا متى فعلنا ذلك بك ، كنا قـــد

---

(١) في نسخة (س) جاءت (كلامكم)

قلنا فيهم مثل ما نقول فيك ، وهم منا فنختلف ونتحاجز ، ونتفرق ولا ندري ما يكون بعد ذلك (وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)

ولكن الذين يعزون علينا اكثر منك هم الذين اقاموا على امرك منا .

(قَالَ يَا قَوْمِي ارَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)

يعني هؤلاء اعز عليكم من الله ، فقد قلتم فيه ما عسى ان اردتم ان تقولوا لي ان كنتم كذبتم بآياته ، وأوليائه .

(وَيَا قَوْمِي اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)

اي اعملوا على حدكم من الظاهر واني عامل على حدي منه ومن تأويله بمن اقمته له .

(سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)

وقال في موضع آخر :

(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)

قال عز وجل :

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)

كأن لم يغنوا فيها بالامس .

(أَلاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)

وقال في موضع آخر .

(فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

فالصيحة هي قرع الحجة لهم بحجج التأويل والرجفة ارجاف قلوبهم بذلك ، وقطعهم من حجة يجدونها عليه ، وذلك لمـّا اراد الله عز وجل هلاكهم فاحتج صاحب الزمان عليهم ، ليخرجوا من الدنيـــا معذبين بعذاب الحجة محجوجين ، وبعذاب الظاهر مهلكين ، فأتاهم عـذاب الله ، فأهلكوا عن آخرهم ، كما ذكر الله سبحانه صلاة هلاكها ظاهراً وباطناً ، كما اهلك من قبلهم وذلك هو الهلاك الـكامل [1] .

---

(١) كانت الامامــة تجري بطريق التسلسل من اب الى ام بدون شذوذ ولكن في عهد ابراهيم اختلف هذا النظام فقضى الله ان يكون من ذرية الناطق ابراهيم ائمة مستودعين معروفين بين العامة قائمين بوظائف الدور كما يجب وان يكون من ذريتها ناطقين هما موسى وعيسى وهؤلاء تسلسلوا من اسحق بينما تبقى الامامة المستقرة في اسماعيل وولده الى نهاية الدور الكبير ويكون من ذريته محمد وقائم الزمان ولا يكون هؤلاء إلا من أب الى ابن بينما المستودعين يجوز ان تنتقل الامامة بينهم من اخ الى اخ او ابن عم على شرط ان يكون من عائلة اسحق ولهذا فاننا نورد اسماء الائمة المستودعين ثم نتبعهم بالمستقرين . (اسحق) هو ابن ابراهيم الخليل ولد عام /١٠٠/ من ولادة ابراهيم وامه ساره ، كان يقيم بين الشام وبيت المقدس وكان اساساً مستودعـاً وستاراً على الاساس المستقر اسماعيل اخيه ، توفي عام /٢٨٠/ من ولادة ابراهيم وقد عاش /١٨٠/ عام ودفن في بيت المقدس بعد ان سلم الامر لولده يعقوب عليه السلام . (يعقوب) ولد عام /١٦٠ / من ولادة جـــده ابراهيم وكان يقيم بين الشام وبيت المقدس ثم هاجر الى مصر مع جميـع افراد عائلته وتوفي فيهـــا سنة ٣٠٧ ابراهيمية ونقل جثمانه الى بيت المقدس وقد عاش /١٤٧/ عامـاً وسلم الامر الى ولده يوسف . (يوسف) ولد عام /٢٥١/ ابراهيمية بين الشام وبيت المقدس ثم هاجر الى مصر قبل والده يعقوب وقصته في القرآن واضحة وقد توفي في مصر ودفن فيها وعندما هاجر موسى من مصر ببني اسرائيل الى صحراء التيه نقل جثمان

يوسف معه واحتفظ به هناك ثم انه بعـد وفاة موسى نقله يوشع بن النون ودفنه بالقرب من نابلس وكانت وفاته عام / ٣٦١ / ابراهيمية وعاش / ١١٠ / سنوات وسلم الامر لولده (افرايم). لم نعثر على تاريخ ولادته ولا وفاتهولكن المعروف عنه انه ولد له في مصر (رازح) هو ابن العيص اي (عيسو بن اسحق بن ابراهيم) وقد استلم الامامة المستودعيه بعد افرايم بن يوسف. (أيوب) هو ابن موسى بن رازح بن عيسو بن اسحق بن ابراهيم الخليل وكان يقيم بموقع يدعى (البتينة) من أعمال دمشق لم نعثر ايضاً على تاريخ ولادته ولا فاته ولكنه استلم من عمـه رازح الذي كان وصياً على افرايم وسلم الامر لولده يونس وقدعاش / ٩٣ /عاماً. (يونس) واسمه ايضاً يونان وبشر بن ايوب وفي القرآن (ذا النون) ارسل الى اهل نينوى مقابل الموصل تاريخ ولادته ووفاته مجهولتين ولكن قد سلم الامر الى شعيب. (شعيب) لم يذكر التاريخ شيء عن نسبه وتاريخ ولادته ووفاته يسمى في التوراة رعوئيل ويثرون كان يقيم في مدين وقد توفي بعد ولادة موسى وان موسى اتصل به ويعتبر من الأئمة المستودعين المتمين لدورابراهيم اما ائمة الاستقرار فهم: اسماعيل ولد عام/٨٦/ منولادة ابراهيم وامه هاجر وهو ابن /١٣/ سنة وكانت ولادته ما بين الشام وبيت المقدس ثم نقله والده الى مكه المكرمة مع والدته هاجر وكان عمره يومذاك ما يقارب العشرين عاماً ، تزوج امرأة من قبيلة جرهم وقد ساعده والده على بناء البيت وتوفي في مكة عام /٢٢٧/ منولادة ابراهيم وعاش /١٣٧/ سنة وسلم الامر الى ولده قيذار وقيذار سلم الى سلامان وسلامان الى بنت وبنت الى الهميسع والهميسع الى يقدم ويقدم الى يقدام ويقدام الى « أد» وهو متم دور الاستقرار بعهد ابراهيم كما انه والد عدنان الامام المستقر ومقيم دور موسى ايضاً.

الفصل الرابع

(وفيه تأويل قصص موسى وهرون وطالوت وداؤد
وسليمان ويونس وعمران وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم)

قصة موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

لما انقضى دور ابرهيم (ﷺ) وكان خاتم دوره شعيب عليه السلام أراد الله سبحانه وتعالى ، بعث ناطق كما سبق في تدبير حكمته ، وكان موسى صلوات الله عليه ، وهو من بني اسرائيل الذين صاروا من يعقوب الى يوسف بمصر ، وكانوا قبلا مع يعقوب في بلاد الشام ، ثم هاجروا معه الى مصر ، وكان موسى ممن ولد بها ، ونشأ فيها ، وكان القبط يومئذ ملوكها ، وفرعون صاحب امرها ، وكان لشعيب فيها داعٍ يدعو سراً الى ما هو عليه خوفاً من فرعون ان يبدو ذلك في ملكه ، ولضعف امر شعيب الذي قدمنا ذكره ، فأراد الله اظهار موسى فيها ، وايده بكلمته ، وبعثه بالسيف ، والبيان ، ومقاتلة فرعون مصر والاستظهار

بكسر ما هو عليه من انتحال دعوته الى دين الله الذي بعث فيه موسى وأوحيت له الحكمة ، والمنزلة ، والتأييد ، والقوة ، لانه متوسط النطقاء ثلاثة منهم قبله ، وهم آدم ونوح وابراهيم ، وقد ذكرنا قصصهم ، وثلاثة بعده ، وهم عيسى ومحمد وقـــائم القيامة من ولده (اي محمد) ، وسوف نذكر بعد هذا من امرهم صلوات الله عليهم اجمعين .

ولما كان موسى وسطهم ، والوسط من كل شيء أقوى من الطرفين ، فان موسى اتصل بـداعي جزيرة مصر ، وهو تحت حكم فرعون يكتم ايمانه ، كما قال جل ذكره فيما وصفه به وقد كان وسم نفسه بالظاهر باتباع ما عليه فرعون للتقية ، وكان الزمان زمـــان ضيق وشدة على المؤمنين ، وكان فرعون عندما رأى ضعفهم ، ادعى الامر لنفسه ، واقام الدعوة باسمه ، واستمال الناس اليه ، وحوّل الدعاة الى رسمه .

وذلك ما ذكرناه في قصة شعيب ، وانحراف اكثر اهل دعوته عنه لما استمالهم فرعون الى امر الدنيا بالرغبة والرهبة ، فلم يبق على الحق الا القليل من المؤمنين ، واستتر شعيب بمدين من ارض الحجاز ، وانقطـع عنه التأييد ، وذلك ما جاء في الحديث انه عميَ .

فلما صار امر فرعون ما صار اليه كان اكثر من بقي على الدين بمصر بنو اسرائيل وحدهم وكان منهم دعاة الى شعيب ، قـد عرفوا فأحضرهم فرعون الى عنده ، وامرهم بان يصرفوا الدعوة اليه ، واظهر شعيب البراءة من ذلك فأجابوه ورخص شعيب بذلك ، فكانوا يدعون الى فرعون في الظاهر ، وكانوا يأخذون الواحد بعد الواحد من المستجيبين ، فإذا رأوا فيه قوة للقبول ثبتوه على دعوة الحق ، فإذا اتصـل بفرعون خبر احدهم امر بقتله وذلك قوله تعالى .

« يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَاءَهُمْ »

فالابناء امثال المستجيبين ، والنساء امثال الدعاة [١] ، الذين ظاهروه بما ظاهروه به من القبول عنه ، والدعاء له ، وكان موسى عليه السلام ممن استجاب لبعض دعاة شعيب الذين كانوا بمصر تحت سلطان فرعون ، يظهرون الدعوة اليه ، فلما رأى ذلك الداعي في موسى من القوة والقبول ما رآه اطلعه على امر شعيب ، وامر من قبله ، ومـا جرى في ادوار الانبياء ، وكيف دارت النبوة فيهم ، واطلعه من الحكمة على ما يجب له في جده ، وكل ذلك يلقن عنه ويقبل منه .

فلما رأى ذلك الداعي فيه قوة القبول ، اطلعه على امر صـاحب الزمـــان وشاوره في ان يرقيه الى حد البلوغ ، ووصف له حاله ، فارتاب [٢] صاحب الزمان في امره (اي امر موسى) وخاف عليه من عدوه فأوحى الله اليه ان يأمر ذلك الداعي بتربيته ، وان يرقيه الى حد التأييد ، وان الله سيؤيـده بكلمته ، ويبعثه رسولاً الى خلقه ، وذلك قوله تعالى .

« وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ ارْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي أَلَيم [٣] وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ »

وام موسى ههنا في البـاطن الداعي الذي دعاه ، والوحي كان من صاحب الزمان الذي امره بذلك ، فنسب الوحي اليه ، لما كان يتصل به الامر عنه ، وفي مكان آخر قوله :

---

(١) في نسخة (ه) وردت (الدعوة) .

(٢) في نسخة (ه) وردت « فأتاب »

(٣) في نسخة (س) وردت (أليم)

« إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ »

والتابوت يشتمل على ما فيه ، وله بيان ، وهو حد التأييد وذلك قوله تعالى .

« وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »

« فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ »

يعني خذ عليه ميثاق النبوة ، ثم اطلقه في الظاهر ، ليناظر ويتصرف فيه ، فانه يلقيه الى حدوده في اطراف الظاهر .

« يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ »

اي يستخلصه احد اعداء الدين نفسه .

فأدى شعيب الى ذلك الداعي ، وفعله بموسى ، واذن له في الكلام بالظاهر من امر فرعون ، وان يكسر له من وجده قوياً في أمر دينه ، ويدله عليه ، فبلغه ذلك الداعي ، واطلقه مأذوناً مكاسراً ، ورخص له في اظهار امر فرعون للتقية بحسب ما هو على ذلك وانه متى ناظر ، او كاسر من يرى فيه موضعاً للقبول ، اطلعه على بعض الشيء ، فاذا استحكم امره ورآه متهيئاً للقبول صرفه اليه ليأخذ عليه العهد ، فصار موسى في حد المأذونين ، وبشر بحد التأييد ، فشرع في حده اي حد المأذونين ، وهو يظهر أمر فرعون فيناظر عليه ، فإذا اتفق له من يرى فيه قبولاً وقوة يقين ، انكسر له ثم القى مما في يديه فمتى رآه قد قوي أطلعه على شيء من الحقيقة ، حتى يستحكم امره ، فيرقيه

الى داعيه الذي اطلقه مأذوناً ، فيأخذ عليه العهد كما يفعل المأذونون ، وأنـه صار الى بعض الحدود الذين هم في اطراف الظاهر ، وقد استحكم امرهم عند فرعون، وهو لا يعلم بهم ، ويكاسر بعضهم ، فجاءه مستجيب فأطلعه على بعض ما عنده ، ممـا عرفه فسعى به الى فرعون ، فأحضره ليقتله ، كما كان يقتل من كان هو في مثل حاله ، وكان باب فرعون قـد عرفه وكلمه فيما يظهره ، فرأى فيه ما اعجبه ، وسمع من بيانه مـا استحسنه .

ثم حضر مجلس فرعون عندما جيء بـه اليه ليقتله ، فسأله فيه ، وأخبره عما شاهده منه ، وعلم من تضاده في أمرهم ، فقال له ان كان كما قيل فنحن ندعوه الى ما عندنا فله قوة وبيان ، فيكون لنا ومن حلتنا وذلك قوله تعالى :

« فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً »

وهذا قول المسألة فيه ان يقال كيف يلتقطون شيئاً ، يعلمون انـه يكون لهم عدواً وحزناً ، وانما قتلوا الانبياء لعلمهم بذلك ،

قالت العامة يعني يكون حق ولو كان لهم عدواً ، وحزناً من التأويل الذي أقروا به ، وغيروه حرفاً بحرف عند اضطرارهم الى المعنى .

« إنَّ فِرعَوْنَ وهامَانَ وَجُنُودَهُما كَانُوا خاطِئِينَ »

يعني الذين اتوا به واستخرجوا ما عنده وقوله تعالى :

« وَقَالَتْ امْرأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي ذَلِكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَو يَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »

فأجابه فرعون الى ذلك ، وأمره بأن يكون عنده ، ويدعوه الى ما

هو عليه ، ويربيه في دعوته ، فأخذه اليه ، وبلغ ذلـــك داغيه ، فاغتم وخاف عليه ان يستفزه باب فرعون ، فيطلعه على شيء مما هو عليه ، ويستميله [1] بدنياه ، فأرسل مأذوناً كان له مثله ، ممن يدخل على باب فرعون ليتصل به ويعرف حاله ، وما هو عليه ، وذلك قوله تعالى .

« وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »

واقبل عليه باب فرعون وادناه منه واختصه وجعل يقنعه ان فرعون امام واجب الطاعة ، ويأتيه بزخارف القول ، فسر لذلك ، واذن له باب فرعون ، فكان موسى على مـــا عليه الدعاة المخلصون المستورون في ذلك العصر ، يظهر أمر فرعون وقبوله ، ويدعو من اتاه في الظاهر اليه فإذا أحسن بمن فيه مكنة [2] وقوة ، دعاه الى الأمر الحقيقي .

فاجتمع اليه يوماً جماعة من أهل دعوته منهم من قد اطلعه على امره ، ومنهم من لم يطلعه بعـــد ، فجلس لهم ، وناظر بعضهم بعضاً ، وتكلموا عنده ، فبدر ممن كان اطلعه على ما عنده ، قول احتج به على رجل ممن لم يطلعه على امره ، فرأى موسى ان الذي كان على امر فرعون ، قـــد علا بالحجة على صاحبه ، فأدركته الحميـــة [3] للدين ، فاصبح عليه بحجة قاطعة فاسكنه بها ثم تاب اليه رأيه ، فندم على ذلك ، وخاف ان يظهر امره آخراً ، كما ظهر أولاً ، ورأى انه قد تعدى وكشف ذلك في مجلسه

(١) وردت في نسخة (ه) (ويستمليه)

(٢) وردت بنسخة (ه) (امكنة)

(٣) في نسخة (س) وردت (الحجة)

وكان كثيرون ممن هم على امر فرعون وذلك قول الله عز وجل .

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

يعني لما بلغ حدود الدعوة ، ووليها ، وعلم حدها ، وحكمها ، وهو راعيه ، وكان احد نقباء شعيب وصاحب جزيرة مصر ، ومن له الحق ان يطلق الدعاة .

ثم قال تعالى :

« وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا »

اي دخل دعوته ، والذين فيها اكثرهم اغفل ما هو عليه .

« فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي هُوَ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ »

اي اتى اليه لما لزمته حجة خصمه ، فاستنجده .

« فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ »

يعني احتج على قوله ، وعلى تمويهات [1] سحره ، وعصمه الله عز وجل من القبول عنه ، فلم يرَ باب فرعون فيه اثراً للقبول ، وان كان يقبل منه في ظاهر الامر ، ويجيبه الى ما يقول ، وقد ذكر ذلك المأذون الذي كان الداعي بعثه ليختبر حال موسى ، وكان من خاصة باب فرعون ، ويحضر جميع ما يجري بينه وبين موسى .

ولذلك اختصه الداعي لمكانته من حجة فرعون ، واختصاصه به ،

---

(١) وردت في نسخة (ه) (تموينات)

فأسر اليه باب فرعون ما رآه على موسى ، واظهر اليـــه امره من قلة القبول عنه ، فقال المأذون : انه عبراني ، ولك دعـاة من العبرانيين وهم اهل بيته ، ومنهم فلان يعني الـــداعي الذي بعث به ، وانت تعرفه ، وتعرف صحـــة اعتقاده لهذا الامر ، فلو صرفته اليه ، فهو اصلح لسياسته ، واقوم له ، لانه يخاطبه بلسانه ، ويكسر عليـــه من حيث يعرفه ، فيكون على ما تحبه . وتستريح انت من تربيته ، ومن تبعته ، قال له : لقـــد صدقت ، وأصبت ، واحسنت ، فيما قلت ، وارسله معه اليه ، وذلك قوله تعالى

« وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ »

اي الاستفادة من الذين يعلمون ، ما كان قبل الشريعة « قَالَتْ أُخْتُهُ » اي المأذون الذي هو في مثل حاله ، والداعي ابوهما في البـــاطن هل ادلكم على اهل بيت يكفلون لكم وهم له ناصحون .

« فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ، وَلاَ تَحْزَنَ »

فانصرف موسى الى داعيــه ، وزاد امره عنده ، ورأى فيه من الاقبال والقوة ما سره ، فأطلقه داعياً بعد ان عرف باب فرعون بانه استجاب له وحسن امره عنده ، وشاوره في ان يطلقه في الدعوة له ، بحجته القاطعة فأمسكنه .

« قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ »

يعني ما كان منه من الاظهار .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ »

قال هذا حيث ثاب الى رأيه ، فعلم انه قد اظهر من الحكمة (١) ،

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (الاحكام) .

ما لم يكن سبيله ان يظهره ، الا في وقت وجوب اظهاره ، فوقع فعله ذلك في نفسه غير موقعه ، واقر بانه قد ظلمها .

وقد تقدم ان الظلم في اللغة ، وضع الشيء في غير موضعه ، وكان موضعها حفظها الحكمة ، وسترها عن غير اهلها ، فلما باح بما باح به ، استغفر ربه من ذلك اي سأله ان يستره برحمته ، وذلك هو رجوعه الى مربيه ، وسوآله اياه ان يسأل امـام زمانه ان يستغفر له الله عز وجل وقد قال تعالى .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً »

فلا يقبل الله استغفار مستغفر الا من جهة اوليائه ، فغفر الله له كما قال سبحانه .

« إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ »

وقوله :

« قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »

يعني بقوله « رَبِّ » امام زمـانه المستغفر له حيث اعتقد الهجرة اليه وترك ما كان فيه من معاونة فرعون ، وقومه باظهار الدعوة لهم ، والتجرد لامام زمانه بعد الهجرة اليه ، وذلك عندما حس بنفسه القوة.

« فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا »

يقول اصبح من غد ذالك اليوم خائفاً مما كان منه في امسه ، وجلس لاهل دعوته ، فعاد صاحبه بالامس لمناظرة رجل آخر ، لما قويت نفسه فعلاً عليه اما الآخر فاستمد من موسى ان يحتج له، فقال له ذلك الرجل الذي هو على ظاهر امر فرعون .

« قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسَاً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارَاً فِي ٱلأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ »

يقول اتريد ان تحتج له عليَّ كما فعلت بصاحبي بالامس ، فقطعته ما تريد فيما ارى ، الا ان تكون عالياً على حجة الملك ، متجبراً يقهر اهل دعوته ، وما اراك تريد الاصلاح له .

واتصل الخبر بفرعون وحجته فأمر بطلبه ليقتله ، فجاءه المأذون الذي سمع ذلك من باب فرعون وانذره ، فهرب وقصد قصر شعيب بالحجاز متخفياً ، وذلك قوله تعالى :

« وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّي نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ »

وقصد قصر صاحب الزمان شعيب .

« قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِينِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ »

اي مالك امري كما يقول العرب رب ومربي ورب البيت ورب العبد اي مالكه ومولاه ، ان يجعلني من جملة من يستعين به من المتصلين به ،

الذين هم الطريق اليه من الحدود ،وقد ذكرنا ذلك عند ذكر الصراط ، وكذلك قول ابراهيم .

« إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِي »

يعني مالك امره ومربيه بالحكمة .

« وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ »

اي علم ذلك الحد .

« وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ »

يقول : وجد جماعة من الدعاة يفاتحون الناس .

« ووَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ إِمْرَأَتَيْنِ تَزُودَانِ »

يقول اصاب دون الدعاة رجلين من المأذونين ، قد تهيأ لهما جماعة من المستجيبين وهما سائران بهما الى الدعاة ، فسألهما موسى عن حدهما فاخبراه .

« قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ ٱلرِّعَاءُ وأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ »

اي لا نفاتح أحداً حتى ينتهي هؤلاء الذين استجابوا لهؤلاء الدعاة الى غاية ما يجب لهم ، فنورد هؤلاء عليهم ، حينئذٍ فيسقونهم اي يفاتحونهم.

وكان موسى مطلقاً في الدعوة حيث توجه « فَسَقَى لَهُمَا » اي دعا من اتيا به وفاتحهم ، واطلعهم على انه احد دعاة شعيب ، وسأل المأذونين اللذين سقا لهما ، ان يعرفاه امره ، وقصد باباً من أبوابه ، وذلك قوله:

« ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ٱلظِّلِّ قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٍ ، فَجَاءَتْهُ إِحداهُما عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُما يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ »

يقول احد المأذونين اطلقه [١] في دعوتك نقيباً ، فانه قوي على ذلك مأمون عليه ، فسأله شعيب ان يكون داعياً من قبله بقوله .

« إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ »

يقول اني أريد ان اطلقك نقيباً ، واجعل اليك امور دعوتي وذلك ما جاء في الحديث انه استأجره على رعاية [٢] غنمه ، وذلك لما اطلعه الله عليه من حاله ، ومـــا اهله له من الرسالة على ان تقيم لي ثمانية من النقباء ، وان اتممهم الى عشرة ، يكون ذلك فضل منك ، لا شرط يلزمك .

« وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ »

وانقطع نقباؤه ، وهلك اكثرهم ، واتخـــذ موسى نقيباً ، على ان يتخذ له عشرة من اللواحق معه ومع الذي اخذ عليه فيكون معه اثنى

---

(١) وردت في نسخة (س) (طلعة)

(٢) وردت في نسخة (هـ) (رقابة) .

عشر نقيباً ، وذلك كما امر صاحب الزمان اذا وجدهم وقدر عليهم وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ونحن نذكر إن شاء الله تمامه في موضعه في المستقبل .

وربما ضعف صاحب الزمان عن هذا العدد ويجوز ان لا يبقى الا وحده ، وربما تهيأ له البعض ، وعجز عن البعض ، واكثر الاحيان يكلف صاحب الزمان اربعة من أبوابه ان يقيم كل واحد منهم اثنان ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وان مثل الاربعة مثل الاربعة الاشهر الحرم ، وامثال الثمانية الاشهر الباقية من السنة .

فكلف شعيب موسى ان يقيم له عشرة نقباء ، او ثمانية يستنبطهم ويطلبهم ممن يصلح لذلك وهذا عسير شديد على من يطلبهم ، ولكن لما علم من تأييد الله تعالى ، وما اهله له من الرسالة ، وقد رآه يقدر على ذلك ، ويجده فأحب ان لا يفارق الامر ، الا وقد تم له وكمل ، فأجابه موسى الى ذلك واقام بامر دعوته وصار حجة له وأقرب ابوابه اليه فكان في اوله ظاهرياً ثم استجاب لداعيه ثم انتقل الى ان صار نقيباً ، ثم صار حجة قريباً .

وكذلك ينقل الله اولياءه على الصراط المستقيم ، وهو الخلق الآخر بعد ان نشأ بالخلق الاول لانه سبحانه وتعالى لم يخلق الكامل دفعة واحدة ، بل رقاهم خلقاً بعد خلق ، كما ذكر في كتابه فأخرجهم من الارض بما يغذيهم به الى ان صاروا نطفاً في اصلاب الرجال ، ثم نقلهم الى ارحام النساء ، ثم خلقهم فيها علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسى العظام لحماً ثم اودعهم الارواح ، واخرجهم من الارحام اطفالاً لا يعلمون شيئاً ، فعلمهم على ايدي عباده ، ونقلهم كذلك في العلم درجة

بعد درجة ، فسبحانه من مقدر قدير ، بيده الامر واليه المصير .

وتولى موسى امر شعيب ووفى له بما جعله على نفسه ، وأقـــام له عشرة من اللواحق ، وسئل رسول الله (ﷺ) عن اي الاجلين قضى موسى ، قال أتمها وافضلها وذلك قول الله تعالى :

« أَيَّمَا ٱلأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ »

يعني بين اقامة عشرة من الحدود ، او ثمانية في مدة ما اجله له ذلك فقضى الاكمل وهم العشرة، واحيا الله به دعوة شعيب ، وكثر المستجيبون له ، وعظمت دعوته ، وحضرت نقلة [1] شعيب ، وانقضت ايامه بعد ان اكمل له امره بموسى ، فقبض شعيب ، وسار موسى من بعده بأهل دعوته في عدد عظيم من الحجاز يريد الشام مستقراً له ، ولينزل بأهل دعوته ،ويصيروا الى موقع الخصب والسعة عن ضيق الحجاز وقلة خيره.

فلما انتهى الى « الطور » [2] وهو جبل من جبال الشام اتصل به حد تأييد النبوة من قبل الله جل ذكره ، وكان يومئذ بعده اماماً ، ثم اتاه الوحي من الله بالرسالة ، وذلك قوله تعالى .

(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى ٱلأَجَلُ وَسَارَ بِأَهْلِهِ أَنسَ مِنْ جَانِبِ ٱلطُّورِ نَاراً)

ومثل النار مثـــل حد الناطق من نور التأييد ، يقول احس بنور التأييد في نفسه ، ومثل الطور مثل مرتبة الناطق ، وهي نفس الرسالة.

(قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)

---

(١) في نسخة (س) وردت (انتقاد)

(٢) في نسخة (س) وردت (الاطوار)

يقول امكثوا على ما انتم عليه ، فاني شعرت بتأييد الرسالة لعلي آتيكم منها ، اذا اتحـــدت بنور تستضيئون به ، وتنالون فضله (فَلَمَّا آتَاهَا) اي تأملها .

(نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ ٱلوَادِي ٱلأَيْمَنِ)

يقول من مرتبة الناطـــق اللطيفة لان التأييد الجاري من العلو من الاسفل على ثلاثة اقسام فأفضله قسم الانبياء ، والذي يليـه قسم الاسس ثم قسم الائمة ، فأراد بالايمن الاعلى ، وهو مد الرسالة .

(فِي ٱلبُقْعَةِ ٱلمُبَارَكَةِ)

وهي الامانة (مِنَ ٱلشَّجَرَةِ) اي من ازاء الحد ، وكل هذا تأكيد لعلو مرتبته ، وفضل القسم الذي اتاه .

(أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا ٱللهُ رَبُّ ٱلعَالَمِينَ)

وذلك اتصال من الكلمة بموسى عن الله عز وجل ، فأضاف هويته سبحانه الى كلمته التي اظهرها له ، من الحد بالوحدة لا بالذات ، لان ربه تعالى يجلّ عن ان تحيط به الجهات ، او ينعت بالحلول والذات .

وقال في موضع آخر :

(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)

يقول اطلع موسى على ان الحد المتحد به من التأييد هي البركة التي من نالها صار بها مباركاً ، وكذلك تعم البركة من حولها ، من المتصلين بالأصلين المباركين ، من اللواحق ، والاجنحة [1] ، قوله سبحانه .

(إِنِّي أَنَا ٱللهُ رَبُّ ٱلعَالَمِينَ)

---

(١) جاءت في نسخة (هـ) وردت (والاجانح) .

فتأويل سبحان الله التنزيه لله باري البرايا عز وجـل عن ان يشبهه شيء دونه ، وان ينعت بالحلول في مكان دون مكان ، او ان يضاف اليه شيء مما يجري على المحدثات ، او ان ذلك يجري عليه ، وانمـــا يجري ذلك بقوة حكمته وقدرته ، لا شريك له .

وقوله تعالى :

« يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا ٱللهُ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ »

اي أخبار من المؤدي اليه عن كلمة الباري ، انـه العزيز الذي لا وجود له على سبيل الاحاطة ، ولا سبيل الى انكاره ، مع عدم ذلك ، بل كلمته التي صارت علة كل شيء ، وعرفه من عرفه .

« وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ »

فمثل العصي حده من الأمامة التي نالته من صاحب الزمان الماضي امره ان يلقيه على ما خص به بعد ذلك من العلوم ، وصار مـا ناله من امام الزمان شبيهاً بالعصي ، وامره باقامة اساسه ، فصارت العصاة مثلا له .

« فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ »

فأول ما بان له من حجته اظهار ما ينبغي اظهاره ، مما هو ستر للباطن فخفي عليه ، وظن انـــه ظاهري محض ، فكسر عليه بظاهره ، وهو قوله :

« وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى »

وذلك اعطاءه ظهره ، فقيل له .

« يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلآمِنِينَ »

اي قد آمنت ان يكون حجتك ظاهرياً [1] بغير باطن ، فأقبل عليه بالباطن المحض ، فنبيء عنه فلما أقبل عليه بالباطن ، بان له منه ما سكن اليه هذا وجه .

وفي بعض التأويل ان الجان حية ليست بعظيمة ، وقوله

« وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ »

اي مرّ ولم يرجع اليه ، يريد ان قوة الكلمة على قمع من خالفه ، وان حجته تنفخ ناراً ، وانه لا يفاتح احداً ، إلا وقد أفحمه بالحجة ، كالحية الصماء التي لا تأتي على شيء الا اهلكته ، الى قوله تعالى :

« أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلآمِنِينَ »

يقول ان موسى لما رأى ذلك هاله ، وقدر في نفسه انه ليس له تلك القوة ، فناداه المؤدي اليه عن الباري قوله تعالى .

« يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ »

يقول من ظلم ووضع الحكمة في غير موضعها ، ثم استغفر من ذلك ، فاني غفور رحيم .

« وادْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ من غَيْرِ سُوءٍ »

عني باليد اساسه ، وصاحب سره ، يقول : اطلعه من جهة ظاهر شريعتك على سر ما اوتيت .

« تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ »

اي أنك متى اطلعته على ذلك يخرج الى بيانه ، بإيضاح نير من

---

(١) في نسخة (س) وردت (باطنياً)

التأويل واضح ، لا يشك فيه احد ، ولا يدفع بيانه وايضاحه .

« فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ »

يقول قد أيدت بتسع آيات ، فاذهب رسولاً الى فرعون [1] ، وقومه والتسع آيات هي ماله من القوة ، وما ايد به ممن تحته ، وذلك حده من الاصلين العلويين ، وحد من دونه الى المستجيبين ، وقد ذكرناها في غير موضع .

« إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ »

يقول كانوا في الحقيقة فخرجوا منها ، وذلك هو الفسوق ، كما قال سبحانه .

« فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ »

وقوله تعالى :

« واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ »

الجناح اليد ، وهو أساسه ، يقول : اضممه اليك فيما ايدت به ، ولا تخاف من كسر ظاهرك ، لانه يقوي برهانك بحجة التأويل الذي يقيمه .

« فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ »

يقول ما يأتيهم من البيان الظاهر والباطن وتقوم به انت واساسك إلى هرون .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ »

يعني ما جرى له من قصة مع الرجل الذي قام عليه البيان وقد

---

(١) في نسخة (ه) وردت (فراعنة)

مضى ذكره ، فأخاف ان جئتهم بالظاهر وحده احتجوا عليّ به فأكون محجوجاً فيصيبني ما أصاب الذي أقمت عليه الحجة ،

« وأَخِي هَرُونُ هُو أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً »

كون الحجة معه ، فأرسله معي رداً كي يصدق بتأويله الظاهري .

« إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ »

قال :

« سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ »

يقول سنشد أمر ظاهرك بأخيك [١] ، يعني بما معه من التأويل ، فلا يصلون اليكما بحجة ، ومعكما آيات الله ، فانتما ومن اتبعكما على ذلك الغالبون .

فأرسل الله موسى الى فرعون يدعوهم الى الايمان بالله ، والدخول في دعوته ، وأيده بأخيه هرون ، وأقامه لتأويل ظاهره ، وأشركه في البيان معه .

وكذلك جاء عن محمد (ﷺ) انه لما نزلت هذه الآية .

« واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، هَرُونَ أَخِي أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي »

قال (ﷺ) « وانا اقول يا رب كما قال موسى : رب اجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً أخي ، أشدد به ازري ، واشركه في امري .

وسار موسى فيمن تبعه ، ومن آمن بـه ، بأمر الله عز وجل الى

(١) في نسخة (هـ) وردت (باخاك)

فرعون ، ومن معه الى مصر ، ونزلوا بساحته ، فدعاه موسى الى الأقرار بالله ، والتصديق برسالته [1] ، وذلك قول الله تعالى

« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

يعنون بأبائهم الذين اخذوا عنهم دينهم ، وعنوا بالسحر كلام موسى وبيانه الذي دعاهم بـه ، فقالوا هذا احتيال وخداع منك ، تريد ان تميلنا به اليك ، وليس بحقيقة علم ولا هدى .

« وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ »

يعني عـاقبة دور الرسل وذلك كما تقول دار الدور ، فدار هو فعل ماضي ، فاذا ادخلت على دار الالف واللام قلت الدار ، فيظن السامع ان المراد بمعنى الدور التي وحدتها دار ، وهـذا من الرموز الخفية التي لا يوجد معناها إلا عند أولياء الله ، وله شرح طويل في اللغة العربية ، وانما حسن فيه دخول الالف واللام وليس من شأنها الدخول على الافعال فحسن ههنا لانه رمز . ومنه قوله تعالى : « إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » فـإذا اسقطت الالف واللام من الغار ، زال عنها معنى المغارة ، أو الكهف ، او القرية ، وجاز فيها معنيان احدهما ان يكون اسم نكرة ، والآخر ان يكون فعل ماضي من غار الرجل ، وغار على وزن دار ، وفي هذا بيان وحجة .

« إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ »

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (برسائله) .

وقد تقدم شرح الظلم ، والفلاح والبقاء ، وهو الغنيمة ، والنصر .

« وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي »

يعني بالملأ عظماء اهل دعوته ، ومعنى قوله ما علمت لكم من اله ، يقول ما اعلم لكم اماماً غيري .

« فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً »

يقول لصاحب امره ، واعظم دعاته ، ومقام حجته ، وهو هامان[1] اجعل لي شريعة ، وتأسيساً اشبعه بالبيان .

« لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى »

اي الذي ايد منه .

« إِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ »

فأما ما حمل اهل الظاهر هذا القول على انه عمل الآجر ، وبنى منارة ليرقى منها الى السماء ، فهذا مستحيل في القول ان يرومه أحد ، ويرى انه يبلغه .

« اسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ »

يقول استكبروا عن حجة موسى ، وان يطلبوا بيان ظاهره من قبله ، بعد تصديقهم بظاهر موسى ، فيصح عنده ما انكروه منه .

« فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ »

واليم البحر وهو مثل الظاهر ، يقول القيناهم في اختلاف ظاهرهم ، وحرمنا عليهم البيان ، فاغرقناهم في فتنة ظاهرة .

---

١) في نسخة (هـ) وردت (هيان)

وفي وجه من التأويل في قول الله عز وجل .

« وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً »

يقول انه أحس في نفسه بتأييد الطف من التأييد الذي ايد بــه في حد الامامــة ، فأمر من اتبعه على الامامة ان يمكثوا على حده معتقدين غير مفــارقين بشيء منه ، وان احس هو زيادة في نفسه ، وان يتبعوه على ذلك الحد ، حينما يأتيهم بخبر صحيح ، مما أحس به ، أو يجد من التأييد الذي أحس به هدياً يهديهم به الى ما رقى اليه .

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ)

يقول ناداه الحد العلوي التالي بلا واسطة من الحدود التي بينه وبينه

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)

اي مربيك ومؤيدك من قبل الباري جل وعلا بما جعله في حدي من التأييد للرسل (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) يقول اخلع ما كنت عليه من ظاهر غيرك ، والنعل مثل للظاهر ، والخسف مثل للباطن ، ومن ذلك كانت النعل تستعمل في الظاهر للشيء ، والتصرف في الخارج ، فاذا صار من يستعملها كذلك الى مكان قراره ، وآوى الى مجلسه ، القى نعــله ولا يلقي الخف ، بل يستعمله في الداخل والخارج ، ويجلس به ، ويركب ، ويمشي ، ويصلي ، فالنعل تنزع في اكثر من ذلك . فأخبره التالي انــه جرى في حده من تقدير الباري عز وجل ان يبعثه بشريعة مجددة تنسخ شريعة من قبله .

(إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوىً)

اي انك قد رقيت الى حد النطقاء

(وأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)

اي لما أتى من عند الباري من قوله تعالى لك .

(إِنِّي أَنَا ٱللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

يقول : اجعل عبادتك لله الواحد ، وأدع الى ذكره ، والصلاة مثل الدعوة ، والذكر الرسول ، اي ادع الى نفسك ، فـانت ذكري الذي اذكر به من قبل تذكيرك ، وهذا يؤيده قول الله عز وجل لمحمد (ﷺ)

(وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

وقوله تعالى :

(ولَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيكَ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ)

وقوله :

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً)

ويشهد برد الامر والسوآل الى الأئمة من اهل بيت رسول الله (صلعم) قوله تعالى :

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)

يعني اهل الرسول وهم الأئمة صلوات الله عليهم .

وقوله سبحانه .

(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَـةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَـلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبِعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)

عرفه بقائم القيامة ، وقرره على التصديق به ليكمل به عدد النطقاء اخواته ، ونهاه ان يصدق من لا يؤمن بـــه ، ممن اتبع هواه وقوله (أَكَادُ أُخْفِيهَا) تـــأوله اهل الظاهر عن طريق اللغة على وجهين ، قال بعضهم : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) اي أكاد اظهرها ، يقال خفي الشيء اذا ظهر ، وانشدوا شهادة لهم لأمرء القيس حيث قال :

« خفاهنّ من انفاقهنَّ كأنما : خفاهنّ ودقُ من سحابٍ مركبِ »

يصف فيه الفرس انه اظهر بقوة وقع حوافره [1] على الارض ، ما يأوي في احجرتهـا من الدواب ، والهوام ، كما يظهرهم سيل المطر اذا هجم عليهم فيها ، فيخرجون منهـا ، وهذا التأويل يكون باطن اخبار الله عز وجل عن قرب ظهور [2] امر القائم سلام الله عليه ، لان موسى هو متوسط النطقاء كما ذكرنا ، فقد تجاوز نصف المـدة الى القائم ، وكل شيء قطع نصفه فقد قرب من اخره .

والتأويل الثاني قالوا (أَكَادُ أُخْفِيهَا) اي أكاد أخفيها عن نفسي، فكيف اظهرها لغيري ، وقد تعالى باري البرايا سبحانه عن اضافة النفس اليه ، كإضافتها الى المخلوقين ، وقد اضاف ذلك الى بعض المتشبهين تعالى عن قولهم علواً كبيراً ، وهو يقول جل من قائل .

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

فما جاء من اضافة النفس المضافة الى الباري تعالى عن ان يضاف ذلك اليه كإضافة الى خلقه ، فانه يراد بالنفس التالي ، وهو اللوح الذي اثبت

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (خذافره) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (ظهور)

فيه ما هو كائن الى يوم القيامة ، وسمي نفساً كما يكون العلم مستودعاً في النفس .

وكذلك زعموا ان الله تعالى تجلى الى الجبل ، ودخل في شجرة وتكلم منها بكلام البشر تعالى عن قولهم علواً كبيراً ، وانما الذي كلمه هو الحد العلوي الذي اتحد به ، والشجرة مثل حده منه الذي ائتمت اليه .

وقوله تعالى : (إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ) يعني ان حده الذي ناداه بذلك كان عن الله ، كما يقال في اللغة نادى السلطان بكذا ، وانما نودي باسمه وعن امره ، فيقول المنادي في نداءه من فعل كذا ، عوقب بكذا ، وهو قائل ذلك ، والمعلوم ان المنادي الذي نادى بذلك كان نداءه عن امره ، وقوله سبحانه وتعالى :

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)

قلنا في التأويل ان اليمين حد الناطق ، وقد قيل له في موضع آخر .

(أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ)

ولا يقال للشيء انه في شيء ، ما لم يكن قد اشتمل عليه ، اواشتمل احدهما على الآخر ، والمشتمل عليه الطف من المشتمل ، ومن ذلك القول زيد في الدار ، فزيد الطف من الدار ، والدار اكثف من زيد ، فلذلك صح ان يكون فيها ، وتشتمل عليه ، ولهذا نظائر يطول شرحها وقوله :

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟)

بين ان اليمين فائضة على ما سئل عنه ، يشهد بذلك قوله « القها » وقبضه عليها انما يكون بباطن يده ، وكانت العصا حداً لطيفاً من

حدود التأييد ، أيد به ، وهو الطف من حد باطنه ، اذ ان ظاهر اليمنى دليل على الظاهر ، وباطنها دليل على الباطن ، والعصا الطف منه لانه اشتمل عليها .

ولذلك قيل له ما في باطنك الذي ايدت به .

(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا)

يقول : هي مادة ما ابدت به من اللطافة المستوية ، التي لاعوج [1] فيها ، فوصف ذلك على قدر مبلغ وقوفه عليه ، ولما سئل عن ذلك كان سوآل من امتحن عن حده ، ومعرفته به (أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) اي اعتمدعليها

(أَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)

يقول : افيد منها امتي واسوسهم بها .

(وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)

اي منافع أخرى لنفسي اعتمد عليه ، واعمل به .

(قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)

يقول القها على أساسك ، اي علمه اياها ، ليكون هو القائم بهاويؤيد هذا قوله تعالى :

(فَأَلْقِهِ فِي الْيَمِّ)

وقوله :

(يُلْقُونَ السَّمْعَ)

فكل هذا يقول العرب فيه القِ لانه لا يجوز ان يقال ذلك الا لمن

---

(١) في بنسخة (ه) وردت (لاعاج)

يلقى من اليد فقط ، قال الله سبحانه وتعالى :

(وأَلْقَيْنَا بَيْنَهُما ٱلعَدَاوَةَ وَٱلبَغْضَاءَ)

وهو مشتق من القيت اي جمعت ، يعني الشيئين من اللقاء ، والشيء الملقى هو المطروح ، والمطروح متروك ، وقد قيل له (خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ) وانثنت العصا وهي في الحقيقة علم لطيف ، وسبيل العلم ان يذكر ، فانثنت باضمار انها فائدة وحجة بينة وآية .

وقد قال عز وجل بعد ذكر العصا .

(واضْمُمْ يَدَكَ إلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى)

فكانت العصا أية اولى ، واليد آية ثانية .

(فَإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)

اي هي لقوتها كالحيوان .

(قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ)

يقول ضمها اليك ، اي انسبها الى نفسك ، فهي من قبلك .

(وَاضْمُمْ يَدَكَ إلَى جَنَاحِكَ)

فاليد ههنا مثل الاساس ، والجناح مثل القوة التي اوتيها .

(تَخْرُجْ بَيْضَاءَ منْ غَيْرِ سُوءٍ)

ان يظهر بالبيان الواضح الحسن الذي الاسوء [1] فيه .

(آيــةً أُخْرَى)

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (لا شيء)

يعني ان الآية الاولى اتته من الباري جل ذكره ، والمرة الثانية بقدرة منه الي من دونه ، وهو أساسه فكان في الأول آيـة من الله عز وجل اليه ، وفي الثانية آية منه لاساسه .

(لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا ٱلْكُبْرَى)

يعني حد القائم يوم القيامة ، اي نريك ذلـــك في وقته ، فتراه كما ارايناك في وقتك ما رأيناك

(إذْهَبْ إلَى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى)

يقال طغى الماء اذا علا وارتفع ، فالطغيان مشتقة منه ، وهو انـه ترافع عن ان يأخذ العـلم عن موسى وحجته عليهما السلام ، ومنه قوله عز وجل مخبراً عن فرعون .

(واسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ)

وقوله :

(إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ)

وذلك استكباره عن اخذ الحقيقة عن الاساس .

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)

يعني بالتأييد الذي وهبته لي .

(وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)

يعني في ابلاغه .

(واحْلُلْ عِقْدَةً مِنْ لِسَانِي)

يعني عقدة الميثاق مني ، ومن اساسي ، عنـــد المناظرة يحاجهم بالحقيقة وعلم الباطن .

(وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي)

تقدم تأويله ، ويرجع بنا القول الى ذكر خطاب موسى وفرعون . وقوله له :

(إِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ)

وقال في موضع آخر .

(فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ)

يقول لموسى وهرون عليهما السلام .

(أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

اي اطلقهم من حكم مملكتك ودعوتك ، فانهم قومي ، واهلي ، وذريات النبوة ، وقال في موضع آخر : (لا تعذبهم)

يعني بما تدعوهم اليه من اتباعك ، واعتقاد امامتك .

(قَالَ فِرْعَوْنُ : أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً)

يقول : ألم تكن فيمن استجاب لدعوتنا ، وولدت فينا ، وربيت بعلمنا .

(وَلَبِثْتَ فِينَا ، مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ)

(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ، وأَنْتَ مِنَ ٱلكَافِرِينَ)

يعني ما اظهرت من الكسر على الرجل ، الذي كسرت عليه ، والاحتجاج الذي احتج به يقول ، فكفري حينئذ لما ظهر منك خلاف ما كنت عليه .

(قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ)

يقول : كنت حينئذ مغفلاً عن الذي ايدت به اليوم ، ورزقته ، ووهب لي من حد النبوة ، وكنت لا اعرفه ، ولم اهتدِ اليـــه ، ومن ذلك قول الله تعالى لمحمد (ﷺ) .

(وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)

اي ضالاً عن سبيل النبوة ، فهداك بالتأييد اليها ، ويؤيد ذلـــك قول موسى .

(فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ إِنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

يقول وهذا الذي وصفت انه نعمة [١] ، فمننت علي بها ، وانت قد استعبدت بني اسرائيل ،وانا احدهم ، فقهرتنا على امرك ، واستعبدتنا لنفسك ، اي نصبت لنا نفسك اماماً ، واجبرتنا على طاعتك ، فليست تلك نعمة تمن عليّ بها ، اذ كنت قهرتنا ، وأجبرتنا على ذلك ، وهذه محنة ، وليست نعمة [٢] ، كما زعمت .

(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ)

يسأل موسى عن ماهية الباري ، وعن الصفات .

(قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)

(قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْمَعُونَ)

يعني الا تسمعون الى جواب موسى ، وكيف اجابني بخـــلاف ما

---

(١) في نسخة (ه) ورت (نقمة)

(٢) وردت ايضاً في نسخة (ه) نقمة .

سألته عنه ، ان اسأله عن الباري ما هو ؟ وهو يجيبني انه رب السموات والأرض ، يستجهل موسى في الجواب .

قال موسى نعم .

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ)

قال فرعون :

« إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ »

لأن موسى اجابه بما لم يسأل عنه .

« قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ »

كل ذلك يعني الصفاة الذاتية عن الباري عز وجل، ويصفه بألوهيته .

« قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ »

يقول لئن توليت اماماً غيري ، لاحرمن عليك المفاتحة [1] ، فارجع الى ما كنت عليه ، من اعتقاد ولايتي ، يدعوه الى الرجوع الى امره ، الذي كان يظهره للتقية منه ، اذ انه كان في سلطانه .

« قَالَ مُوسَى أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ »

يقول : او لو جئتك في الظاهر ، الذي انا عليه ببرهان بين [2]

« قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ »

يعني اظهر ما ايد به من البيان والحجة ، فإذا هي قانعة دامغة .

---

(١) وردت في نسحة (ه) (الفاتحة)

(٢) وردت في نسخة (ه) (بيني)

« وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ »

يقول واظهر اساسه البيان ، فإذا به بيان نور واضح ،فأفحم فرعون .

« قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ حَوْلِهِ إِنَّهُ لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ، فَمَاذَا تَأْمُرُونَ »

يقول ان هو الا رجل معه جبل من القول ، ومخرقة يريد ان يخرجكم بها من ملتكم ، فماذا تأمرون ؟

« قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ »

يقول اخرهما ولا تفاتحها بشيء :

« وَابْعَثْ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ »

يعنون أهل دعوته ان يجمعهم اليه .

« يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ »

اي من كان على مثل حال هـذا من الكيد ، والمخرقة من ينتحل ما انت عليه ، فتقاومه به ، ويأتي بمثل ما اتى به ،

« فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ »

اي لموعد مفهوم .

« وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ »

يعني المأنوسين بعلم فرعون هل انتم مجتمعون .

« لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ »

« فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ »

يقول السحرة ما قالوه ثقة منهم بأنفسهم ، لانهم لا يرون أحداً يرد ما أقاموه من حجة ، وسألوا فرعون ان غلبوا موسى ، ان يأجرهم تقدمة ، ومنزلة [1] .

« قَالَ نَعَمْ وإِنَّكُمْ لِمَنَ الْمُقَرَّبِينَ »

في الدعوة والمرتبة .

« قَالَ لَهُـمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ »

وقال في موضع آخر :

« قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وأَمَّا أَنْ نَـكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى »

يقولون : اما ان تلقي علينا مسائلك ، او نحن نلقي عليك مسائلنا

« قَالَ لَهُـمْ مُوسَى بَلْ أَلْقُوا ، فَأَلْقُوا حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ »

يعني كلامهم المنظوم من البيان ، وكلامهم الظاهر ، وذلك ان لكل نحلة [2] ظاهر ، ولمن انفرد بذلك فيما يضطرهم الأمر لتأويله ، ولا يأخذون من عند اهله ، تأويل يتأولونه هم لانفسهم ، وهو فاسد غير صحيح ، ولا بيان فيـــه للمتأمل المسترشد ، فأتى السحرة [3] بظاهر فرعون ، وتأويله على هذا المعنى .

« وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ »

اعجاباً منهم بأنفسهم .

« فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ »

---

(١) في نسخة (س) وردت (منازلة) . (٢) وردت في نسخة (هـ) (نملة) .
(٣) في نسخة (هـ) وردت (الساحرة) .

وذلك ما أيد به من البيان ، فاذا بذلك البيان يبطل افكهم ، وقال في موضع آخر :

« فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى »

يقول تخايل له ان الذي أتوا به من مخاريقهم بشبه الحقيقة ، وخاف على أساسه الغلبة .

« قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ، تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ »

واليمين باطنها يلقي الشيء منه ، فباطن اليمين الاساس في وجه من وجوه التأويل ، وظاهرها مثل على الناطق ، فالقبض والبسط بباطنها ، والانتفاع بجميع ما ينتفع به ، بسلامة ظاهرها من الحوادث ، ينصر باطنها ، فالظاهر على هذا الشكل مفتقر للباطن وهو يؤيده ، ويشده ، والباطن كذلك مستتر بالظاهر كامن [1] فيه ، والظاهر يدل عليه ، ويشهد له ، فقيل له (اي لموسى) قل لاساسك ان يلقي اليهم من التأويل الحقيقي ، وقد ذكرنا قوله :

« وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي »

إنه انما أراد هذا به ، ففاتحهم موسى بالظاهر ، وفاتحهم هرون بالباطن ، كما سئل موسى كذلك ، وقد ذكرناه قبل هذا .

فأتاهم ما لم يشكو فيه انه هو الحق ظاهراً ، وباطناً ، وذلك مما أباحه الله لموسى من اظهار التأويل الباطن لمن لم يقبل ظاهره لشدة الرموز

(١) وردت في نسخة (س) (كائن) .

من الحجة ، فأذعنوا له ولم يكن عندهم في ذلك دفاع غير الاقرار والخضوع ، وذلك قوله تعالى : « فألقى السحرة سجداً » .

« قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ ومُوسَى »

قال فرعون :

« آمَنْتُم لَهُ قَبْلَ أَنْ آذنَ لَكُمْ »

يقول صدقتم به قبل ان آذن لكم ، وانتم في حدي ، ودعوتي :

« إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ مِنْ خِلَافٍ » .

يقول لأقطعن عنكم مادة الاصلين العلويين ، والسفليين .

« وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخِيلِ »

يعني اشهار امرهم عند لواحقه لانه كان نصب دعوة بترسيم الائمة ، وادعى الامامة .

« قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّا كُنَّا أَولَ المؤْمِنِينَ »

وقوله تعالى :

« وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ »

والاسراء السير بالليل ، يقول : ايدهم بعلم الباطن ، والستر ، وذلك مثل على الليل « إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ » يقول ان فرعون وقومه يتبعونكم بالحجج ، فأيد اصحابك ، وعلمهم ، وأوقفهم على الحقائق .

« فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ »

يعني موسى ومن معه .

« وإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ »

« وإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ »

يعني انه جمع عليهم جمعاً آخراً ، ليحاجوهم اذ قد غاظه ما كان من وفى آمن معه ، فأتى اصحاب فرعون الذي بقيَ منهم في الظاهر الذي معهم ، وذلـــك قوله (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) والاشراق من شروق الشمس ، وهو النهار ، ومثله مثل الظاهر ، يقول : اتوهم بالظاهر .

« فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ »

اي نظر بعضهم الى بعض عند المناظرة .

« قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ »

يقولون : انا لمدركون بالحجة ، لاننا انما كنا نناظر في الباطن ، واتانا هؤلاء بالظاهر .

« قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ »

والبحر مثل علم الظاهر ، ضربه موسى بالتأييد الذي ايد به من الظاهر ، فتعصم [1] ما اتوا به ، وفرقه ، وقطعه بحقه ، وميّز بين الحق والباطل منه ، ثم قال عز وجل :

« وأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثم أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ »

---

(١) في نسخة (ه) وردت (فهضم)

يعني انهم اغرقوا في حجج ظاهرهم ، فهلكوا فيـــه في الباطن ، واغرقوا كذلك في الظاهر ، كيلا يفارقوا الدنيا ، الا وقد قامت عليهم حجة اهل الحق ، بحسب ما جرت فيه سنة الله فيمن قبلهم من الأولين امثالهم ، وكل هذا وما مضى ، ويأتي من ذكر الباطن غير الامثال ، فله ظاهر قد كان .

والأمثال دلائل واشارات الى ما وقع عليه التمثيل ، فلذلك كان كما قال رسول الله ﷺ « لكل آية ظاهر وباطن » فجردنا في هـذا التأليف ذكر الباطن ، والأمثال ، وتركنا الظاهر اكتفاء منا بظهوره ، ومعرفته اكثر الناس به ، وانا ذكرنا جملة ما قصدنا تأويله ههنـا في كتاب « دعائم الاسلام » الذي الفنا هذا الكتاب في تأويله ، وبالله نستعين .

وتكلم فرعون بلفظ الايمان ، وقد ادركه الفرق ، ولم يقبل الله منه ذلك قوله تعالى :

« آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فاليومَ نُنَجّيكَ بِبَدَنِكَ »

يقول نشهر امرك عند الناس ، ان الذي كنت تدعيه من علم الباطن دعوة باطلة ،وانه ظاهر محض [1] ، وذلك ان مثل البدن مثل الظاهر ، والروح مثل الباطن ، وقوله تعالى .

« فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى »

يعني ما اظهره موسى لفرعون مما ايد به الباري جل ذكره .

« فَكَذَّبَ وعَصَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى »

---

(١) في نسخة (ه) وردت (محص)

يعني انه جمع قومه ، وأقام الدعوة فيهم لنفسه ، بانه هو امام الخلق في وقته .

« فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَالأُولَى »

فنكال الاولى هو اظهار ما اظهره من فساد دعواه ، واظهار ما كان يوهم به الخلق من انه صاحب حقيقة وباطن ، ونكال الآخرة ما يجازي به ، ويصير من العذاب .

وقوله تعالى :

« وأَوْرَثْنَا ٱلقَوْمَ الذينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبَها التي بَارَكْنَا فِيهَا »

يعني الذين استضعفهم فرعون ،وقومه اورثهم الله علم الائمة ، والحجج ظاهرهم وباطنهم بقدر ما يجري في حدودهم وطبقاتهم .

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) .

يعني ان كلمة الله ظهرت اليهم عن الناطق عنه بها ، وابطل الله امر فرعون وقومه ، وما بنوه في الدين من البيان الواهي الضعيف ، لذي مثله مثل العريش الذي يشبه بالبيت ، وليس هو كذلك .

(وَجَاوَزْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ)

يقول اعليناهم على علم الظاهر وامواجه ، وخلصناهم من الغرق فيه ببيان التأويل :

(فَأَتَوا عَلَى قَوْمٍ يَعْلِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ)

يقول مروا بقوم لهم رؤساً اقاموهم لانفسهم ، يأخذون عنهم علم الظاهر .

(قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)

اي اقم لنا رئيساً يفيدنا برأيه ، واختيار ظاهر ما تحتاج اليه على حسب ما هؤلاء عليه ، قال لهم موسى :

(إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)

ان هؤلاء متبرٌ مما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون .

يقول ان عاقبة هؤلاء الهلاك .

(قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً)

يعني وإله العالمين بما ارسله به اليهم من الظاهر ، والباطن ، فيسألون بعد ذلك ان يردوا الى رأي البشر ، وكان هذا من قول بني اسرائيل لموسى بعد ان أهلك الله فرعون وقومه ، وتوجه موسى ببني اسرائيل يريد بهم الشام مقر ابائهم ، واخرجهم معه ، فلما ابطل موسى عندهم علم التقليد للبشر من دون الرسل سألوه ان يقيم لهم من يعلمهم العلم الحقيقي الذي هو من قبل الله تعالى ، فأوحى الله اليه ، وهم يومئذ اثنى عشر سبطاً [1] ، ان يقيم لكل سبط منهم نقيباً يعلمهم ، وذلك قوله جل ذكره :

(وإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

---

(١) وردت بنسخة (هـ) (اسباطاً)

فالعصا ههنا كما ذكرنا مثل التأييد الذي ايد به ، والحجر مثل اساسه الذي يخصه من التأييد المتحد به ، مما يجب له منه فيقيم اللواحق لكل سبط منهم رجلا ، فد عرفوه انه مشربهم يعني انهم يستفيدون منه ، والعلم مثله مثل الماء كما ذكرنا فيما تقدم .

فاتصل كل سبط منهم بصاحبه ، ونصب لهم الدعاة يعلمونهم التأويل ، ويغزوهم بالحكمة ، بعد ان عرفهم موسى ظاهر الرسالة ، وما تعبدوا باقامته منها ، وقوله تعالى :

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ ٱللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

يقول تناولوا من البيان والعلم قدر احتمالكم شيء بعد شيء ، فالأكل مثل التناول للضعيف الاحتمال ، كما يكون الأكل لمن لا يمتليء من الغذاء إلا بعد مدة ، كذلك كان ضعيف القوة لا يحتوي الحكمة إلا بعد مدة ، والشرب مثل التناول للقوي الاحتمال كما يكون الشارب الذي يتناول منه في وقته بسرعة ، وان اجتمع القوي والضعيف عند السماع فانه لا ينال كل واحد منهما إلا بقدر احتماله كما انه لو اجتمع على الطعام والشراب جماعة يختلفون في الصحة والهمة لم ينل كل واحد منهم إلا بقدر احتماله ، وذلك في ضاهره ، وباطنه مختلف ، لاختلاف قوى البشر اذ لا يكاد يجتمع منهم اثنان على مقدار واحد ، فلا يزيد أحدهما عن صاحبه فيه إلا بقدر ما ينقص عنه ، كما ان ذلك لا يتفق في ظاهر الصورة ، وان كانت متشابهة ، فلا بد من فرق بين كل صورتين .

فلما نصب لهم هرون اللواحق ، وأقام لهم الدعاة ، لبيان التأويل ، وما تعبدوا به ، اتوا موسى فقالوا له : إنّا لا نصبر على المقام على محض التأويل وحده ، فاسأل الله لنا على لسان اساسك الذي أقمته لنا فنوناً

من العلوم الظاهرة تتنفس فيها ، ليكون لنـــا خوض في المذاهب ، ونتصرف في العلوم ، وذلك قوله :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَصْلِهَا ، وَقِثَّائِهَا ، وَفُومِهَا ، وَعَدَسِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)

يقول : تطلبون ما هو أدنى ، وأقرب ، وتستبدلون بما هو خير منه :

(اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ)

يقول أرجعوا الى ظاهر الناطق ، تجدون فيه ما طلبتم .

ومصر ههنا مثل للناطق ، ومنه قول الرسول (ﷺ) « انا مدينة العلم وعلي بابها » فأعرضوا عن التأويل ، وعن من نصب لهم لتـأديته ، وانصرفوا الى الظاهر ، فخاضوا فيه ، وفي لجج بحوره ، وتيار أمواجه ، اذ عدموا التأويل ، وخرجوا الى ظاهر الماضيين ، وصاروا الى القول بالآراء والتقليد ، وما تزينه لهم الانفس الى ان سألوا موسى كما وصف الله تعالى عنهم يريهم الله جهرة وقال الله عز وجل :

(فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)

والصاعقة الموت ، وذلك موت الحواس عن العلم الحقيقي الذي به حياة الانفس ، فماتت عن خواطرهم ، وصاروا كما قـــال تعالى وهو اصدق القائلين .

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ إِيَّانَ يُبْعَثُونَ)

ثم منّ الله عليهم بالحياة ، فأمر موسى باقامة اللواحق والدعاة ثانية لهم ، بحسب ما كانوا عليـــه ، ونصب لهم ذلك هرون عن امره ،

فأنعشهم ذلك ، وأحياهم ، وهو قوله تعالى وهو اصدق القائلين .

(أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)

ثم منّ الله عليهم بالحياة ، فأمر موسى بإقامة اللواحق والدعاة ثانية لهم ، بحسب ما كانوا عليه ، ونصب لهم ذلـــك هرون عن امره ، فأنعشهم ذلك ، وأحياهم ، وهو قوله تعالى :

(ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ)

يقول : جعلنا بينكم وبين الحدود العلوية حد الناطق الجسداني ، تستظلون به ، وتستفيدون من نوره آمنين من ان يحرقـكم لطافـــة الحدود العلوية .

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

المن مشتقة من الامتنان ، قال الله تعالى :

(فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)

وقال :

(بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

من اخذ العلم عن اولياء الله وحدودهم ، فقد نال المن والسلوى ، وجميـــع الطيبات .

وزعم اهل الظاهر ان المن هو (الترنجين) [1] ، والسلوى هو طائر

(١) في نسخة (س) وردت (الترونجون)

يشبه (السمّان) [١] وهو طائر لم تعرف حقيقته .

والحقيقة هو ما ادت اللواحق ، وما ادت الاجنحة من العلم الذي يغذون به العا من حدهم .

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

اي خذوا ما اوتيتم من العلم طيباً مما رزقتموه .

(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

يعني بما صرفوه من القول الذي سمعوه ، وما اعرضوا وما تركوه .

واما قوله تعالى :

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً)

تأويله ان القريه بمعنى المدينة ، والمدينة كما ذكرنا مثل الامام ، لأنه جمع من العلم والحكمة ، مثل ما تجمعه المدينة من الخيرات والنعمة ، وذلك ما امروا به من قبول ظاهر موسى ، وما شرع لهم من شرائع الدين ، وهو قبول تقليد وطاعة بلابيان ولا حجة .

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)

ومثل الباب الاساس كما ذكرنا من قول رسول الله (ﷺ) « انا مدينة العلم وعلي بابها » فأمروا باقامة الظاهر والباطن والخضوع لاساس موسى وهو هرون في ذلك الوقت (وَقُولُوا حِطَّةٌ) قال : اهل الظاهر معنى حطة اي حط عنا ذنوبنا ، ولو كان هذا القول يحط الذنوب لم يبق مذنب إلا غفر له ، بل هي كلمة تدل على الانحطاط والخضوع لحدود الناطق ، أي أقروا بمن في وقته من اللواحق ، ومن بعده من الائمة في

---

(١) في نسخة (س) وردت (السمنة)

دور الناطق نحط عنكم الذنوب ، وذلك قوله :

(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ)

يعني العاملين يزيدهم ما وعدهم به من الثواب بعد المغفرة .

(فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ)

فالظلم كما قلنا في اللغة هو وضع الشيء في غير موضعه ، يعني انهم بدلوا اسم الامامة ، فوضعوا فيها غير اهلها ، ووضعوا أهلها في غير موضعهم .

وقوله عز وجل .

(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ، وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

وذلك انه أمر بأقامة اربعين حداً ، عشرة من فوقه وهي الحدود العلوية ، وقد ذكرناهم وثلاثين من دونه ، وهم الحدود السفلية، النقباء الاثنى عشر ، واللواحق الاثنى عشر ، والائمة لأن السابع منهم يصير ناطقاً ، فهؤلاء ثلاثون حداً يعبدون الله ، امر موسى باقامتهم من دونه ، واتمهم الله عز وجل الى الاربعين بالعشرة العلوية التي هي من فوقه ، فاشتغل موسى بإقامتهم ، واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل ، وهو قوله تعالى :

(وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي)

ولما خلوا بانفسهم وغاب عنهم موسى في الذي امره الله تعالى به من أقامة الحدود فتنوا ببعض ابناء اللواحق ، وأمثال اللواحق في الباطن البقر ، وأولادهم هم الذين أخذوا عنهم وربوهم أمثال أولاد البقر التي

هي العجول ، وواحدها العجل فاتخذ قوم موسى رجلا من أبناء اللواحق أماماً ، أقاموه لانفسهم ، وذلك قوله تعالى :

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ)

يقول اتخذوا مما تحلوا بـه من حلية الايمان كلاماً حفظوه ، وجمعوه لاحد المستفيدين من اللواحق ممن لا يحسن البيان له خوار اي كلام لا بيان فيه ، كما يكون الخوار وهو الصوت الذي يخرج من قبل الخياشيم[1] لا تقطعه اللهوات ، واللسان والشفتان ، فيكون كلاماً بيناً بلا بيان.

وقوله تعالى :

(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ)

اي لا يكلمهم بكلام الحقيقة (وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) من سبل الحق .

(اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)

اي وضعوه في غير موضعه .

وقد ذكرنا ان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه ، فنصبوه مكان هرون ، وذلك قوله تعالى :

(فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ ، وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ السامريُّ ربَّهُ)

(أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا ، وَلَا نَفْعًا)

(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي)

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (الخشايم)

(قَالُوا لَنْ نَبرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعُ إِلَيْنَا مُوسَى)

فلما أقام موسى الحدود الذي امره [1] الله عز وجل باقامتها ، وهو لا يدوي ما صنع فوقه من بعده ، وقد ذكرناهم ، وذلك قوله تعالى

(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةٍ وَأَتْمَمْنَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَاصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ)

وذلك ان موسى لما اشتغل بإقامة الحدود ، اي ميقات ربـه الذي وقته له ، وهو حده العلوي ليفيد بحسب ما حدده ووقته له في الموضع الذى تغشاه بالوحي فيه ، استخلف هرون على قومه ، وأقامـه لتأدية الظاهر الذي كان يقوم هو فيه ، والباطن الذي هو حد أساسه ، هرون فحسده السامري ، وكان ممن يحضر عند موسى ، ويظهر له القبول عنه وهو في باطن امره على خلاف ذلك ، فاستمال ضعفـــاء قوم موسى ، وعرضت لهم بما كان فرعون ينتحله ، ويقول من الباطن به ، واشتق له تأويلا ، ونصب بإزاء هرون رجلا من بعض المستجيبين عمن مال اليه ، وهو المضروب مثلا بالعمل ، وتقد تقدم ذكره .

فافتتن اكثر قوم موسى من بعده وذلك قوله عز وجل .

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا موسى

---

(١) وردت في نسخة (س) (تعبده) .

(قَالَ هُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيكَ رَبِّي لِتَرْضَى)

(قَالَ فَأَمَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ)

وسنذكر تمام هذا الكلام في موضعه بعد تأويل مـا قد قدمنا ذكره من قوله جل ثناءه .

(قَالَ رَبِّي أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيكَ)

فرب موسى ههنا المراد به مربيه بالحكمة ، وهو حده العلوي الذي تفشّاه بالوحي عن الله جل ذكره، وهذا معروف في لسان العرب يقولون لمالك امر الشيء ربه، كما يقولون رب العبد ، ورب الدار ، ورب الثوب واشباه ذلك ، ومن ذلك مـا حكاه الله عن يوسف عليه السلام لرسول الملك الذي جاء عنه .

(إِرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَأَسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)

وقوله :

(أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً)

وقوله موسى :

(رَبِّي أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)

يعني بذلك النظر في جميع مـــا عنده من العلم ، الى آخر حدود المعرفة، وذلك انه سأل النظر في حده الذي يتصل به من فوقه، والنظر في اللغة يكون بغير رؤية البصر ، كما يقول القائل لغيره انظر في امري فسأل موسى زيادة في رؤيا العلم فوق ما اوتيه وحدد له .

اما ان يكون موسى سأل النظر الى باري البرايا جل ذكره ، وهو من العلم في حد النبوة ، وذلك يتنافى عمن هو دونه في العـلم ان يرى

ان ذلك يتهيأ له ، او ان في قوة البشر النظر الى الملائكة لانه ليس في قوة البشر الكثيف الجسماني ان ينظر الى الملك اللطيف الروحاني ، ولا ان يسمع كلامه ، كما يسمع كلام البشر امثاله ، ولا يتحد ما يتحد به النبيين عن حدودهم العلوية من الملائكة ، الا عن مشقة شديدة تنالهم في ذلك اذ ليس في قوة طباعهم الثبات لذلـــك ، ومنه ، قيل ان رسول الله (ﷺ) كان اذا تغشّاه الوحي اخذه سبات ، وكرب ، وارفضّ عرقاً ، وثقل جسمه ، حتى لا يستطاع حمله ، واستغرق ذهنه حتى لا يعرف في الظاهر من بحضرته ، ولا خطاب من يخاطبه ، حتى انهم قالوا عنه في ابتداء امره انه يجن وذلك قوله :

« مُعلّمٌ مَجْنونٌ »

ولو ان انسان كلمه بعض الحيوان الذي شاهده،وألفه ، او الشجرة ، او الحجارة وهو يراها ، ويعرفها لم يكن في قوة طبعه ، ان يحتمـــل ذلك فكيف بان يكلمه ما لم يعرفه ، ولا ألفه ، او ان يرى ذلك ، ولذلك قال الله وهو اصدق القائلين :

« فَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلِكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبِسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ »

قال جلّ وعلا :

« وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ ٱلأَعْلَى »

(الى قوله)

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى »

قال اكثر المفسرين من اهل الظاهر ، انما عنى بذلك جبريل ، وان رسول الله (ﷺ) رآه مرتين ليلة اسرى به وقد ذكرنا ان الاسراء انما كان بروحه ، وكذلك قال اكثرهم في كيفية نزول الوحي ، ومن قال منهم انه كان يرى جبريل فانما زعموا انه كان يتمثل له في صورة دحية الكلبي ، كما قال المشبهون انه رأى الله باري البرايا جل ذكره ، وكما زعموا ان الله سبحانه نزل من السماء ، ودخل في شجرة ، ولكم موسى كلاماً كما يشاهدون من كلام البشر ، تبارك الله جـــل جلاله ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، واكثر الروايات في ذلك على ما ذكرنا ، وانه (ﷺ) كان يذكر انـــه سمع صوت الوحي كحس السلسلة .

وذكر في الخبر عن موسى عليه السلام انه سمع من الشجرة صوت كصوت الهر ، ومثل ذلك انما كان كذلك للطافة الملك ، وانه ليس كالبشر الكثيف ، وكان كلام البشر انما غلظ لخروجه عن الصورة الجسمانية ولطف ورق ما خرج عن الروحانية ، لانه لم يجر في آلة ، وانمـــا غلظ كلام البشر لخروجه من ضيق وهو الحلق الى سعة الفم ، كخروج الصوت دقيقاً من ثقب البوق [1] ، فإذا صار الى طرفه الواسع الذي هو نظير الفم غلظ ، لذلك زعمت العامة ان موسى انما سأل ان يرى الله عز وجل وتقدس عما يقولون ، ونزه اولياءه عن ان يجهلوا مثل هذا من قدرته تعالى ، وعجزهم عنه .

وقوله :

« كَلَّمَهُ رَبُّهُ »

ذكرنا انه حده العلوي ومربيه بالتأييد من قبل الله عز وجل ، وعن

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (البون) .

امره تبارك اسمه وكلامه عنى به ما تغشاه من الوحي ، وذلك معلوم في اللغة العربية التي نزل القرآن بها كقولهم وعظت الدنيا اهلهـــا ، وخاطبتهم عن ابنائها ، وانذرتهم ، وحذرتهم ، وليس ذلك عن كلام كان منها .

قوله تعالى :

« لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَـلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي »

فالجبل مثال اللواحق ، فقال الحد المتحد بموسى لمـا سأله جميـع ما عنده بقوله :

« أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ »

فقال له ذلك ما لا تقوى عليه ، لأنه ليس من حدك ، ولا تحتمله قوتك ، فان شئت ان تعرف ذلك فزد انت احد لواحقك مما عندك شيئاً فوق حده ، فان رأيته ثبت له ، واحتمله فسوف تحتمل انت ذلك مني .

« فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ »

هذا القول فيه تقديم وتأخير على ما يجري في لسان العرب ، يقول: (فَلَمَّا تَجَلَّى للجَبَلِ) يعني اللاحق « ربه » يعني موسى مربيـه بحكمته ، وذلك عندما فعل موسى عليه السلام .

« جَعَلَهُ دَكّاً »

يقول تضعضع ، وتدكدك [1] ، ولم يحتمل ما زاده موسى عليه ،

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (وتكدكد)

وضعفت قوته عنه فتلاشى ، فلما رأى ذلك موسى هاله ، وعلم انه لو اعطيَ ما سأل ، لـكانت تلك حاله .

« فَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا »

مغشياً عليه من خوف مما تجرأ عليـــه في سواله من ادراكه غير منزلته .

« فلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ »

فنزه الباري جل ذكره عن ان يأمر بوضع شيء في غير موضعه ، وتاب بما عرض له فيما سأله ، واقرّ انه اول من صدق وآمن انـــه لا سبيل لاحد الى قبول ما ليس من حده .

« قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ »

يقول : بتغشاه الوحي من الله عز وجل ، يخبره انه ايد بالرسالة بالظاهر ، والدعاء الى القبول عنه بالتقليد والتصديق ، وقوله تعالى :

« وَبِكَلاَمِي »

يعني بالبيان الذي ايد به ، وذلك تأويل ما دعيَ اليـــه بيانه ، ليثبت ذلك عند من اخذه تقليداً عنه ، وتصديقاً له ، وسماه عز وجل بكلامه ، ونسبه اليه تعظيماً له ، كما قال جل من قائل :

« واعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلِلَّهِ خُمُسَهُ »

وقوله تعالى :

« خُذْ مَا أَتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ »

يقول : خـــذ ما اعطيت ، واشكر عليه ، ولا تتطاول الى ما ليس لك .

ثم قال تعالى :

« وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا »

فالألواح بالتأويل اللواحق الذين يثبت الأساس عندهم علم التأويل ، وقد ذكرنا اعدادهم ومحلهم ، يعني ان جعل فيما اثبت في حد اللواحق كل شيء يحتاج اليه من دونهم من علم وبيان وموعظة .

« وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا »

يعني بالبيان وهو التأويل الذي به يثبت ظاهر التنزيل ، ويصبح في القلوب والعقول ، وبه تثبت الحجة على من انكر احكام الشريعة ، وطعن في ظاهر تعبد اهلها به من اهل الملل والزنادقة وغيرهم ، الطاعنين على شريعة الاسلام .

فالتأويل الباطني هو الذي يشهد للظاهر ، ويثبت صحته لمن انكر وشك فيه بجهله بمعانيه، والمراد به ، وما جُعل عليه دليلا ، ومثلا له ، كمثل من انكر معنى الطهارة ، بالماء ، والصعيد والصلاة ، وما فيها من الركوع والسجود ، والتوجه الى القبلة ، وصوب البيت الحرام ، والحج اليه ، والتطواف به ، والوقوف في مواقف الحج ومشاعره [1] ، وغير ذلك ، مما تعبد الله عز وجل الخلق به ، وما احله لهم ، وما حرمه عليهم مما يطول ذكره ، وما اخرج كثيراً ممن لم يعرف تأويله ،

(١) في نسخة (س) جاءت (وشاعره)

وما ضرب مثلا له الى الزندقة اذ انكره ، وقعد بمن صدقه ، ولم يعرف حقيقة تأويله من احد العلماء ، وفضل المعرفة ، واخرجهم الى تشبيه الباري جل ذكره بخلقه ، والى استعمال آراءهم ، وقياسهم ، واهواءهم في دين الله ، وتحريم ما امله ، والكذب على رسول الله ، وتحريف التأويل بارائهم الى ما زينته لهم عقولهم ، وهذا سبيل العامة كلهم .

ومن طلب التأويل من قبل اوليائه الذين نصبهم له ، وأودعهم علمه ، وعلم منهم ما افادوه اياه ، ووحد الله حق توحيده ، ونفى عنه تشبيه المشبهين ، وعلم حقيقة ما تعبد الله عز وجل به عباده ، مما احله لهم ، وحرّمه عليهم ، وعلم الصحيح من السقيم [1] من الاخبار عن رسول الله وغير ذلك مما اختلف فيه الناس ، لان التأويل يوضح ذلك ويبينه ، وهو عياره ، وميزانه والشاهد عليه ، وله .

فلذلك كان احسن الحديث وافضل العلوم ، وامر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه بالاخذ به ، وهو الذي عناه بقوله تعالى :

« إِتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »

وقوله تعالى :

أَنْزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ »

ورجع موسى كما قال الله عز وجل .

« إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ آسِفاً قَالَ يَا قَوْمِي أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ

---

(١) في نسخة (هـ) جاءت (المسقم)

مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي »

وذلك لما ارتكبوه من بعده من اتخاذهم العجل ، واعراضهم عن هرون ، وما اقامه من ظاهره .

« قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا »

(اي باختيارنا)

« وَلَكِنْ حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ »

اي حمل علينا كلام من كلام فرعون شبه علينا به ، وزينه لنا ، حمله بتأويل اقامه لنا .

« فَقَذَفْنَاهَا » اي رفضنا هاتيك المسائل ، لما تبين فسادها .

« فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ »

يقول كذلك كان ما القاه الينا السامري اي هو فعل ذلك بنا ، وانما كان هذا قول الراجعين عنه ، الذين تبين لهم فساده قبل مجيء موسى اليهم الذي حكاه الله تعالى بقوله :

« وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

« وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ مُوسَى »

كما ذكر الله عز وجل عنه .

« وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي

مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ »

وقال في مكان آخر :

« قَالَ يَا هَرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي »

فإلقاء الالواح تأويلها انه اسكت اللواحق والدعاة عقوبة لقومه لما احدثوه من بعده ، وقد ذكرنا ان مثلهم مثل الالواح التي فيها العلوم ، وكذلك سمي الحد العلوي الذي اثبت فيه العلم اللوح المحفوظ ، وقد ذكرناه فيما تقدم واخذه اي برأس اخيه اخذ الظاهر من يديه الذي كانت رئاسته به لاستخلافه اياه عليه ، ولحيته مثل الباطن الذي اقيم له لئلا يتصل شيء من ذلك عنه بلواحقه اذ كان قد قطع الدعوة ورفع البيان عن امته جزاء لما احدثوه من بعده ، وخاف هرون ان يكون ذلك عن موجدة من موسى عليه فاستغفر له موسى .

وذلك قوله :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وادْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ »

اي استرنا برحمتك لا كما زعمت العامة اهل الظاهر ان موسى ضرب الارض بالتوراة التي انزلها الله عليه ، وكان من ألواح الزمرد حتى تكسرت لما غضب على قومه ، واخذ بلحية اخيه وبرأسه يجره اليه على الارض ، فقد نزه الله موسى عن ان يفعل مثل هذا الفعل بكتاب انزله الله او بأخيه وهو نبي كريم قد قرنه الله بالرسالة ، ولو نسب مثل هذا الى بعض قائليه في كتاب جاءه من بعض اخوانه انه ضرب الارض به ،

او عمل مع عبد من عبيده ، واخذه بلحيته ، او برأسه ، وجرّه اليه ، لنفى ذلك عن نفسه ، واستوحش ، واغتم من ان يذكر بمثله ، ويهون عليهم ان ينسبوا ذلك واشباهه الى اولياء الله الذين اصطفاهم الله من خلقه وابنائه الذين نصبهم لعباده واليه انه رضيَ بذلك من فعلهم تعالى الله ونزه اولياءه عن افكهم .

ثم قال موسى للسامري ما حكاه الله تعالى من قوله :

« فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ »

اي ما امرك هذا الذي احدثته وفتنت الامة به .

« قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ »

رأيت رؤيا من قبل نفسي خلاف ما رأيتم انتم يعني موسى وهرون ولواحقه من قبل التأييد الذي ايدتم به .

« فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا »

يقول : رأيت بنفسي قوة الرسالة والتأييد ، فادعيت ذلك ، ونصبت العجل لي باباً ، واطلقت له الدعوة والمفاتحة بما « سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » ثم نبذت ذلك اي تركته وزعمت العامة ان السامري رأى جبريل قد اتى الى موسى راكباً على حمار فأخذ قبضته من اثر المواضع التي وطيء عليها حمار جبريل فأفاده ذلك علماً دعاهم اليه ، ورمى ذلك التراب عليهم فحسن قوله عندهم ، ولولا ان يطول الكلام لذكرنا مع كل تأويل مثل هذا من فساد ما اتوا به ، وما تأولوه [1] ، ولكنه موجود وقد سمعه من سمع الحق ، وتبين بذلك فساده عنده ، انشاء الله .

---

(١) وردت في نسخة (ه) (قالوه)

ولما رجع السامري عن الذي كان عليه لم يسع [1] موسى الا ان فعل به مثل ما فعل باصحابه من حرمانه المفاتحة ، وذلك قوله :

« قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَـاةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ »

اي اخرج من امرنا الذي شبهت به على الناس ولا تفاتح احداً فيه، ولا يفاتحونك .

« وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ »

يعني موعد الآخرة .

« وانظُرْ إِلَى إِلَهِـكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفاً »

فالهه ههنا العجل الذي نصبه الهاً لقوم موسى من دونه ، وعكف عليه اي اقام على ذلك من امره ، يقول لنذهبن بالباطل الذي اقمت عليه بظاهر ما نحن دون باطنه ، والظاهر مثل اليم ، وهو البحر كما ذكرنا في غير موضع فيما تقدم استخفافاً من موسى بباطله الذي لم يحتاج الى كسره بباطن الشريعة ، بل يكتفي بذلك بظاهرها ، لضعف ذلك الباطل وفساده ووهي امره ، وكان من قوم موسى من لم يفتتن بالعجل، وبقيَ على طاعة هرون ، ومنهم من افتتن به ، ثم تبين لهم فساده فتركوه ، واستحكمت الفتنة في اكثرهم ، فبقوا على ما كانوا عليه ، واستثقلوا الفروض التي اتاهم بها موسى ، وركنوا الى ما كان فرعون اباحه لهم فاستحكم امر الفتنة فيهم ، فرأى موسى ان تركهم والاعراض

(١) في نسخة (هـ) وردت (لم يسمع)

عنهم مما يقوي اسباب ذلك فيهم ، فاقام فيهم هرون مقامه من التأويل ، وامره بنصب لواحقه وحدوده ، فأكمل ذلك وهو قوله تعالى :

« وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلأَلْوَاحَ »

يعني انه ضم اللواحق اليه .

(وَفِي نُسْخَتِهَا)

فنسختها ههنا هرون الذي استنسخ مما عنده من اللواحق وانزلهم على حدودهم منه .

(هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)

يعني المؤمنين الخائفين المطيعين لولي زمانهم فأنصب موسى على قومه يدعوهم الى الدخول في امر اساسه ، وهو ما حكاه الله عز وجل بقوله :

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا ٱلأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)

يعني ادخلوا في امر اساسي وحجتي وقد ذكرنا ان ذلك مثل الأرض، ولا ترتدوا عنه الى ضده فتخسروا ما سبق لكم من الاعمال الصالحة .

(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)

يعنون ان الذين اقاموا على امر هرون قد صارو لهم اعداء ، وباينوهم [١] ، فقالوا : لا نكون معهم على امر واحد ابداً .

---

(١) في نسخة (س) وردت (وبايعوهم)

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)

فالباب ههنا هو هرون كما قال رسول الله (ﷺ) « انا مدينة العلم وعلي بابها »

(فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)

اي تغلبونهم على امرهم لكثرتكم ، وتكون المنزلة والحال لكم ، وذلك لانهم انفوا ان يدخلوا في امر هرون ، وقد احدثوا ما احدثوا ، فيكونون ادون ممن لم يحدث حدثاً في الحال والمكان عنده .

(وَعَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

اي اجعلوا اعتمادكم على الله ان كنتم صادقين .

(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)

يقولون : اذهب انت والرب الذي اقمته لقومك يعنون هرون ، فاحتجا على من خالفكما ، وذلك اعتدادهم بانفسهم لكثرتهم ، وقلة من اتبع موسى من المؤمنين .

(قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلقَوْمِ ٱلفَاسِقِينَ)

يقول: لا تجمعنا مع من فسق ، اي زال عن امرك ، ولم يقطع موسى بالثبات على من بقيَ على امره من قومه ، ولم تبق لهم ، فلم يذكر انه يملك الا نفسه واخاه ، ومثل هذا من موسى لقومه قوله :

(وإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِي إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ)

يعني انزلتموها في غير موضعها ان اطعتم من لم يأمر الله بطاعته .

(فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ)

يقول اغلبوا عليها اي نفوسكم فيما دعتكم اليه من الباطل ، واقهروها على الحق ، وأميتوها عن الباطل ، وانزل الله سبحانه وتعالى عليه الوحيد لقومه والاحتجاج الدافع المرجف للقلوب ، فجعل موسى يسترحم لهم رجاء ان يرجعوا عما هم عليه من الضلال ، وذلك قوله تعالى :

(فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ)

يعني بما احدثوا في وقته .

(وَإِيَّايَ)

يعني بما وقع فيه من الخطأ عند قوله :

(رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ واكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

ٱلرَّسُول ٱلنَّبيَّ ٱلأُمِيَّ ٱلَّذي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ[1] وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ، وَنَصَرُوهُ ، وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَـهُ أُولَـئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

اخبر الله عز وجل موسى انه لن يرحم من اتباعه الا من ادرك محمد وآمن به ، وصدقه بآياته وهم ائمته .

(وَٱتَّبَعَ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ)

وهو بيان التأويل الذي يستضاء به ، وبمن اودعه إياه .

(فَأُوْلَـئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

اي الناجحون الناجون من العذاب من قوم موسى ، ومن آمن بالآيات من قبله ، وهم ائمة موسى وحجته .

ثم ذكر الله عز وجل لعنه ومسخه اياهم ، وما به من العذاب اي بالمسخ ثم تواعدهم في غير موضع من كتابه قوله تعالى :

(ادْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً)

وقوله :

(لاَ تَعْدُوْا فِي ٱلسَّبْتِ)

---

(١) في نسخة (ه) وردت (امرهم)

اي لا تتعدوا الى ما حظر عليكم ، وقوله تعالى :

(وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)

يعني العهد الذي اخذ عليهم ، وقوله تعالى :

(فِبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ)

وقوله :

(وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)

وقوله :

(وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ)

وقوله :

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)

يعني بمسخهم قردة انقلاب وجوههم ، التي كانوا تصوروا بها في الدين ، فانقلبت الى صور الكفر ، الذي هو اقبح الصور ، كما ان القردة والخنازير اقبح صور الحيوانات ، فكثير ممن هو على هذا التنزيل خنزير ، وهو في صورة البشر ،

ثم رفع الله عن قوم موسى فضيلة الاساسية وما فيها من بيان التأويل ، وذلك قوله تعالى :

(فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ)

اي يرتابون ، ويشكون في الاساس ، وقبض الله هرون من بينهم ،

وانقطعت مادة التأويل والبيـــان ، وتاهوا في الارض كما قال الله عز وجل ، وقد سبق في حكم الله سبحانه وتعالى ، ان لا يقيم الائمة الا من نسل الاساس ، ولم يدع هرون ولداً يصلح لذلك وكان الذي خلفه لم يصلح لذلك ، كونه طفلاً ، وطال الأمر بقيام موسى على ذلك من عدم قيام البيان والاساس المقام له ، وعرفوا فضل ما حرموه ،وتلاوموا فيما اقترفوه ، وتدارأوا به ، فأمر الله موسى ان يأمرهم ان يختــاروا منهم رجلا يصلح ان يكون حجة لموسى فيهم ، وذلك قوله :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ)

والبقر في التأويل امثال الحجج ، والذبح مثل اخذ العهد ، اي اختاروا رجلاً منكم يؤخذ عليه عهد الحجج ، ويقام لـكم حجة ،فننسب الذبـح اليهم ، اذ كانوا هم يقيمون ذلك .

(قَالُوا أَتَتَّخِذُهَا هُزُواً)

يقولون اتهزأ بنا متى كانت الامة تقيم الحجج .

(قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ)

اي لو فعلت ذلك برأي لكنت جاهــلاً ، ولكن الله امر بذلك وجعل ذلك اليـكم اذا كان مرجعه الى ولد هرون بعد ذلـــك ، ولو نصبه الله عز وجل لثبت ذلك له وكان لولده من بعده .

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)

اي يبين لنا الرجل الذي هو حجة لك في حياتك ، ويكون وصيك بعد وفاتك ، فاسأل الله ان يدل علينا بصفته ، لنقف عليه بها ، فانا لا ندري من نختار لهذا الامر .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاَ فَارِضٌ وَلَاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ »

يقول : لا كبيرة مسنة ، ولا بكر[1] صغيرة ، يعني ليس ممن صار الى التأييد بالعلم ، ولا ممن هو حديث في ذلك ، ولكن يكون متوسط بين ذلك الحالين .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا »

اي ما مجرى كلام هذا الرجل الذي نختاره ، وصفة بيانه ؟

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ »

يقول : هو لاحق حسن البيان صافيه ، لا يشوب بيانه كدر ولا تغيير .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ »

يقولون زدنا من البيان فان من يصلح ان يكون حجة يشتبه امره علينا ، ونحن نهتدي بالبيان لما كلفناه ان شاء الله .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاَشِيَةَ فِيهَا ، قَالُوا : الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ »

---

(١) في نسخة (ﻫ) وردت (بقرة)

يقول هو حجة لا يذل لاهل الظاهر بالكلام ولا لهم عنده حال .

« وَلاَ تُسْقِي ٱلْحَرْثَ »

اي لا يفاتحهم بشيء من البيان .

« تُثِيرُ ٱلأَرْضَ »

اي تحرثها يقول يعمل بتأويل الاساس ويصلح امره .

« فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ »

لما تعاظموه من ذلك .

فأوصى اليه موسى ونصبه خليفة لولد هرون الى ان يبلغ استحقاق الامامة فيسلم الأمر اليه وكان ذلك عندما قربت نقلته ولا ينبغي ان يبقى الناس بلا ولي فقام يوشع بن النون بالوصية والخلافة .

ثم قال جل ذكره .

« وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَٱللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »

عنى بقوله :

« قَتَلْتُمْ نَفْساً »

اي دفعهم الامام عن حقه ، وهو هرون عليه السلام ، وظلمهم اياه ، وقد ذكرنا فيما تقدم ان الظلم مثل القتل يقول دفعتم الأمام عن حقه ، ونصبتم من قبل انفسكم ضداً له في مقامه ، ومنعتموه عن نصب اللواحق ، ونشر البيان والتأويل ، وعقدتم ذلك فيما بينكم ، ودرأ

بعضكم بعضاً فيه ، وكتمتموه عن ضعفاء الامة ، وأوهمتموهم انه هو الاساس الحق .

« وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ »

والتدرأ هو التدافع ، وقد تقدم القول ان قوماً منهم رجعوا عن امر السامري لما بان عواره ، وان طائفة منهم كانوا على طاعة هرون مقيمين لم يتبعوا شيئاً من امر السامري ، وهم اقل عداء ، فمن اتبع السامري فأنكر اهل الطاعة على اهل المعصية ما احدثوا ، واقاموا الحجة عليهم فلم يقبلوها ، وذلك بتأييد هرون لهم ، واذنه بذلك وهو قوله تعالى :

« وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى »

فكان جوابهم كما اخبر الله عز وجل .

« قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ »

فدفعوه عن حقه ودفعوا من اطاعه عن درجاتهم ومقاماتهم وهو قوله تعالى :

« فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا »

اي تدافعتم فهذا ما كان جرى بينهم وبين ذوي القوة بالعلم .

فاما الضعفاء والجهال فكتموهم ولبسوا عليهم الحق بالباطل كما اخبر عز وجل .

« وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ »

يعني من حق الامام وليكم وهذه كانت سبيل امة محمد (ﷺ)

في وصيه وأساسه علي كما قال (ﷺ): [لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذوا النعل[1] بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه] وسمي الاساس نفساً لان مقامه من الناطق مقام نفسه، وكذلك قال رسول الله (ﷺ) لعلي صلوات الله عليه: « انا مدينة العلم وعلي[2] بابها » لان العلم يكون في النفس، كذلك علم الناطق الحقيقي الذي هو التأويل الباطني المبين للتنزيل الظاهر هو عند الاساس، وعنه ينتقل الى الائمة، ويضع ذلك كل أمام في حجته، فالامكان والوجود والازمنة في ذلك تختلف، فمن الرسل والائمة صلوات الله عليهم اجمعين منهم من تهيأ له ذلك في زمانه، وتمكن في وقته من اقامة حجته ولواحقه ونقباءه ودعاته ومأذونيه وجميع ما يتصل بذلك في حدود دعوته في جميع جزائر الارض، ومنهم من يمكنه ويتهيأ له ذلك في بعض الجزائر دون البعض، ومنهم من يتهيأ له اقامة بعض حدوده، ويعجز عن بعضها، ومنهم من يكون في بعض الأوقات والأزمنة لا يمكنه ولا يتهيأ له اقامة شيء منها من حجة أو غيره وقد ذكرنا حال بعضهم في ذلك، وعدمه اياه في بعض أوقاته .

وكان الذي اسسه قوم موسى من أمر العجل سبب ما جرى بعد ذلك من قتل الانبياء فنسبه الله عز وجل اليهم بقوله تعالى

(قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)

فمن أسس تأسيساً وحدث منه امر كان عليه وله خيره وشره ومن

(١) وردت في نسخة (ه) (الفعل)

(٢) وردت في نسخة (س) (وعلياً)

ذلك قول رسول الله (صلعم): « من استن سنة حسنة فعمل بها وعمل فيها بعده فله أجرها وأجر من عمل منها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيء ، ومن استن سنة سيئة وعمل فيها من بعده فعليه ازرهـا ، ووزر من عمل فيها من بعده من غير ان ينقص من وزرهم شيئاً » وقال : «ان العبد ليحاسب يوم القيامة فيؤخذ عليه فيما يطالب به من دم فيقول : والله ما سفكت دماً قط فيقال له تكلمت بكلمة كذا فترقى امرها الى أن سفك بها دم ، فأصابك منه هذا » وقول الله سبحانه وتعالى :

(اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا لِذَلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّـكُمْ تَعْقِلُونَ)

يقول : اضربوا من مـــات يعني ميت الجهل منكم ببعضها أي ببعض البقرة التي مثلها مثل الحجة التي أقاموها ، يخبر ان كل ميت عن الحق إذا ضرب على اذنه وقلبه بتأويل الاساس صار حياً بما يستفيد منه، وقد تقدم القول بمـــا لا خلاف فيه ان الله ضرب الموت مثلاً بالجهل في غير موضع من كتابه كقوله تعالى :

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونْ)

وقوله :

(يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَ يُحْيِيكُمْ كَذَلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَى)

أي احياءه بالبيان .

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ)

اي يريكم من يفعل ذلك من اوليائه .

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

عنهم أفعالهم ممن استجاب لهم

ثم أخبر عز وجل عمن تمادى من قوم موسى بعد ذلك في الضلال فقال تعالى :

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)

عنى ان قلوبهم لم تتحرك لقبول العلم والحكمة بل كانت كالاموات من الحجارة الظاهرة ثم قال :

(وإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ)

يعني هي محتملة لضرب الأمثال ، فضرب الله الحجر مثلاً للاساس لصمته [1] وصلابته في دينه واعتقاده ، ومنه تنبعث اللواحق الاثنى عشر ، وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما تقدم .

(وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ)

يعني ان من الدعاة من له صلابة في الدين ، وانبعاث العلم عند المفاتحة :

(وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)

يقول : انه قد يكون من المؤمنين من لا يبلغ مبلغ الحدود ، وله صلابة في دينه ، وقوة ، وهو ضابط بالخضوع الى حده العالي عليه خشية لله جل ذكره .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (لعمته) .

قصة طالوت :

وكانت الامامة في دور موسى قد انتهت الى طالوت ، وذلك قول الله تعالى :

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً)

يعني اماماً ، ومن ذلك قول الله عز وجل :

(أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً)

(قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يُؤْتَ سِعَةً مِنَ ٱلْمَالَ)

يقول: ذلك نظراً لما رآه يومئذ من اللواحق ، وكان احدهم ، وكانوا يرون انه اقلهم علماً ، وذلك قولهم :

(وَلَمْ يُؤْتَ سِعَةً مِنَ المَالِ)

اي العلم الذي لم يتسع فيه كاتساعهم ، فنحن احق بالامامة منه .

(قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ)

أي اختاره .

(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ، وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

فأخبرهم ان الله زاده بسطة في العلم ، وبيّن ههنا ان العلم هو المال في الباطن ، والجسم هو الظاهر اي مده منها معاً .

وكان طالوت امام الزمان ، وكان بازائه من ادعى الامامة من أهل التقلب [1] وهو جـالوت فتداعيا هو وطالوت للمناظرة في ايهما احق بالأمامة ؟ . فجمع كل واحد منهما أهل دعوته للمناظرة ، وكان داؤد احد نقباء طالوت فسار فيمن سار معه من ذلك ما ذكره اصحـاب التفسير في الظاهر انه كان قد زوجه ابنته ، وانه قال احملني معك فحمله وان داؤد اخذ ثلاثة احجار وجعلها في مخلاته وسار مع طالوت، فتزويجه ابنته هو انه ضمّ اليه بعض لواحقه واهله للوصية كما فعـل شعيب بموسى وقد مضى ذكر ذلك ، والثلاثة احجار هي ثلاث مسائل اعدها لجالوت واصحابه ، ولما توجه طالوت فيمن اختاره من اهل دعوته عرفهم بما يبتليهم الله عز وجل به وذلك قوله :

(وَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ)

اي يخبركم بعلم يجريه لـكم على لسانٍ عامي .

(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)

يقول : الا من تناول منه من قبل المنعم عليـه بالبيان ، فيعرفه صحيـح ذلك من سقيمة ، وذلك لما احتاجوا الى إستعداد العلم لمناظرة جالوت واصحابه فخاضوا في ذلك وماج كل فريق منهم في طلب ما يستعد به المناظرة ، وطلبوا ذلك من وجهه ، ومن غير وجهه ، ومن عند اهله ، وغير اهله ، وهذا هو ما ابتلوا به ، وحذروا منه ، ومن

---

(١) في نسخة (س) وردت من (اهل الانقلاب) .

اخذ ذلك الا من جهة دعاتهم المنعمين عليهم اولي الايدي عندهم فقد ضل ولذلك نهى رسول الله (صلعم) عن الكرع [1] في الماء ، وهو ان يشرب الشارب منه غباً كما تشرب البهيمة ، وأمر بالشرب بالايدي والاواني وهي امثال الدعاة ، وقال : « اذا لم تجدوها » « اي الاواني»

(فَاشْرَبُوا بِأَيدِيكُمْ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ آنِيَتِكُمْ)

يعني اذا لم تجـــدوا الدعاة ، فخذوا عن اللواحق والحجج ، فهي افضل لـــكم .

فأمر طالوت اتباعه من المؤمنين ان لا يأخذوا من العلم مما ارادوا ان يستعدوا به للمناظرة الا من قبل نقباءه ونهى ان يأخذوا ذلك من قبل العامة ، فلم يقبلوا ذلك منه الا قليلا منهم .

(فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)

اي تركوه ، ولم يقبلوا عليه هم الذين خالفوه .

(لاَ طَاقَةَ لَنَا بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)

وذلك انهم لما خالفوا اولي امرهم ، واخذوا من علم من نهاهم عنه ، لم يظفروا منه بطائل [2] ، ورأوا انهم سيغلبون .

(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ إِنَّهُمْ مُلاَقُوا اللهِ)

يعني الذين اطاعوا اولي امرهم ، ولم يأخـــذوا الا عن امرهم بالأخذ عنه .

(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)

---

(١) في نسخة (ه) وردت الكراع (٢) وردت في نسخة (ه) (بطوائل)

يعنون بالقلة قلة عددهم ، وبالكثرة اصحاب جالوت ، وقوله تعالى :

(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ)

يعني برز اليهم للمناظرة، بعد أن أحجم عن التقدم من فشل وخالف أمر ولي الزمان ، وخلط وأخذ ممـــن نهى عن الاخذ منه ، فتخلفوا وهلكوا وهم أكثر أصحاب طالوت كما ذكر الله عز وجل عنهم .

(فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا)

وجاء في الخبر انهم كانوا اعني اصحاب طالوت اربعة آلاف ، فانهزم منهم ثلاثة آلاف فقتلوا ، وثبت ألف فهزموا اصحاب جالوت وذلك قوله تعالى :

(فَهَزَمُوهُمْ بِأَذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جالوتَ)

بما أعد له من المسائل فقطعه بها وافحمه ومن أعانه ولذلك جاء في الخبر انه ضربه بحجر فنفذ منه ، والحجر لا يفعل ذلك ، وانما بيان ذلك انه قطعه بالحجة ، ورجلين كانا اعاناه وناظرا معه .

قصة داؤد :

وافضت الامامة الى داؤد بعد طالوت عليهما السلام ، وذلـــك قوله تعــالى :

(وَآتَاهُ اللهُ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ)

أي أن داؤد قد احتوى على علم الظاهر والباطن ، وأقام ابنه سليمان حجة له ، وفوّض اليه أمر الباطن ، وذلك قوله تعالى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَـا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ »

وقوله تعالى :

(وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ)

والحرث مثل الدعوة .

(إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ)

يعني رعته ليلا اي تناول أهل الدعوة من غير حدهم

(وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) .

(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)

اي جعلنا له معرفة الحكيم في ذلك لان حكم الدعوة والدعـــاة الى الحجة دون الامام .

(وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً)

فالعلم يكون للناطق والحكم للحجة عن امره اياه بذلك إطلاقة اياه وقد اختصم اليه صاحب زرع وهو الحرث اي المأذون له في تربية المؤمنين وصاحب غنم وهو الداعي في ناحية من نواحي اخرى غير الداعي الذي اذن لهذا المأذون فذكر المأذون ان اهل دعوة هذا الداعي خالطوا اصحابه الذي اذن له داعيه في تربيتهم فأسمعوهم من التأويل وأفسدوهم عليه .

فقص سليمان على الداعي الذي فاتح اصحاب غير أهل دعوته ان يسلم اليه من أهل دعوته بعدد ما أفسده اهل دعوته بمفاتحتهم فيخرجون من دعوته ويصيرون الى هذا الذي افسد اصحابه وقضى عليه بذلك لان عليه أن يحوطهم ويمنعهم من المفاتحة بالباطن لانهم في حرمه ولو فاتحوهم بالظاهر لم يكن عليه من ذلك شيئاً وكذلك الحكم في الظاهر موافق لهذا المعنى .

وفي الحديث انه اختصم الى صاحب زرع وصاحب غنم رعته ليلاً والتعشي الرعي في الليل قال سليمان : على اهل الحوائط ان يحوطوا حوائطهم نهاراً فان فلتت منها غنم القوم من غير ان يطلقوها فيه لم يكن عليهم من ذلك شيء ، وذلك ما ذكرنا مثل مفاتحة المستجيبين بالظاهر وليس على داعيهم في ذلك شيء اذا فعلوه من ذاتهم ، قال وعلى اهل المواشي حياطتها ليلا فان فلتت وافسدت ضمنت اصحابها الضرر وذلك مثل مفاتحة المستجيبين بالباطن والحكم فيه على ما ذكرنا وكذلك هو الظاهر .

وكذلك جاء في الحديث ان سليمان قضى على أصحاب الغنم التي فلتت

لهم ليلا ورعت الزرع لاهل الزرع بمثله أن يغرموه لهم وعلى هذا يجري الحكم الى اليوم والعمل به ظاهراً وباطناً ، وقوله تعالى :

(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ)

فالجبال أمثال اللواحق والطير امثـــال الدعاة وتسبيحهم مفاتحتهم المستجيبين بالدعوة والتربية والاستجابة لداؤد وذلك هو تسخيرهم بالدعوة اليه فهم مسخرين له في ذلك .

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُم شَاكِرُونَ)

عنى بذلك ما علمه عليه السلام من البيان والحجة وامره أن يعلم ذلك للمستجيبين لدعوته ليحصنهم من بأس عددهم ويدفع عنهم ظعنهم اياهم وقذفهم بحججهم وذلك مثل ما يدفع الدرع في الحرب عن لابسه من ضرب الاعداء وطعنهم .

وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ)

وقد ذكرنا تأويل الجبال والطير .

(أَوِّبِي مَعَهُ)

يقول سيري معه حيث سار والتأويب تحازي السير للراكب ولم تكن الجبال والطير تسير في الظاهر مع داؤد حيث سار فكان القول في ذلك واقع على الباطن .

« وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ »

اي سهلنا له صعب الكلام وأما الحديد في الظاهر وان كان قد صنع

من الدروع [1] لم يكن لك بحسب ما هو عليه والدروع [2] يصنعهـــا الناس منه حتى اليوم بحسب ما صنعها داؤد فـــلم يكن خصّ بذلك في شيء دونهم .

وقوله تعالى :

« أَنْ أَعْمَلَ سَابِقَاتٍ »

فالسابقات التام الواسع يسير سيراً محدودة وسنناً كاملة متفقة بالعلم والحكمة تدفع عن اهل شريعتك طعن الطاعنين عليهم وقـد ذكرنا ذلك من قبل هذا .

« وَقَدِّرَ فِي ٱلسَّرْدِ »

والسرد النبع والتقدير فيه ان يكون متقناً غير متفاوت كذلك امره أن يقيم شريعته وسننه وسيرته بالاعتدال لا يتغاير منها شيء ولا يتفاوت ولا يتناقض وقيل ان التقدير في السرد هو جعل مسامير الحلق مقدرة لا تكون غلاظاً فتكسر الحلق ولا دقاقاً فيضطرب ومعنى ذلك ان تأليف الكلام لا يكون دقيقاً ذاهب في الدقة لا يفهمه إلا القليل وبعد تعب وتـكلف ولا يكون غليظاً تمجه الاسماع ويجفوا على القلوب ولكن يكون متوسطاً بين الامرين .

وقوله تعالى :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذِي ٱلأَيدِ »

يعني ذي القوة في امر دينه .

« أَنَّهُ أَوَّابٌ »

---

(١) في نسخة (س) وردت (الادوع)

(٢) وردت ايضاً بنسخة (س) (الادرع)

أي راجع الى ربه في جميع اموره .

« إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ »

يعني عند تسليم الماضي ما عنده الى التالي وعند قبول التالي ذلك يتولون من صار الامر اليه ويدعون له وينزهون الباري عن صفاة خلقه.

(وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً)

وقد ذكرنا تأويل الجبال والطير .

(كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ)

راجع الى امره .

(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) يقول ايدنا امامته (وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ)

يعني العلم الحقيقي (وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ) يعني الاحكام التي يفصل بها بين المتحاكمين اليه وذلك علم الباطن وعلم الظاهر .

وقوله تعالى :

(وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ)

(إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ)

اي بحكم الحقيقة في الباطن (وَلَا تُشْطِطْ) اي لا تخير .

(وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ)

اي اهدنا بحكمك الى عدل الأمام .

(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ

فَقَالَ اكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)
اي قوي علي في الكلام .

(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ)

فلما قالا ذلك له واجابهما بما اجابهما به وهما بين يديه نظر اليهما فلم يرى احداً فعلم ان ذلك محنة من الله وذلك قوله :

(وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)

يقول تيقن لما رآهما غابا عنه انهما ملكان تخايلا له في صورة ادميين فعلم ما عرضا له به فاستغفر الله منه وزعمت العامة في تفسيرها ان ذلك انما كان داؤد فيما زعموا تمثل له ابليس في صورة طائر حسن لم ير مثله قط فوقع بين يديه فهمّ ليأخذه فتحامل قليلاً ثم وقع غير بعيد فقام اليه ثانية فتحامل الى السطح فصعد نحوه فأشرف على دار اوريا بن حنان وكان معه بعض خاصته ورجاله فإذا امرأته تتطهر فلما رأته حركت شعرها [1] وكان غزيراً فاستترت به وفتن بها داؤد فبعث اوريا بن حنان زوجها في بعث وجعله امام التابوت ولم يكن يقوم في مثل ذلك المقام تعريضاً للقتل ليتزوج امرأتـه فقتل ثم تزوجها داؤد وانه كان عنـده غيرها تسعة وتسعون امرأة ولم يكن عند اوريا غيرها قالوا فذلك ما ضربه الملكان مثلاً له بما فعل .

وقد نزه الله اولياءه وطهرهم من هذا ومثله من الكبائر الموبقة وانما

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (شعورها)

سمع القوم مثلاً في ذلك فحملوه على ظاهره [1]، وحقيقة ذلك في الباطن هو أن داؤد كان له تسع وتسعون مأذوناً كما ذكرنا يدعون له ويستمعون اليه أقامهم بعدد اسماء الله الحسنى التي هي تسع وتسعون اسماً وكان اوريا بن حنان من بعض دعاته وكان له مأذوناً واحداً يربي له مستجيبين دعوته، فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داؤد فأراد أن يقيمه مقامه لئلا ينكسر من العود الذي اختاره وارتضاه شيء فسأل عمن يصلح لذلك فذكر له بعض من يثق بهم ويرتضي عقيدتهم وله ضرب الطائر مثلا الذي ذكرته العامة انه سقط بين يدي داؤد وان ابليس تصور في صورته وليس كما قالوا بل هو مثلما سمعوه ولم يعرفوا حقيقته ولذلك قيل انه كان من احسن طائر رآه داؤد وقولهم انه أراد أخذه اي أراد ان يقيمه مقام المأذون الميت ويضمه اليه فدله على مأذون أورويا بن حنان كما ذكر، وان الطائر تنقل بين يدي داؤد ليدله على امرأة اوريا وما ذكروه من صعود السطح فذلك استشراقه في الاختيار والدلالة بالعلم العلوي الحقيقي، استشراقه لا من طريق الهدى والرأي فميز به بحسن بيان الرجل الذي دلّ عليه وعقيدته وطويته وقيامه بما اراد داؤد وان يسنده اليه، والذي ذكروه من نظر داؤد الى امرأة اوريا بن حنان وتأمله فيها وهي عريانة تغتسل وانها اعجبته وفتن بها وانها لما رأته يتأمل فيها وهي عريانة استترت في شعرها [2] فقد عصم الله انبياءه ونزههم عن مثل ذلك المقام الذي لو قام به وفعله احد العوام لكان نقصاً عليه ووصمة في دينه .

وانما ذلك انه نظر في امر الرجل وتصفح قراءته وباطن اعماله فأعجبه

---

(١) في نسخة (ه) وردت (ظهره)

(٢) في نسخة (س) وردت (شعورها)

فَقَالَ اكْفِلْنِيهَا وعَزَّني في ٱلخِطَابِ)

اي قوي علي في الكلام .

(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلَى نِعَاجِهِ وإنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إلّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وقَلِيلٌ مَا هُمْ)

فلما قالا ذلك له واجابها بما اجابها به وهما بين يديه نظر اليهما فلم يرى احداً فعلم ان ذلك محنة من الله وذلك قوله :

(وَظَنَّ دَاوُدُ إنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وأَنَابَ)

يقول تيقن لما رآهما غابا عنه انهما ملكان تخايلا له في صورة ادميين فعلم ما عرضا له به فاستغفر الله منه وزعمت العامة في تفسيرها ان ذلك انما كان داؤد فيما زعموا تمثل له ابليس في صورة طائر حسن لم ير مثله قط فوقع بين يديه فهمّ ليأخذه فتحامل قليلاً ثم وقع غير بعيد فقام اليه ثانية فتحامل الى السطح فصعد نحوه فأشرف على دار اوريا بن حنان وكان معه بعض خاصته ورجاله فإذا امرأته تتطهر فلما رأته حركت شعرها [١] وكان غزيراً فاستترت به وفتن بها داؤد فبعث اوريا بن حنان زوجها في بعث وجعله امام التابوت ولم يكن يقوم في مثل ذلك المقام تعريضاً للقتل ليتزوج امرأته فقتل ثم تزوجها داؤد وانه كان عنده غيرها تسعة وتسعون امرأة ولم يكن عند اوريا غيرها قالوا فذلك ما ضربه الملكان مثلاً له بما فعل .

وقد نزه الله اولياءه وطهرهم من هذا ومثله من الكبائر الموبقة وانما

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (شعورها)

سمع القوم مثلاً في ذلك فحملوه على ظاهره [1] ، وحقيقة ذلك في الباطن هو أن داؤد كان له تسع وتسعون مأذوناً كما ذكرنا يدعون له ويستمعون اليه أقامهم بعدد اسماء الله الحسنى التي هي تسع وتسعون اسماً وكان اوريا بن حنان من بعض دعاته وكان له مأذوناً واحداً يربي له مستجيبين دعوته ، فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داؤد فأراد أن يقيمه مقامه لئلا ينكسر من العود الذي اختاره وارتضاه شيء فسأل عمن يصلح لذلك فذكر له بعض من يثق بهم ويرتضي عقيدتهم وله ضرب الطائر مثلا الذي ذكرته العامة انه سقط بين يدي داؤد وان ابليس تصور في صورته وليس كما قالوا بل هو مثلما سمعوه ولم يعرفوا حقيقته ولذلك قيل انه كان من احسن طائر رآه داؤد وقولهم انه أراد أخذه اي أراد ان يقيمه مقام المأذون الميت ويضمه اليه فدله على مأذون أوروريا بن حنان كما ذكر ، وان الطائر تنقل بين يدي داؤد ليدله على امرأة اوريا وما ذكروه من صعود السطح فذلك استشراقه في الاختيار والدلالة بالعلم العلوي الحقيقي، استشراقه لا من طريق الهدى والرأي فميز به بحسن بيان الرجل الذي دلّ عليه وعقيدته وطويته وقيامه بما اراد داؤد وان يسنده اليه ، والذي ذكروه من نظر داؤد الى امرأة اوريا بن حنان وتأمله فيها وهي عريانة تغتسل وانها اعجبته وفتن بها وانها لما رأته يتأمل فيها وهي عريانة استترت في شعرها [2] فقد عصم الله انبياءه ونزههم عن مثل ذلك المقام الذي لو قام به وفعله احد العوام لكان نقصاً عليه ووصمة في دينه .

وانما ذلك انه نظر في امر الرجل وتصفح قراءته وباطن اعماله فأعجبه

---

(١) في نسخة (ه) وردت (ظهره)

(٢) في نسخة (س) وردت (شعورها)

ما رأى من ذلك وإن الرجل لما علم ذلك منه استتر بالظاهر وهو مثل الشعر الذي قالوا ان امرأة اوريا استترت به لما نظر داؤد اليها وهي عريانة ، وكذلك لما رأى داؤد في باطن الرجل وكشف عنه استتر له بالظاهر تواضعاً وتصغيراً بنفسه ان يرى داؤد انه رآه بما هو عليه من حسن العقيدة واستحلى داؤد من اوريا استنباط هذا الرجل وما وليَ من امره الى ان ارقاه [1] الى هذه المنزلة وما تولى منه من العناية والزينة وما علمه من العلم فأرقى اوريا الى حد اللواحق لما رأى من حسن قيامه وتأديبه وقربه اليه واقامه بين يديه وذلك قولهم جعله امام التابوت وقد سمعوا ظاهر ذلك ولم يعرفوا باطنه والتابوت هو ظاهر جسم الامام في الباطن ومنه قوله عز وجل :

« قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ »

فالتابوت ما ذكرناه والسكينة الامامة وبقية آل موسى وآل هرون فأبقوه من العلم والحكمة لمن يقوم بهـــا واستودعوها لمن خلفوه وورثوه امام عن امام مما حملته الملائكة عن الله الى الرسول وصار اليهم عنه فرأى داؤد انه قد جازى اوريا عن حسن تقويه واحسن اليه وارقى مأذونه من تلقاء نفسه ورفعه فوق رتبته ولم يذكر ذلك لاوريا ولا اخبره بما ايد به ولا فاوضه فيه ورأى انه اولى بأمته وانه يجوز له ما فعله فيهم وان يقلب امرهم كيف شاء بلا مطالعة احد منهم ووقع في قلب

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (ارقاله)

اوريا من ذلك شيء اذ لم يذكره له داؤد ولا اجراه على يديه وسكت على ذلك ولم يظهر شيئاً منه وكان حقه عند الله ان لا يضيع سعيه وقيامه في تربية الرجل الذي رباه وأحسن تقويمه واستخراجه وان لا يقطع من منه حقه وان الواجب ان يجري ذلك بأمره وعلى يديه فحقق الله امله وظنه واخذ على داؤد فعله ونبهه على ما اغفله من حق اوريا بما اراه من امر الملكين [١] الذين صورهما له في صورة خصمين فعلم ما كان خفيَ عنه واستغفر الله منه كما ذكر .

« وخَرَّ رَاكِعاً وأَنَابَ »

اي تواضع لأوريا ورد اليه امر صاحبه وأوجب له من ذلك ما اوجب فغفر الله له كما قال عز وجل .

« فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ ، يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ »

فتأكد عنده امر ما حكم فيه وانه اتبع هوى نفسه ولم يعرف فيه اذا كان هذا الحق حقه ، وبمثل هذا يعاتب الله عز وجل انبياءه ويؤدبهم فيما يخطئون فيه من حيث لا يقعدون الخطاب بادبه ، فاما ان يكون منهم ما نسبته العامة اليهم من الفواحش والكبائر فقد برأهم الله سبحانه من ذلك ونزههم عنه وقوله تعالى .

« فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ »

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (المملوكين)

يقع على كل من تحاكم وتحوكم اليه في امر جميـع الناس والخطاب والعتاب في ذلك كان في امر المأنوسين بالحكمة وهم قوام دعوته من لواحقه ونقبائه ودعاته ومأذونيه يقول : وفي كل واحد منهم حقه وافض به اليه ولا تتبـع هواك فيهم ولكن اتبـع ما امرت به وحولك ولمن كان قبلك ولمن يأتي بعدك من امثالك فان حكم الله واحد وسنته واحدة في الاولين والآخرين ولا تغيير ولا تبديل كما قال عز وجل .

« وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللهِ تَبْدِيلًا »

واما قوله :

« فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ »

اي عن صاحب الزمـان وكان هو صاحب الزمان في وقته ولكن اريد به صاحب الزمان من بعده فان اتبـع هواه في قومه وامر دعوته ولم يحكم بينهم بما توجبه لهم حقوقهم وبقدر اعمالهم واستحقاقهم فقد ضلّ عن معرفة المستحق منهم الذي يستوجب مقامه من بعده ومن ضل عن معرفة امام الزمان فهو من تواعده [1] الله بعذابه وذلك كان من داؤد قبل ان يقيم سليمان مقام حجته لانه لو كان ذلك لـكان النظر في امور القائمين بالدعوة وامر الباطن للحجة ولكنه هو كان ينظر في ذلك اذ لم يكن نصب وزيراً له ثم وهب الله عز وجل سليمان له فأقامه حجـة وصار امر الدعوة والدعاة اليه وذلك قوله تعالى :

« وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ »

---

(١) وردت في نسخة (ه) (توعده) .

قصة سليمان :

ولما اراد الله سبحانه نقلة داؤد عليه السلام وفارق الدنيا اقام سليمان عليه السلام مقامه وصارت الامامة من بعده له ودار ميراثه من الامامة والملك والحـكم وذلك قول الله عز وجل .

« وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ »

وقوله :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ، وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ »

وقوله ههنا .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ »

يخاطب اهل دعوته المأنوسين بحكمته يخبرهم بعظيم نعم الله .

وقوله :

« عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ »

الطير على ضربين مثلهم من العلويين الملائكة التي تنزل بامر الله الى انبيائه وامثالهم من السفليين الدعاة القائمون بالدعوة الى الائمـــة المبلغون عنهم ما ارادوا بمنطق العلم والحكمة وهو منطق الطير وما يجري من ذلك على السنة الملائكة عن الله سبحانه الى رسله وينقله عن رسله خلفائهم ائمة دينه وينقل عن السنة قوم دعوتهم الى كافة المستجيبين لهم

فذلك هو منطق الطير الذي ذكره سليمان انه علمه لا كما تزعم العامة انه كان يكلم الطير والطير تكلمه ويقصدون بذلك الطير الظاهر وانما اختصه الله سبحانه بالمنطق والكلام البشري ، واما الحيوانات فانما لها اصوات تعبر عن جمل من احوالها كتداعي الطير عند السفاد وما يكون اليها خلاف ذلك عند قتال بعضها بعض وسائر الحيوان في مثل ذلك وخلافه وحضنها (١) الى اولادها واشباه ذلك مما هو معروف عنها عند كل حالة .

فاما المنطق بالبيان وباللسان عن المرادات والحديث عن الاخبار وغير ذلك من فنون المرادات فانما اختص الله به البشر وفضل فيه بعضهم على بعض بالبيان وقوله :

أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْء »

ولم يقل واوتينا كل شيء لان ذلك انفرد به باري البرايا جل ذكره وأتى عباده منه بقدر الحاجة اليه لما كلفهم اياه ومثل ذلك قوله تعالى :

« وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ »

وقوله :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً ، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْء سَبَباً »

ومثل ذلك كثير في القرآن .

وقوله :

« وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ »

---

(١) وردت في نسخة (ه) (وحضها)

اي جمع له القائمون بأمر دعوته الذين يذبون [1] عنها ويحمونها وهم من الجن وهم ههنا في الباطن حملة علمه الذين اجنوه اي ستروه وهم لواحقه والانس هم ههنا المأنوسين بحكمته الذين هم نقباءه ودعاته يوزعون اي يبعث بعضهم بعضاً ويزدحمون ويتنافسون في الاعمال الصالحة يزدحم المقصر منهم من قومه بالصالح في عمله ليرتقي الى مثل حظه بلا تحاسد فيما بينهم على ذلك بل يتنافسون في معاني الأمور ورفيع المنازل ، وقوله تعالى :

« حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي ٱلنَّمْلِ »

والنمل ههنا امثال المأذونين الذين يأذن لهم الدعـــاة في كسر أهل الظاهل لهم ودلالتهم على من كسروه منهم وفي تربية من دعوه وتعليمـه وقد ذكرنا قبل هذا ان امثالهم امثال النعاج التي تغذي وتربي صغـــار الغنم التي امثالها المؤمنون فيسمعوهم ما ينبغي لهم من حدهم « قَالَتْ نَمْلَةٌ » يعني أحد المأذونين « يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ » يقول : يا ايها المأذونين « ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ » اي ارجعوا الى من تسكنون اليه من دعاتكم الذين تأخذون عنهم وخذوا عنهم بمقدار حدودكم وانصرفوا .

« لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »

يقول لقد سمعتم ما ينبغي ان تسمعوه في حدكم فانصرفوا واعتمدوا على دعاتكم من قبل ان يجري من كلام سليمان ولواحقه ونقباءه مـا لا تحملوه فيحطم ما انتم عليه ولا يشعر سليمان واصحابه بما يحل لـكم اي لا تسعوا ان تسمعوا الكلام اللطيف الذي لا تحملونه ، وكان الذي قـال هذا من المأذونين وأعلم من كان فيهم وانفذهم في العلم واعرفهم بالواجب .

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (يذيبون)

فخاف أن يستمر الكلام من اللواحق والنقباء ولا يشعرون بهم فيأتي منهم ما لا يحتملونه ولم يبلغوا حده .

« فَتَبَسَّمَ سُلَيْمانُ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها »

أي أعجبه مـــا قال الرجل واستحسنه ووقف بذلك على فطنته ويقظته .

« قَـالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وادْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ ٱلصَّالِحِينَ »

وكان ذلك لمـــا رأى من الرجل ما رآه من الفطنة وحسن التمييز [1] وانه في حد سفلي وذكر قدر مـــا اعطاه الله عز وجل ووهبه من فضله واعلاه به حمده وسأله ان يوزعه شكر نعمته التي انعم بهـــا عليه وعلى والديه يعني امام زمانه حين دعاه ودعى لحجته عاد ودعى نفسه وان كان قد انقذها ، ولم يعنِ ان يوزعها شكر النعمة وانما اراد ان يوزعه هو بما انعم الله به عليه وعلها بما صار اليه عنها وقوله .

« وَادْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ »

يعني من مضى من قبله من الائمة على طاعة الله ورضي عنهم لما اصلحوا من انفسهم فسأل ذلك لنفسه ان يعطاه ويختم به فيكون قـــد دخل في جملتهم .

وقوله عز وجل .

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (الامتياز)

« وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ قَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ »

فالطير ههنا في التأويل امثال المتصلين بالرسل من الحدود العلوية وأمثال الدعاة من الحدود السفلية وذلك قول الله عز وجل .

« أَلْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وقال في ذكر الدعاة .

« فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً »

وقد ذكرنا تأويل ذلك في قصة ابراهيم ، فجاء في قوله :

« وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ »

تأويلان احدهما انه اراد الحد العلوي المتصل به والثاني انه أراد احد حدوده السفلية واسم الهدهد مشتق من الهداية اي انه هدى مهدي غيره وقد يكون ارادهما معاً فحكى الله عز وجل عنهم ذلك للفظ واحد وقد يكون اراد احدهما دون الآخر تفقده اذ غاب عنه وعن الاتصال به وقوله :

« لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ »

فان كان اراد حده العلوي المتصل به فيكون اراد بعذابه

الامساك [1] عن سؤاله اذ انه قدر في نفسه انه تأخره عنه كان من قبله وذبحه وقطعه ليتصل به غيره ومن ذلك كان استبطاء رسول الله (ﷺ) جبريل إذ قد ابطأ عليه وظن ان ذلك من قبله فأنزل الله عليه .

« وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ »

وان اراد الحد السفلي المتصل به فعذابه اياه منعه من الاطلاق والتأييد وذبحه ان يجدد العهد عليه ويستأنف به او ان الأمر كمن يفعل ذلك من ذل ثم تاب وقوله :

« أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ »

اي بحجة بالغة عن سبب تخلفه وقد جاء التأويلان معاً وقول الهدهد له .

« أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ »

فالاحاطة بما لم يحط به هو علم ما يتأدى اليه ولم يبلغه وقد يكون ذلك للأعلى والاسفل ان شاهد ولم يشاهده من فوقه ومن هو دونه ويتأدى اليه من الخبر ما لم يتأدى اليه ولم يبلغه فيأتيه به ويأتيه كذلك حده العلوي بعلم غاب عنه .

قال :

« إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ »

يعني لا حق من لواحقه او لا حق من كان قبله كان فيهم .

« وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ »

يعني من العلم فدعاهم الى نفسه .

---

(١) وردت بنسخة (س) (الاستمساك)

« وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ »

اي دعوة كبيرة .

« وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ »

يعني انهم يعتقدون ان الامام هو الباري تعالى الله عن ذلك ونزه اولياءه عما يقول الظالمون ، ومثل هذا قد اعتقده وقال جماعة من الأمم في ائمتهم لما غالوا فيهم وغيروا وبدلوا ما امروا به وزين[1] لهم الشيطان اعمالهم اي من بعد عن وليه سميَ شيطاناً .

« فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ »

والسبيل ولي الزمان فصدهم عنه اذ دعاهم لنفسه والى ما احدثه وابتدعه واقام نفسه لهم مقام الامام واقام لهم الامام مقام الباري تعالى الله عن ذلك ونزّه اولياءه عن ان يقولوه او يدعوه .

وقوله :

« أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ مِنْ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ »

يعني للباري الذي من قبله تكون الفوائد للائمة والحجج والنقباء والاسس قبلهم المتصلة به عنهم .

« وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ »

يعني بالباطن .

« وَمَا تُعْلِنُونَ »

---

(١) وردت في نسخة (ه) (زاين)

يعني الظاهر ويكون ما تخفون ما يبديه الناطق ومن يلقي ذلك بالتعليم الى من هو دونه والله عز وجل بعد ذلك كله .

« ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ »

يعني ان الباري عز وجل هو صاحب الدعوة العظيمة التي انتشرت من اعلى الحدود العلوية حتى اتصلت بادنى الحدود السفلية وهو ربها فهلا تدبروا هذا وعلموا ان الامام فقير محتاج الى من يتصل به من الحدود العلوية التي هي الوسائط فيما بينه وبين الباري جل ذكره فلا يساومه ولا ينتحلون اسمه .

قال :

« سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ »

هذا خطاب لا يقع على الحدود العلوية من المتصل به الا على سبيل المجاز على ان يقول نستخبر امرهم فان اصروا على ما قلت فقد صدق قولك فيهم وظنك بهم وان كانوا على خلاف ذلك ورجعوا الى الحق فقد كذب الظن بهم ، ويكون خطاباً للحد السفلي ممن هو فوقه على سبيل الظاهر لهذا القول في اختيار ما جاء به ان استرابه ويجري مجرى المجاز على ما قدمنا ذكره ان كان في حال الثقة عنده فأردنا ان نوضح ذلك على الوجهين الذين قدمنا القول فيهما ثم قال :

« ٱذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ » .

فتأويل كتاب الله رسوله في الباطن ومن أقامه من الأئمة مقامه من بعده فعلى ذلك يكون كتاب الرسول والامام من يقيمانه ، للتأدية والبلاغ

عنهما فذلك في التأويل انه أرسل اليهم داعياً يدعوهم اليه ويعرفهم محله من ربه وانه صاحب الزمان الذي افضى اليه أمره :

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنّي أُلقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ » .

يعني ذلك اللاحق الدي دعاهم لنفسه لما أتاه الآتي عن سليمان بما اتاه به من التأييد المتصل به عن الله عرفه فضله فجمع اليه أهل دعوته الخاصين [١] به الذين استجابوا لما دعاهم اليه واخبرهم بذلك وانه اتاه رسول كريم اي مكرم بالعلم والحكمة من قبل سليمان وذلك قوله .

« إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ » .

اي وما يدل عليه من الحدود .

« أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ » .

يقول لا تستكبروا فاني ولي أمركم فسلموا [٢] لأمري واستشار القوم في ذلك وذلك قوله :

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونَ ، قَالُوا وَنَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ » .

اي عندنا علم وحكمة وحجج قاطعة لمن حاججناه .

« وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » .

« قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا » .

يقول ان الائمة اذا استولوا على اهل دعوة واستجاب اهل تلك الدعوة افسدوا ما كان في ايديهم مما هم عليه ونقلوهم الى ما يذهبون اليه .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (الخاطين) .

(٢) في نسخة (س) وردت (فسالموا) .

« وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ » .

اي يردون من كانت لـه الرئاسة بالعلم والمتقدمة في مذهبه متعلماً في أول الامر مستفيداً كسائر المستفيدين .

« وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ » .

اي ارتأي ان القي اليهم من العلم الذي عندي فوائده فان قبلوها فهم محتاجون الى ما عندي وان لم يقبلوها علمتم انكم ترجعون مستفيدين منهم اذلة بين ايديهم .

« فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ » .

يقول اتفيدونني علماً وقد اتاني الله خيراً مما أتاكم اي الذي امدني الله به أفضل مما أمد به من قبلكم مما تعلقون به[1] وتدخلون عليه من الفساد

« ارْجِعْ إِلَيْهِمْ » . يقول لرسوله :

(فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)

يقول لأبعثن لهم من الدعاة من لا تقوم لهم معه حجة حتى اخرجهم من دعوتهم التي افسدوها ففعل ذلك بهم ثم قال :

(أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)

يقول ذلك لحججه ولواحقه من منكم يعلم علم دعوتهم وما احلوهـا به وما احتجوا لها من حججهم فيكون علم ذلك عندي .

(قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)

---

(١) في نسخة (س) وردت (تعقلون) .

لاعلم أمرهم وأخاطبهم فيه من حيث أعلم وقد يكون من أسباب صاحب الزمان من يتبحّر في العلوم وعلم مذاهب الناس وأقاويلهم وانتحال الفرق واحتجاجهم فيكون ذلك العلم عنده مما يمد الله عز وجل ذلك الولي على لسانه .

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ ٱلْجِنِّ)

يعني جبار من الدعاة .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) .

يقول اني قوي في علم ذلك امين عليه ان احرف او ابدل منه .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)

اي قبل ان تشغل نفسك بطلب ذلك وتدع مقامك الذي اقامك الله عز وجل له من القيام بأمره والنظر في العلم الحقيقي الذي اصطفاك له :

(قَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ)

يعني حجته الذي افضى اليه بعلمه .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)

أي قبل ان يرجع اليك الحد الذي يأتيك بالتأييد عن ربك ثم ذكر له جملة ذلك في مقامه .

(فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) .

اي في الذي ارتضاه واختصه وأقامه لمقامه من بعده وعلم ما عنده من فنون العلم .

(قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) .

يقول من شكر نعمة الله عنده فانما ذلك له ومن كفر اي ستر النعمة ولم يظهرها بالشكر فان الله غني عن شكره كريم بما يوليه عباده وان لم يحمدوه .

(قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ) .

وذلك بعد ان ارسل دعاته برد ما بعث به ذلك الذي ادعى لنفسه ذلك المقام وكسر عليه وعلم انه سيأتيه مستسلماً لامره نكروا له دعوته التي ادعى بها يقول ذلك للواحقه واسبابه اي مثلوها له اذا أتاكم بامثالها من الباطل .

(نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ) .

اي ننظر هل يعرف الحق في ذلك فيقربه ام يتمادى على الباطل الذي هو عليه ويلح فيه .

(فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ) .

هذا مختصر من القول وجملته انه عرفه بما كان يدعو اليه وبما امله من دعوته واتى بذلك من غير ان يسأله عنه فعلم ان عند سليمان وعند اصحابه علم ما كان عليه مما يدعو اليه وما احله ثم مثل له ذلك بالباطن بما يفسر ما في يديه وشبه له به وقيل له اليس هذا ما دعوت اليه من الغرور والباطل مثل الذي مثل به من السراب [1] والزبد [2]

---

(١) في نسخة (ه) وردت (شراب) .

(٢) في نسخة (ه) وردت (والزبدة)

واشباه ، ذلك كأنه هو الذي احله واسّسه .

(وَأُوتِينَا ٱلعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)

يقول ذلك حكاية عن اصحاب سليمان لما قهروا ذلك اللاحق المبدل بحجتهم خبروه انهم اوتوا العلم من قبله وانه لا علم عنده وكانوا مسلمين اي مسلمين لولي امرهم .

(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)

اي صده عن الهدى من اتبعه وتعبد له من أهل الباطل .

(إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)

اي ستروا الحق ، والكفر ستر الشيء

(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي ٱلصَّرْحَ)

والصرح في اللغة القصر ومنه قول الله عز وجل .

(قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً)

وجاء في تفسير العامة ان سبأ كان ابوها من الجن وان الجن خافت ان يراها سليمان واعجبته تزوجها فاذا تزوجها اطلعتهم على سرهم قالوا له ان ولد الجن من الانس تكون رجله كحافر الحمار يعيبوها بذلك عنده فأراد ان يعلم ذلك من حيث لا ترى انها تختبر فجلس بها على سرير في قصر وجعل صحنه بركة ماء وغطاها بزجاج فلما دخلت حسبته ماء فكشفت عن ساقيها فرأى قدميها .

والمعنى في تأويل الباطن قوله .

(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي ٱلصَّرْحَ)

أي في علم الناطق ، قال رسول الله (ﷺ)« انا مدينة العلم وعلي بابها»
فلما رأته أي اطلعت عليه وقد فاتحه اللاحق ببعض اسباب سليمان بعلمه الحقيقي وابتداءه تأويل ما يجب أن يبتدىء فيه من الباطن الذي عليه ستر رقيق من الظاهر مما لا يشك فيه انه هو الباطن محضاً فكشف عن باطنه والماء في الباطن مثل العلم ومعنى قولهم انه غطاه بزجاج هو ما وضعه من الستر الرقيق من الظاهر فتوهم ذلك وظن انه هو الباطن وذلك قوله :

(حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا)

يعني اصليها الباطنيين ومن ذلك قول الله عز وجل .

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

وقال :

(إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ)

قيل له انه ليس بالباطن المحض [1] ولكنه مستور من الظاهر الرقيق فلما علم ذلك تحير من عظيم ما سمع وهاله ذلك اذ قيل له انه ادنى حد من حدود العلم فأقر بظلمه واستسلم لامر سليمان لما وضح له البرهان .

وذلك قوله تعالى :

(قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)

يعني لما تقدم له من الانكار والتغيير .

(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

ورويَ في الحديث ان سليمان تزوج بلقيس لما حسن اسلامها وهو في

---

(١) في نسخة (هـ) وردت الممض) .

الباطن ان ذلك اللاحق لما سلـّم لأمر سليمان ودخل في دعوته واستجاب لأمره وحسنت حالته اقامه في لواحقه وهم ازواجه في الباطن وقول الله سبحانه وتعالى :

(وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)

يعني عز وجل انه اعطاه من فوائد الحكمة والعلم ما يكون منه الرحمة للمؤمنين وذلك ما يربيهم به ويغذيهم ويجمع به المنافع في ذلك اليهم كما يفعل الريح في ذلك من جمع السحاب وسوقه الى ان تمطره مـاء يكون فيه الحجج القاطعة الدافعة لأهل البـاطل كما يكون في الريح العذاب والسخط وقوله :

(غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)

والغدو استقبال النهار والرواح استقبال الليل واكمل الله عز وجل لواحقه في الظاهر والباطن .

وقوله :

(وَأَرْسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ)

اي اجرينا له علم الظاهر الكثيف الذي لا يعرف الناس باطنه فجعلناه سائلاً مائعاً جارياً كالقطر يُرى مـا فيه لصفائه وخروجه من حد الجماد الى السيلان ففتح له الظاهر عن باطنه وقوله تعالى :

(وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ)

فالجن في التأويل الباطني مشتق اسمه من الاجتنان وهو الستر فالجن هم اهل الباطن الذي يسترونه فعنى ههنا منهم حججه ولواحقه .

(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ)

يعني يقيمون له الدعاة الذين يأمهم الخلائق المسترشدون فهم لهم قبلة (وَتَمَاثِيلَ) يعني ما يضربونه من الامثال بكلامهم للناس في دعوتهم اياهم ويشرحون من امثال القرآن لهم

(وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) اي قصاع كالحياض في السعة وهم المأذونين الذين يقيمونهم للكسر والبيان والمفاتحة مثلوا بالحياض لان المسترشدين ينالون منهم الفوائد كما يأكل الناس صحون الطعام .

(وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) اي ثابتات يعني الاجنحة الذين قد ثبتوا من جهة لاحقهم واستقروا على جهة ولي امرهم كاستقرار القدور الراسيات على الارض فأقام الله عز وجل من حججه ولواحقه ودعاته واسبابه من يقيم دعوته ويحمل عنه امر المستجيبين ويقوم لهم بالمفاتحة وتأدية العلم والحكمة ويستنبط لهم من ذلك مـــا يغذيهم ويعني بذلك ويقوم به دونه ومن لم يفعل ذلك منهم أذاقه

(عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ) اي قطع عنه المادة والتوفيق وابتلاه بالجهل

ومن فضل الله على أنبيائـه وائمة دينه ان يوفق لهم اعواناً [1] على الخير يقيمون لهم اسباب دعوتهم ويحملون عنهم ثقل أعبائها ويتم لهم بهم حدودهم واسبابهم ، ومنهم من لا يكمل له ذلك ولا يتم فيعانيـه بنفسه لمـــا يريده الله عز وجل من كمال الاجر والثواب لله والله واسع الفضل والسعادة والنعمة وذلك قول الله عز وجل ومن الشياطين يغوصون له ويعجلون عملاً دون ذلك وقوله :

---

(١) في نسخة (ه) وردت (اعياناً)

(وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ، هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ امْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

يعني انه سخر له كل من عند وشطن وبعد عن غيره من الائمة من يغوصون له من لواحقه ودعاته على لطيف العلوم ويستخرجون له الدقائق منها ويشرحون للناس مفاتيحها ويفتق لهم سائلها .

وذلك كله مما يلقيه عليهم من الجمل من الحكمة يحملون عنه تعب الفكر والجوارح [١] في بيان ذلك وشرحه واصل ذلك من قبله بمادة الله عز وجل المتصلة بـه ومن ذلك قول علي صلوات الله عليه : علمني رسول الله (ﷺ) من الحكمة والعلم الف باب وفتح لي كل باب منها الف » وقـال جابر : اوفدني وصي الاوصياء يعني محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم عن ألف مسألة كل مسألة تفتح الف ، فأوليـاء الله يؤيدون من الحكمة الى اسبابهم جملا على اقدارهم ومـا يصلح لكل واحد منهم وهم يغزون ويستنبطون من شرحه وبيانه للنـاس على قدر أقوالهم ومنتهى علمهم وما يخصهم الله به من المادة ليحملوا ذلك عن اوليائه لانه ليس في قوة احد من البشر ان يقوم بالاشياء بلا معين له فيها وانما تفرد بذلك الباري جل ذكره واعجز عنه جميع خلقه ابانة لقدرته ووحدته وعجزهم وفاقتهم فاذا ثبتت حدود اسباب اوليـاء الله على لزوم امرهم واعتقادهم وخلصت نيـاتهم وحجتهم ففي ذلك السلامة والتوفيق من الله عز وجل .

وقاموا بمـا حملوه ووفقوا للصواب في أقوالهم وافعالهم وجرت على

(١) في نسخة (ه) وردت (الخوارج)

الواجب والسداد امورهم وامور المتصلين بهم من المستجيبين والمسترشدين واذا داخلهم الاعجاب بأنفسهم والتكبر عن أولياء الله وادعوا شيئاً من ذلك لأنفسهم ورووا وذكروا ذلك عن حيلة منهم او قوة من ذاتهم سلبوا التوفيق ووكلوا الى أنفسهم وانقطعت مادة الله عز وجل عنهم فحرفوا الكلام عن مواضعه وبدلوا فهلكوا وهلك من تمسك بهم واقتدى بأمرهم وقد سمع ذلك منهم ورأى مخائله فيهم ومن قبل ذلك هلك من هلك من الامم ومن ذلك قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ)

وقوله تعالى :

(وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ)

يعني الباطل الذي يشبهونه بالحق فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا وأضلوا كما قال الله تعالى :

(وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ »

اي ضلوا عن ولي الزمان وفارقوه وأضلوا عنه غيرهم بما أوردوه عليهم من الباطل الذي نسبوه اليه وادعوا لهم انه عنه ولن يضر ذلك أولياء الله كما لا يضر سليمان ما تتلوا الشياطين عنه وتقوله فيه ولا يضر الله عز وجل كذب من كذب عليه ولا يضر ذلك المتمسكين بأمر أولياء الله اذا تبرأوا ممن فعله ، وانما يضر ذلك من تقوله ومن اتبعهم عليه وقد علم ذلك منهم بما شاهده من فعلهم وفارق فيه أصل ما دعيَ اليه .

فعهد الله المأخوذ على العباد هو أول ما يسمعه المستجيبون [1] ويؤخذ

---

(١) في نسخة (س) وردت (المستجيبين)

ويؤخذ عليهم لأولياء الله فيه أصول جميع ما يدعون وهو حجة أوليائه على من يأخذه ويؤخذ عليه فمن فارق منــه شيئاً وخالفه فهو هالك ومن اتبعه ، عصم الله جميع عباده المؤمنين من الهلك ووفقهم لمـا فيه النجاة [1] والعصمة .

وأما قول الله عز وجل :

(كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ)

يعني الذين يبنون بيت الحكمة التي يأوي اليها المسترشدون وهم الدعاة الذين يقيمهم الحجج والمأذونون وقوله :

(وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ)

منهم الذين لم يؤذن لهم في المفاتحة من المحرومين قد قيدوا بالعهود والمواثيق :

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوِ امْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

اي ليس عليك في المنة على من يستحق عندك او الامساك عن من لا يستحق حساب تحاسب عليه :

(وإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَـآبٍ)

يعني سليمان عليه السلام له منه قرب وحسن مرجع في الآخرة لمـا قام به من أمره .

واما قوله تعالى :

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْــهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (النجات)

ٱلأَرْضِ تَأْكُلُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)

ان العامة ذهبت في تفسيرها ان سليمان عليه السلام كان يقف على الجن وهم في سخرته يعملون ويرون انه في الحيـــاة الى ان أكلت السوس عصاه فسقط بعد مدة طويلة فعلموا انه قـد مات وهذا من أبين البيان على فساد تأويلهم فكيف يثبت الميت قائماً على عصاه ? ام كيف يخفى موت الميت عمن رآه ? وهب ان الجن خفي عليهم فما يصنع خاصته واصحابه واهله والذين يتولون طعامه وشرابه وفرشه وهم يرون انه لا يأوي الى ذلك ولا يبرح قائماً مكانه ليلا ونهاراً حتى فنيت عصـــاه واعضاءه وجسمه احرى بها ان تفنى قبل العصا مع كثير من الدلائل والشواهد على فساد هذا القول تركناها اختصاراً .

وتأويل ذلك في الباطن انه من الامثال التي ضربها الله عز وجل في كتابه الذي يقول فيه .

(وَتِلْكَ ٱلأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلعَالِمُونَ)

فقوله :

(فَلَمَّا قَضَى عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ)

يقول فلما قربت نقلته وقضينا عليه ان يسلم ما كان بيده الى ولي الأمر من بعده فعل ذلك واسره ولم يشعر به احد من لواحقه .

(مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ)

اي ما دلهم على ذلك .

(إِلَّا دَابَّةُ ٱلأَرْضِ)

يعني القائم من بعده الذي نصبه .

(تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ)

والمنساة في اللغة العصاة ومثلها مثل التأييد في وجه من وجوه التأويل الذي يعتمد عليه المنصوب من قبل الله عز وجل اي لما نظروا الى ما ظهر في الذي اقامه من التأييد ودلهم ذلك على مقامه ، وانما قيل عنه دابة الأرض لمن يقوم بالامر بعد نقلة [1] صاحب الزمان لشدة كتمانه وستره ولأنه لا يكاد يحس بأمره في حياة القائم الا من اطلعه على ذلك فشبه بسيرته بدبيب النملة على الأرض التي لا يكاد يرى ولا يحس به احد الا من تامله وذلك للتقية عليه من نظرائه ومن يرى انه مستحق لمقامه ويظن ان نوال ذلك اذا كان فيهم من يكون في هذه المنزلة فاذا لم يكن ذلك وكانوا كلهم معترفين بالفضل له ظهر امره في حياة القائم ولي الامر وقام بعده به وذلك ما قد عرفه كثير منهم وكان سليمان احد من عرف ذلك منه وقام بالامر في حياة داؤد ولم يكن له نظير ينزع بنفسه الى مقامه ومن ذلك قول الله عز وجل .

(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

وقد ذكرنا تاويل ذلك فيما تقدم .

فاخبر عز وجل ان حكم سليمان نفذ في حياة داؤد على حكمه ولم يتسع ذلك ولا استقام للقائم بعده فستره في حياته للتقية عليه ومن

---

(١) وردت في نسخة (س) (انتقال)

الستر في ذلك قول الله عز وجل في هذه الامة .

(وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)

عني بذلك ظهور احد اللواحق للقائم في آخر الزمان يظهر قبل ظهوره يؤدي التأويل عن القائم في خفية واستتار الى ان يظهر القائم وقوله تعالى :

(فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)

يقول : لما خرَّ سليمان لمن اقامه اي اظهر امره ولو علموا ما غيب عنهم قبل ذلك من امره ما لبثوا يعني تلك المدة .

(فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)

يعني الشك الذي كانوا فيه من امر من نصبه منذ ان رأوا مخائل التاييد فيه وقبل ان يكشف لهم حقيقة امره ومعنى الخبر الخضوع والطاعة [١] والتسليم قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام .

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً)

وقد تقدم تأويل ذلك ، وقوله :

(خَرُّوا لَهُ سُجَّداً)

عنى المؤمنين انهم خضعوا بالطاعة [٢] لولي امرهم ويدل السابق على اللاحق ان كان ماذوناً له بذلك وان كان محرماً عليه فذلك لصالح عمله

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (الطاعت)

(٢) ايضاً وردت في نسخة (هـ) (للطاعة)

واخبر سبحانه فيا قصه من امر سليان ان من عجز الخلائف وان قرب منهم من قرب من أولياء الله ان يعلموا من امرهم الا ما اطلعوهم عليه واعلموهم به فانهم لا يعلمون من الغيب وهو التأويل وحقائق الغيب الا ما ادوه اليهم واعلمهم اولياء الله به .

ومن ذلك قولـه تعالى حكاية عن المتصلين بسليان من خاصة حججه ولواحقه ودعاته واسبابهم .

(أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)

وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ)

يقول أخبرناه بالمحنة .

(وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً)

يعني تغلب متغلب من اهل الباطن على دعوته سمـاه جسداً اي لا روح فيه للحياة الحقيقية كما قال الله عز وجل في حق الكفار .

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) (ثُمَّ أَنَابَ)

يعني سليان اناب من ذنب كان فارقه .

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ)

فاهلك الله عز وجل عدوه ووهب له الملك الذي سأله :

(لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)

يعني الامامة لا تصير لاحدٍ غيره في حياته وانما قوله من بعدي اي من بعد ان يعطيني اياها ما دمت حياً لا على ان ذلك لا يكون بعد

وفاته اذ لم يكن سليمان يجهل ان الله عز وجل لا يخلي ارضه من امام يقيمه فيسأل الله عز وجل ما لا يفعله ولكنه لما ابتلي بالذي القي على كرسيه من المتغلبين على امره وسأل الله عز وجل اذ رد ملكه اليه واهلك المتغلب عليه ان لا يبتليه بمثله ، وأما قوله .

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ)

زعمت العامة انه عرض عليه الخيل فاشتغل بها عن صلاة العصر حتى غابت الشمس فعقر الخيل لذلك ، وهذا لو فعله احدهم لجهلوه لأجله وما الموجب لعقر الخيل وهي عدة [1] في سبيل الله بلا ذنب فعلته وانما الذنب لو كان كما قالوا عليه فيما صنعه من اغفال الصلاة والوجه في في ذلك في التأويل انه مثل ضربه الله عز وجل ، فالصافنات في اللغة الخيل وامثال الخيل في الباطن الحجج عرضت عليه ما يجري من دعوتهم المستورة فاستحسن ذلك واستجاده من امرهم .

(فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي)

وذكر ربه ههنا الامام السابق قبله الذي علمه وأفاده اياه وأمره بحبهم ، والخير ههنا الخيل وكذلك تأويله فيما تأوله العامة لقول رسول الله (ﷺ) : الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، فهم في تأويل الباطن الحجج كما ذكرنا ، فاخبر عنهم عندما عرضوا عليه ما

---

(١) في نسخة (ه) وردت (عدت)

ساروا به في الدعوة فاستحسنه من حبه اياهم .

(حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ)

اي لم يذكر ذلك حتى قاموا عنه وانصرفوا وواراهم عنه حجابه .

(فَقَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ)

فردوهم اليه ففتح لهم من الحكمة وزادهم من التأييد ومسح بـه سوقهم وهو باطنهم ، واعناقهم هو ظاهرهم اي مسح ذلك بالحكمة منه وقد تقدم كشف الساق الذي هو كشف الباطن وذلك لان الساق مستور فهي مثل للباطن والعنق ظاهر فهو مثل للظاهر فزادهم علماً وبيانـــاً وتأييداً في الظاهر مما يكسرون به اهل الظاهر ويعملون به ويأمرون بـــه اتباعهم ومن الباطن مارقوا [1] في درجته واسبابـه وهو حد لم يكونوا بلغوه فبلغهم اياه ولما استحسن من اعماله ومـا جرى منهم في في دعوتهم وامتثالهم في ذلك لما امرهم به بلا تغيير لـه ولا زيادة ولا نقص فيه فأثابهم ثواب ذلـــك بعد ان اثنى عليهم ووصفهم في محبته اياهم فانالهم بذلك المنزلة العظمى وذلك فعل اوليـاء الله لمن احسن الى نفسه بطاعتهم وامتثال امرهم لمن قرب منهم او نأى عنهم لا يزالون يرفعون من فعل ذلك من درجة الى درجة من فوقها ما استقاموا عليه اذ ان الدرجات عندهم كثيرة لا يزال المؤمنون المخلصون لها يرقون فيها ما دامو على ما يرضون منهم ايام حياتهم وفق الله جميعهم من ذلك الى ما يرضيه وما فيه حظهم وسعادتهم ورضى أولياءه عنهم بحوله وقوته.

(١) في نسخة (س) وردت هذه الكلمة

قصة يونس :

كان يونس عليه السلام في وقعة صاحب الزمان وهو من دور موسى عليه السلام وكان قد أقام حدوده وبث دعاته واستقام له امره ثم فسد عليه أهل زمانه وتعدوا أمره وخرجوا عن كثير من طاعته وما حد لهم وأمرهم به فرام استصلاحهم فلم يقدر على ذلك فضاق صدره اذ لم يوفق الله له ذلك واذ قد فسد عليه من كان بحضرته ودار هجرته فتركها وخرج عنها هارباً عنهم الى جزيرة كانت له بها دعوة قوية على حالة استقامته وله فيهم لاحق يقوم بأمرهم فلجأ بنفسه اليه وذلك قوله عز وجل

« وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ » .

والفلك في اللغة السفينة وهي في الباطن الدعوة [١] وقد تقدم شرح خبرها في قصة نوح عليه السلام ومن ذلك قوله تعالى :

« وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ » .

يعني على قومه لما فسدوا عليه وعندوا عن امره وكان ذلك خطأ منه وقد كان الواجب عليه ان يصبر ويثق بالله عز وجل ويعلم انه قادر على اصلاح ما فسد عليه وتقويم ما اعوج له فكأنه يئس وذلك قوله تعالى :

(فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (الدعاة)

وقد امتحن الله سبحانه كثيراً من أوليــائه بمثل ذلك فصبروا حتى أتاهم نصر الله وذلك قوله تعالى :

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَاوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) .

يقول : لا يبدل الله أوليــاءه بغيرهم من أعدائه الذين نصبوا لهم وتغلبوا على أمرهم ، فلم يصبر يونس كما صبروا وظن ان عدوه يظهر عليه فهرب من بين يديه ولجأ الى لاحق له يشكو اليه ما نزل به ويستعينه على أمره فوضع نفسه بذلك دونــه والله عز وجل قد رفعه عليــه وأعلى قدره وأراد الله سبحانه ان يريه ويبين له خطأ مــا ارتكبه إذ انه لم يصبر حتى يأتيه نصره فلمــا صار االى تلك الدعوة وقع فيها شقاق [١] واختلاف .

وفي الحديث انه لما آوى الى السفينة اضطربت وتمــايلت ووقفت لا تجري والريح طيبة فقال الملاح ما هذا الا لذنب من مذنب فينا وجمع اهل السفينة فلم يعلموا من هو ذلك المذنب فامرهم ان يساهموا فوقع السهم على يونس وذلك قول الله عز وجل .

(فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ)

فالملاح هو صاحب تلك الدعوة وهو أحد لواحق يونس الذي التجأ اليه لما رأى دعوته قد فسدت واضطرب جميع دعاته واسبابه ويونس معه وجعل يسأل عن اسباب ذلك الفساد الذي وقع في دعوته ومن اين دخل عليها وكيف جرى فيهــا فتكلموا على ذلك حتى ساقوه على يونس عليه السلام وان ذلك انما كان بسبب تركه الامر وهربــه عن هجرتــه

---

(١) في نسخة (س) وردت (شتات)

ودعوته ووقوعه تحت من هو دونه وان الشك انما دخل من اجل ذلك على من دخل عليه وقد نظر في اسباب كل واحد منهم فوجده بريئاً من أن يكون غيّر شيئاً من الدعوة فرأوا ورأى يونس ان من اجل اصلاح ذلك ان يخرج عنهم ويستتر في اهـــل الظاهر الى ان يصلح الله عز وجل امره كما وعد اولياءه وهذا الذي جاء في الحديث انهم رموه في البحر والبحر مثل الظاهر وقد بينا ذلك بتمام شرحه فيما تقدم .

فلما خرج من بينهم تلقاه احد المأذونين ممن كان في جملة اهـــل الظاهر ولم يكن له دعوة فآواه ذلك الماذون واكتنفه وصار كالمنعم عليه وبذلك صار اسوأ حالاً مما كان فيه ذلك قوله تعالى :

(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)

اي لحقه اللوم من اجل ما فعل ومن ذلك ما جاء في الخبر انهم لما اوقفوه على طرف السفينة ورموه منها تلقاه (١) الحوت من البحر فالتقمه وجرت السفينة واستقامت فايقن يونس عليه السلام بوقوعه في الخطيئة فندم وأناب الى الله واعترف بخطيئته فتاب الله عليه واظهر امره في الناحية التي صار اليها فاستجاب له خلق من اهلها وعز فيها واتخذهـــا دار هجرة واستقامت له الامور وذلك قول الله عز وجل .

(فَلَوْلاَ أَنَّــهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

يقول لولا انه سبـح الله اي وحده ونزهه عمن هو دون ذلك الحد وذلك هو كمال التوحيد والتنزيه يعني انه اقبل على ذلك وكان عليـــه السلام يعطي كل ذي حق حقه ولا ياخـذ ما ليس له ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ فَنَادَى فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقد قيل في الحديث انه نادى ربه بذلك وهو في ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فمثل ظلمة الليل الستر والكتمان لانه صار مستوراً مكتما بعد ان كان الله عز وجل اقامه مقام الظهور والتأييد ، وظلمة البحر علم الظاهر المجرد من الباطن والتأويل الذي يزعم اهله انه لا علم غيره فهم في ظلمة الجهل بذلك وشربه ملح اجاج حتى يصفى فيصعد عذبه ويرسب ملحه واجاجه وذلك ان ماء البحر اذا وضع على النار تصاعد ما يتصاعد منه عذباً ويبقى الماء المالح في اسفله وكذلك ما داخله الغش من الذهب والفضة وهي جماد يتسايل اذا امتحن بذلك زال غشه ، وظلمة بطن الحوت استتاره وكونه تحت حكم ذلك المأذون الذي اكتنفه اي نادى بذلك التوحيد فأنجاه الله من الغم اي من غم ذلك وكربه واظهر امره وايده بنصره وتلافاه برحمته فعاد الى ما كان عليه ومن ذلك قوله تعالى :

« وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾

فأبدله الله عز وجل بهؤلاء من الذين كفروا وعصوا امره وافسدوا دعوته وتواثبوا عليه كمن يجعل كذلك العقبى لمن اخلص له من أوليائه كما وعدهم بذلك في كتابه بقوله تعالى :

« وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ولولا ان تلافاه الله عز وجل بانابته اليه

لبقي مستوراً ذليلاً تحت حكم ذلك المأذون الذي آوى اليه وصار في كنفه على ضعف امر ذلك الذي لم تقم له دعوة انما هو مأذون لبعض الدعاة وأما قوله :

« فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ »

اي ضعيف الحال لما جرى عليه من المحنة وصار الى قوم لا يعلمون شيئاً من علم الباطن وقوله :

« وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ »

واليقطين في اللغة كل شجرة تمتد مع الارض ولا تقوم على ساق مثل القرع [1] والبطيخ والحنظل وما اشبه ذلك وكذلك جاء في التفسير عن العامة انه لما ابتلعه الحوت اقام في بطنه ثلاثة ايام ثم امر الله الحوت ان يلقيه فألقاه من بطنه بأرض صحراء فخرج عرياناً ولم يجد ما يستظل بـه من شجر او غيره فأنبت الله عز وجل من سره شجرة قرع [2] فامتدت عليه وسترته ، وفي التأويل الباطن انه وجد رجلا كان قد اتصل ببعض حججه فأخذ عنه قليل من العلم لم يرقَ به فاتخذه حجة لنفسه وبسط له الدعوة واستتر بها فاستجاب له الذين ذكرهم الله عز وجل كما تقدم القول بذلك .

« فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ »

يعني انهم متعوا بما افادوه منه من العلم والحكمة الى ظهور القائم عليه السلام .

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (الاقرع) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت ايضاً (الاقرع)

قصة زكريا :

كان زكريا عليه السلام اماماً في آخر دور موسى عليه السلام وقد علم انه لا يبلغ دور عيسى صلوات الله عليه وكان عمران صاحب الزمان من قبله ولم يتهيأ له أقامة امام من دعوته فأقام زكريا الذي هو من غير دعوته وضمّ اليه رجلاً من دعوته كان قد ظن انه يقوم بالامامة من بعده ولكنه لم يلق به القوة لذلك ضمه الى زكريا وهو الذي كنى الله سبحانه عنه بمريم عليها السلام لانه صار حجة بعد ذلك ، وقوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ »

يعني ان حجة عمران علم انه يسبق الامام الى النقلة من هذه الدنيا فرجى الله ان يقوم مقامه بعض دعاته ويكون اماماً بعد عمران فلما وضعه موضع الامتحان تبين له انه لا يمكنه ان يقوم بالامامة لان ليس فيه من البيان والاحتمال ما يصلح الا ان يكون حجة وذلك قوله :

« فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ »

اي قد علم ذلك قبل ان يقوله .

« وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنْثَى »

(اي ليس من يصلح للامامة كمن يصلح ان يكون حجة)

« وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ »

اي قضيت نذري فيه وفوضت امري اليـــك فصنه من كيد الضد المسترق .

« فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ »

اي مربي ذلك الرجل بعد عمران وحجته وهو زكريا عليه السلام حَسَنٍ اي باقبال العلم والحكمة .

« وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً »

اي رباها تربية حسنة بذلك

« وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا » اي جعلها في خطه وحياطته ونظره .

« كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ »

يقول : كلما فاتحه وكلمه بشيء من طريق الامامة وجد عنده علماً من ذلك الطف مما يفيده اياه .

« إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

يعني الهمه بتأييد الله عز وجل وما جرى لله الا من قبله .

وكان زكريا عليه السلام قـــد ضعف امره ووهنت دعوته الباطنية وذلك قوله :

« كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً ، وَلَمْ

أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شَقِيًّا »

وذلك لما بلغ في الامامة المبلغ الذي رأى ان نقلته قد قربت ولم يلد

« وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي »

يقول خفت ان ترجع الامامة من بعدي في أهل دعوة من تقدمني .

« وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً [1] فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً »

اي لم ارزق من دعوة حجتي من يصلح للامامة ومريم هي من دعوة غيري وهي التي اخافها .

« فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً »

اي مستجيباً لدعوتي « يَرِثُنِي » يعني ميراث الامامة .

« وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً »

« يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ إِسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا »

يعني مستجيباً يصلح للامامة ليس له من يساميه في الفضل ومن ذلك قوله نسقاً عندما رأى من تأييد مريم دعا زكريا ربه بقوله :

« قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ »

« فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ » يعني امدته الحدود العلوية بعلم ذلك .

« وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ »

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (عامراً)

اي وهو في حد الامامة .

« إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ »

اي هو كلمة من الله يبين للعباد عنه « وَسَيِّداً » اي اماماً « وَحَصُوراً » اي لا يتخذ امرأة فيأتيها لأن ذلك قد سبق من الله عز وجل على يد عمران لمريم ان يكون حجة من غير ان يقيمها هو ويكون العلم قد سبق اليها من امامين قبله ومع ذلك انها كانت لا تقبل حد الامامة ، وانما كنى الله عز وجل عن هذا الذي تولى امر عيسى عليه السلام وهو في حد الحجية من غير ان ينصب اماماً للزمان فكناه الله بمريم وسمّاه باسمها ان هو ام عيسى عليه السلام من جهة ولادة الدين الباطنة كما كانت امه مريم من جهة الولادة الجسدية فسميَ باسمها وكنى عنه بها وكان هو المراد بالحمل والولادة من غير ذكر وخلاف ذلك مما قصه الله عز وجل من امر عيسى عليه السلام وسنذكر ، ذلك في موضعه [1] انشاء الله .

وكذلك جرى الامر في يحى عليه السلام وانه ابن خالة عيسى من قبل الولادة الظاهرة والباطنة ، وكانت امه اخت ام عيسى بالنسب وكذلك كانت ام عيسى وهي التي كنى عنها بمريم في الباطن ، وذلك ان زكريا عليه لما احب ان تكون الامامة في ذريته وسأل الله ان يهب له غلاماً اي من يصلح ان يكون اماماً فأقام افضل من رآه من لواحقه حجة وكان هو المكنى عنه بمريم مقام حجته وكان يحىَ عليه السلام من دعوة الحجة التي اقامها زكريا وعيسى من دعوة المكنى عنه

---

(١) في نسخة (ه)وردت (مواضيعه) .

بمريم وكان من حجة زكريا ومن دعوة عمران الا ان زكريا رباه وكفله من بعده وكان احب ان تكون الامامة من بعده في الذي اقامه من دعوته وكان منه ابنه يحى ، فأخبره الله عز وجل ان يكون اماماً ولكن لا يكون منه امام بعده واختص الله عز وجل المسمى بمريم الذي كان كفله زكريا بان جعل النبوة والامامة من دعوته لما سبق له من الفضل [1] واجرى ذلك له من غير ان يكون اماماً او يتصل بأمر من يكون اماماً ومثل الامام مثل الذكر والحجة مثل الانثى وقد اختصه الله بذلك وهو حجة اي آية له واختصاصاً اختصه به فلما قبض الله عز وجل زكريا اليه قام بالامامة بعده ولده يحى وقد ولد عيسى عليه السلام وخصه الله عز وجل من التأييد ما سنذكره في موضعه ، وكان يحى عليه السلام يعرف فضله في حياة زكريا ، ومن ذلك الحديث الذي روي ان كل واحد منهما كان في بطن امه وان يحى سجد لعيسى وهو في بطن امه ، معنى ذلك في الباطن انهما كانا في حدود التربية وكل واحد منهما مع حجة من حجج زكريا وذلك بعد ان دعيَ المسمَّى بمريم وسنذكر كيف كان ذلك في موضعه ، فرأى يحىَ في عيسى من الفضل والقوة والعلم والحكمة ما ليس فيه فخضع له وعرف فضله [2] ولما صارت الامامة الى يحىَ عليه السلام اطاع عيسى لأمره ووقع تحت حكمه ودخل في جملة اهل دعوته ، ومن ذلك الحديث الذي جاء فيه ان عيسى اتى الى يحىَ ليعمده فقال له يحىَ كيف اتولى ذلك وانت سيدي وسيد غيري وذلك لما علم فيه من الفضل وانه سيكون ناطقاً رسولا فقال عيسى عليه السلام اما اليوم فانت سيدي وسيد غيري ، ولا يسعني

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (الفضيل) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (فضوله) .

الا الدخول في امرك فعمدني فغطسه في بحيرة التربية وذلك اخذ العهد عليه لنفسه واعطاه من العلم ما يجب ان يعطيه الى امثاله ، فلما بلغ عيسى عليه السلام مبلغ الرسالة سلم يحيى اليه الامر واخرج اليه ما في يده ووقع تحت حكمه ، ومما خص الله عز وجل به عيسى من فضل اللاحق الذي تركه عمران وكفله زكريا المسمى بمريم قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ، وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ »

عنى بذلك ان الحد العلوي اتحد به بالتأييد من غير جهة مربيه الذي كفله اختصاصاً له من الله عز وجل على ما قدمنا ذكره فأوحى اليه ان الله سبحانه وتعالى اصطفاه على سائر الحجج وطهره وأمره بالقنوت والسجود لمربيه وذلك ان لا يرفع نفسه عليه بما خصّ به على غير يديه يعني زكريا وان يجعل دعوته له ويخضع لاساسه وهو يحىَ الى ان يأتيه من الله عز وجل ما يأتيه وأما قوله تعالى :

« وَمَا كُنْتَ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ »

ان ذلك كان على عهد عمران وهو انه جمع لواحقه لينظر من منهم يستحق ان يكون حجة فتشوق جميعهم لذلك فأمر كل واحد منهم ان يبدي ما عنده من البيان ليرى ما فيه من التأييد والقوة ، فألقى كل واحد منهم ما عنده من ذلك وهذا هو معنى اقلامهم في التأويل ، وفي الحديث ورد انهم ألقوا اقلامهم في نهرٍ جارٍ فمن سبق قلمه فقد يحكم له وهو في التأويل انهم القوا ما عندهم من البيان في علم صاحب الزمان

ليعلم بما اختصه الله من العلم ايهم اسبق من العلم وأقوم بـه وأقوى عليه فرأى ان ذلك موجود في الذي سمي مريم بعد ان اختبره فوجده حسن البيان في حد الحجج ولا يصلح ان يكون امامـاً فأقام زكريا اماماً قبله وضمه اليه ليكون حجة له الى ان يتهيأ فيه قبول حـد الامامية فيقيمه زكريا ، وأحب زكريا ان يكون ذلك في اهل دعوته على نحو ما قدمنا ذكره وذلك تأويل قوله تعالى :

« وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ »

وقوله ايضاً :

« إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ)

تقول الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، فمريم المخاطبة هو الحجة لزكريا وقولهم عيسى بن مريم يعنون امه في الظاهر وقولهم بكلمة منه يعنون عيسى عليه السلام فأنبيـاء الله وأوليائه هم كلماته بهم خاطب خلقه وبهم ابان لهم مراده كما بالكلام يبين المتكلم مـــا يريده ، والله عز وجل لا يشبه بخلقه ولا يوصف بصفاتهم وقولهم وجيهاً في الدنيا والآخرة يعني يجيء بالنبوة والرسالة في الدنياوفي الآخرة بالاتصال بالحدود العلوية ، ومن المقربين اي من تلك الحدود ويكلم الناس في المهد اي في حد التربية بالحكمة كما يربي الطفل فيه ويحرك به كذلك يكون حد المربى بالحكمة مرة يقرب ومرة يبعد كما يفعل ذلـك

بالغلام من يحرك مهده ، يقول ينطق بالحكمة ويخاطب الناس بهـا وهو في حد الطفولة أي في حد التربية، وكهلاً اي بعد ان يبلغ حد من يؤذن له في الكلام وقد ذكرنا معنى قول الملائكة لها فيما تقدم (١) .

ان اساس الناطق الرابع موسى هو اخيه هرون، ولكن هرون مات في حياة موسى فاضطر الى اقامة يوشع بن النون اساساً ووصياً على ولد هرون ، ثم آلت الامامة بعده بحسب الترتيب المعروف الى ، طالوت ، داؤد ، سليمان ، يونس ، عمران ، زكريا ، يحى ، وهو آخر امام من دور موسى .

ان الناطق موسى هو ابن عمران بن اليشاماع بن عميهوز بن لعدان بن ناحس بن تالع ، بن راشف بن رافع بن بريعا بن افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل ولد سنة ٤٢٥ ابراهيمية وتوفي سنة ٥٤٥ ابراهيمية وعاش ١٢٠ عاماً وكانت ولادته في السابـع من شهر آذار في مصر ووفاته في صحراء سيناء. (هرون) هو أخ موسى ولد عام ٤٤٢ ابراهيمية في مصر ومات قبل وفاة موسى بقليل في صحراء التيه، اي قبل ان يخرج بنو اسرائيل من مصر باربعين عاماً. (يوشع) هو ابن نون اخ موسى وهرون ولد عام ٤٦٣ ابراهيمية في مصر وتوفي عام ٢٨ موسوية اي بعد وفاة موسى وكان اساساً بعده ووصياً على أولاد هرون، سار بعد وفاة موسى بثلاثة ايام ببني اسرائيل من صحراء التيه عابراً شريعة الغور من نهر الأردن بتاريخ العاشر من شهرنيسان من العام الذي توفي فيه موسى، وبعد عبوره حاصر بلدة اريحا حصاراً دام سبعة ايام واحتلها وقتل من فيهـا ثم سار الى نابلس فملكها ثم ملك الشام ودامت رعايته لبني اسرائيـل ٢٨ عاماً ودفن في كفرحارس وعمره ١١٠ سنوات . (طالوت) لم نجد في مخطوطات الاسماعيليين اي اسم لطالوت بين الائمـة وقد ورد اسم (صموئيل) ولعله (طالوت) وهو المولود عام ٤٤٢ والمتوفي عام ٤٩٥ موسويه . (داؤد) هو ابن بشار بن عوفيد بن بوعز بن سلمون بن غشون بن عمينوداب بن ريم بن حصرون بن يهوذا بن يعقوب ولد عام ٤١٩ موسوية وكان يقيم في حبرون ثم انتقل الى القدس وفتح بـلاد الشام وارمينيا وتوفي عام ٥٣٥ موسوية وقد عاش ١١٩ عام . (سليمان) هو ابن داؤد ولد عـام ٥٢٣ موسوية واستلم الامامية وهو ابن ١٢ عاماً ، بنى بيت المقدس ابتداء من عام ٥٣٩ وانتهى من بنائها عام ٥٤٦ وبنى ايضاً بيت ملكه في القدس وانتهى منه عام ٥٤٧ وتوفي في القدس عام ٥٧٥ موسوية وعاش ٥٢ عاماً

الفصل الخامس

(وفيه تأويل قصة عيسى صلوات الله عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما انتهى دور موسى كان آخر امـــام من دوره هو يحى عليهما السلام وقد أراد الله سبحانه وتعالى بعث [1] رسولاً خامساً وكان هو عيسى صلوات الله عليه ، وقد تقدم القول بذكر مريم في الفصل الخامس وهي ام عيسى من الناحية التربوية وأحد حجج الامام زكريا وكان قبلاً من حجج الامام عمران الذي كان قبل زكريا وقد سلمه اياه وضمه الامام

(يونس) ثم (عمران) ثم (زكريا) ثم (يحى) وهو يوحنا المعمدان بن زكريا ولد عام ١٧١٦ موسوية اي قبل ولادة عيسى لستة اشهر ، قتله هيرودوس ملك بني اسرائيل عام ١٧٤٦ اي بعد ولادة المسيح بثلاثين عاماً وكان هو آخر امام من دور موسى ويعتبر هو الذي سلم عيسى تعاليم النبوة المتوارثة . هؤلاء هم الائمة المستودعين ، اما الائمة المستقرين من ذرية اسماعيل بن ابرهيم فهم : عدنان، معد بن عدنان ، نذار بن معد ، مضر بن نزار ، الياس بن مضر ، مدركة بن الياس خزيمة بن مدركة وهو الامام المقيم لعيسى وأمّا يحى فهو الامام المتم .

(١) في نسخة (س) وردت (ابعاث)

زكريا الى حججه وهو المسمى بمريم لانه لم يرَ فيه القوة الكافية لاستلام الامامة فأقام زكريا اماماً وهو من غير دعوتـه ، والحق حجته المكنى بمريم به ، وان زكريا نصب له حجة ثانية وكان منهـا يحى الذي اقام الامر له لأن مربيه وهو امه من أهل دعوته ليكون الامر من بعده فيه ، ونريد الآن ان نخبر عن ميلاد عيسى عليه السلام في البـاطن الذي هو ميلاد الدعوة دون الميلاد الظاهر الذي حمل أهل الظاهر هـذا الميلاد عليه ولم يوجبوا له باطناً ولم يعرفوه .

وذلك ان زكريا لما قضى بالامر الى يحىَ واحب ايضاً ان تكون حجته من دعوته وأراد الله سبحانه ان يتم لعمران مـا رجاه وأمله وان يجعل النبوة في عقب دعوته بعد ان أجـاب دعوة زكريا عليه السلام ووهب له يحى كما قال في كتابه وجعل الامامـة له من بعده ثم أمد لاحق عمران الذي كنى عنه بمريم وهو ام عيسى في الباطن على الاصل الذي أقامه عمران له وكفله زكريا من اجله ولم يكن زكريا اقام يحى إلا كما رجا ان يكون الامر في عقبه [1] واهل دعوته واتصلت المادة من قبل الله عز وجل بذلك اللاحق المسمّى مريم من غير ان يعلم بذلك زكريا ويحى وان حجته المسمى مريم لا يزال في حده القديم من حدود اللواحق اذ لم يكن له من البيان ما يؤديه الى حـد الامامية وبقيَ في درجته واتصلت به الحدود العلوية من قبل الباري جل ذكره تبشره بما خصه الله به من الفضيلة والاصطفاء [2] على اللواحق ويأمرونه باعتقاد امامة زكريا والخضوع له لا ان يخرج عن طاعة امام الزمان وذلك قوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـاكِ وَطَهَّرَكِ

(١) في نسخة (هـ) وردت (اعقابه)

(٢) في نسخة (هـ) وردت (الاختفاء)

واصطفاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ »
يعني اللواحق .

« يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ » اي اجعلي دعوتك لامام زمانك .

« واسْجُدِي وارْكَعِي » اي تواضعي لحد اساسك .

« ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ »

يقول ذلك لمحمد (ﷺ) اي اطلعه على ذلك الامر الباطن ، ثم بشرته الملائكة بانه سيدعو رجلاً يستجيب له يعلو شأنه ويكون نبياً ناطقاً بشريعة من بعده فتكون النبوة من نسل دعوته وذلك قوله تعالى :

«إِذْ قَالَتِ ٱلمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ ٱلمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ »

فأخبره باسمه واسم امه في الظاهر ، ولو كانت امه هي المخاطبة كما يزعم اهل الظاهر لم يكن لذكرها ههنا معنى لأن الخطاب اليها يغني عن ذكر اسمها ، لأنه لو قيل لامرأة انك تلدين [1] غلاماً يسمّى فلان ويذكر اسمها اي ابن فلانة لاستحال الكلام عن معناه لان اخبارها انها تلده ويغني عن اخبارها انه ابنها لأن من ولدته فهي امه وهي عالمة بذلك وقوله « بِكَلِمَةٍ مِنْهُ » اخبار بانه سيكون نبيـاً وانبياء الله هم كلماته لانهم ينبئون عنه بامره لعباده ومن ذلك قيل القرآن كلام الله لأن الرسول لفظ به وبين للناس عن الله لفظـاً كما يشاهده من نفسه ومن غيره من البشر فقد شبه الله بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقوله

---

(١) في نسخة (س) وردت (تولدين)

« اسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ » اي انه يمسح ما ظهر وما بطن والمسح كشف الشيء ومنه يقال للعليل مسح الله ضرك اي كشفه عنك وازال عنك بأسه ولذلك مسح عيسى عمن استجاب له مـــا خالطهم من مرض الدين في ظاهر امرهم وباطنه ولذلـــك سميَ مسيحاً لأنه هو مسح من ذلك ايضاً ، وقوله وجيهاً في الدنيا والآخرة اي جازاه فيهما جميعاً اما في الدنيا فالنبوة والرسالة واما في الآخرة فالاتصـــال بالحدود العلوية (وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ) اي قربه من تلك الحدود (وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ) في حال التربية قبل البلوغ الى حدود المفاتحة [1] بكلام من بلغ ذلك (وَكَهْلًا) اي يفعل ذلك ايضاً بعد البلوغ فيؤدي من البيـــان في حال الطفولة ما يشبه ما تؤديه الاجنحة وبعد البلوغ ما يشبه ما تؤديه اللواحق ويوصف ذلك بجودة البيان والعلم والحكمة .

(قَالَ رَبِّي أَنَّى يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)

اي مباشرة امام الزمان باطلاق ذلك لي .

وفي آية اخرى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) وانا لا ابغي عليه فأفعل ذلك دون امره .

(قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)

يقول له ذلك الحد العلوي المخاطب له بذلك يقول : ليس كلما خلق الله عز وجل كما زعمت مما جرت به سنته في اكثر الأمور يعني خلق الدين من ان ذلك لا يكون الا عن امام وحجة بل الله عز وجل يجري ذلك على من يشاء .

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (الفاتحة) .

(إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ)

اي يعرفه بعد ذلك بامام الزمان فيزعن له (وَٱلْحِكْمَةَ) اي العلم الذي يختص به مثله من النطقاء (وَٱلتَّوْرَاةَ) يعني الظاهر (وَٱلإِنْجِيلَ) يعني الباطن .

(وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

اي يختصه ويعطيه بعد ذلك الى من استجاب لدعوة اسرائيل من دور ابراهيم (صلى الله عليه وسلم) الى وقته .

(إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)

يعني نفسه ومن يقيمه من بعده .

« إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ » .

يقول اقيم لكم من استجاب لي منكم وهم المؤمنون ومن ذلك كنى محمد رسول الله (صلعم) علياً بأبي تراب لما أقامه واخبر انه يكون ابو المؤمنين من بعده اي اماماً ، والماء مثله العلم فاذا خالطه التراب صار طيناً يقول أفيد بالعلم المستجيب [٢] لي منكم ممن يصلح ان يكون داعياً والطائر مثل الداعي فاذا صار الى هيئة ذلك نفخت فيه من روح الحياة وهو علم التأييد الذي يلقى الى الدعاة :

« فَيَكُونَ طَيْرًا » اي ارسله داعياً .

---

(٢) في نسخة (ه) وردت (المستجيب)

« بِإِذْنِ اللهِ » اي بما اذن الله لي ان افعله .

« وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ » .

اي أبصر بالحكمة من كان قد عميَ عنها والاكمه هو الاعمى ومن ذلك قوله تعالى في الكفار لما وصفهم فقال :

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَبْصِرُونَ » .

فالأبرص هو الذي خالطه الشك والضلال وغيره .

(وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ) .

يقول اعيد الكفار بدعوتي اليهم مؤمنين اذا استجابوا ، والكفر في الباطن الموت والميت في الباطن هو الكافر ، قال الله تعالى :

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)

وقال :

(وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ)

يقول افعل ذلك باذن الله عز وجل لا ان افعله من تلقاء نفسي .

(وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)

يقول اعلمكم من العلم ما تحيون به أرواحكم كما تحس أبدانكم بما تأكلون من الطعام كذلك نحي أرواحكم بالعلم والحكمة .

(وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)

اي ما يكون من ذلك عند اللواحق والدعاة ذخيرة لمن يستحقه من المستجيبين الذين يرقون الى درجـــات الفضل وهم بيوت لمن دونهم يأوون اليهم .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ)

يعني فيما انبأتكم به علامة مشهورة ان كنتم ممن يصدقون .

« وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ »

اي اصدق بالظاهر وآمر به ولا اقول بالباطن دونه .

(وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)

يقول اطلق من علم الباطن بعض ما كان محظوراً عليكم سماعه .

فبشر ذلك اللاحق بما يكون من امر عيسى عليه السلام واخبره بذلك اذ تعاظم ان يكون له دعوة من غير اطلاق امام الزمان ، وانه يوجد على مثل هذا الذي ذكره الله عز وجل باذنه كما فعل ذلك بآدم عليه السلام وذلك قوله :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

اخبر عز وجل انه ايده من قبل مؤمن مثله ثم ارقاه [١] من غير توسط احدٍ من البشر الى حد النبوة فلما اراد الله تعالى تمام ما بشر به ذلك اللاحق من امر عيسى امره باعتزال اهل الدعوة التي هو فيها اي دعوة زكريا وان يعتقد امامة امام الزمان ويعتزل لواحقه ويستتر فيهم وذلك قوله تعالى :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ)

يقول الله عز وجل ذلك للحد الذي يؤدي الى محمد (ﷺ) ان يذكر ذلك ويطلعه عليه من غيبه (مَرْيَمَ) اي ذلك اللاحق .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (ارماه)

(إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرقِيًا)

اي قصدت صاحب الزمان ونبذت لواحقه .

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا)

يقول حجبته عنهم وسترت امر ما تريده وانتظرت ما بشرت به

(فَأَرْسَلْنَا لَهَا رُوحَنَا)

يعني الروح الامين المتصل بالانبيـــاء من قبل الله عز وجل ومن قوله تعالى :

(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)

يعني على محمد (ﷺ) .

(فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا)

فتجلى الملك الى ذلك اللاحق يأمره عن الله عز وجل بان يأخذ على عيسى العهد فاستراب [1] ذلك اللاحق بهذا الأمر لأن ذلك لا يحـــل للمتصل به ان يسمعه لأن ذلك ليس من حده فقال :

(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًا)

(قَالَ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًا)

يقول ذلك الملك انه بأمر الله اتى به ليؤكد ذلك عنده لما استرابه فأعاد عليه ما قاله للذين بشروه به اولاً وذلك قوله :

(قَالَتْ أَنَّى يَكُونَ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًا)

وقد مضى شرح ذلك والغلام في التأويل هو المستحق للامامة .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (فسترأب)

(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ)

يقول لها الملك ان ذلك عن امر الله .

(هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا)

اي اني انشأتك بالتأييد بلا توسط أمام .

وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)

اي قضاه الله وحكم به فأيقن ذلك اللاحق بالأمر وعرف عيسى فدعاه فاستجاب له واخذ عليه العهد واقبل على تربيته بالعلم والحكمة وقد تقدم ذكر يحى في حين ذلك وبتربيته من قبل حجة زكريا له وخضوعه لعيسى عليه السلام لما رأى من بيانه وقوة التأييد فيه وكان ذلك في عصر زكريا عليه السلام كما ذكرنا .

وقبض زكريا وصار الامر الى يحى بعده وبلغ عيسى حد التأييد ورأى ذلك اللاحق ان من الواجب عليه ان يرقيه الى حد البلوغ وتعاظم ان يفعل ذلك من ذاته فلم يرَ إلا اظهار امره وقصد حجة من حجج يحى عليه السلام مخافة ان يهجم عليه بالامر فأسر اليه ما كان من امره واظهر له النعمة وذلك قوله تعالى :

(فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ)

والمخاض هو ما يكون حين الولادة وفي التأويل هو وقت اظهار المربي الى حد البلوغ ، والحمل في الباطن بمعنى التربية للأم والوضع اظهار المربي الى حد البلوغ ، فلما احس ذلك اللاحق المسمى بمريم من عيسى قوة التأييد لجأ الى لاحق من لواحق يحى امام زمانه واعلمه بأمره ليؤدي ذلك عنه الى يحى ويعتذر عنده له واظهر له الغمة من ذلك والحزن عليه وذلك قوله تعالى :

(قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)

فاطلع اللاحق يحى على ذلك واعلمه بامر ذلك اللاحق وانه لا يقول فيه إلا الحق مع مـا رأى من عيسى من التأييد وما أيقن فيه من القوة واطلعه على اتصال الحدود العلوية به وهو في حالة التربية وذلك مـــا جاء في الحديث انه قال رأيت على رأسه حمامة بيضاء وفيما انا انظر اليها غاصت في رأسه ودخلت فيه وغابت فعلم حينئذٍ ان الوحي تغشاه (١) فسلم عليه بالسلام لامره وارسل ذلك اللاحق الى اللاحق الذي جـــاء بالرسالة يخبره بتسليمه لذلك ورضاه به ونهاه عن الحزن على ذلك وامده بما معه من العلم والتأييد ليؤديه اليه وامره ان يكتم ذلك اللاحق بما كان من يحى وذلك قوله :

(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا)

اي من دونها في المرتبة .

(أَنْ لاَ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا) .

اي قد أمدك معي من العلم وأجراه لك .

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً) .

اي سلي عما امدك به متى امنحك اياه فتنالين منه ما تقر به عينيك واعلمي ان ذلك برضاه وقد سلم بما كان معه لك .

(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمـاً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيّاً)

---

(١) في نسخة (ﻫ) وردت (تعشاه)

يعني استر ذلك ولا تفاتح به أحداً من أهل الظاهر ففعل ثم امر عيسى باظهار نفسه الى يحى عليه السلام فأتاه وقرّ به يحى وسأله عيسى البلاغ وذلك ما جاء في الحديث انه أتاه وهو على بحيرة طبريا يعمد الناس فقال عمدني فقال له كيف اتولى ذلك وأنت سيدي ولا اصلح ان انزع خفيك[1] فقال له عيسى أما اليوم فأنت سيدي فعمدني فعمده يحى وامر ذلك اللاحق باظهار [2] امره ودعوته من غير ان يذكر ما جرى فيه من قبله اذ كان الله عز وجل لم يجعل امره اليه ففعل ذلك وهو قوله :

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ، يَا أُخْتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)

يقولون له لقد اتيت امراً منكراً عظيما

« يَا أُخْتَ هَرُونَ » وكان هرون احد اللواحق معه وله فضل فقالوا له فعلت هذا وأخوك هرون له من الفضل .

(وَمَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)

فمن أين فعلت هذا وما كان الامام والحجة اللذان انت منهما يفعلان مثله ولا يخرجان بالامر عن حده ولا يعملان ذلك الا بحسب ما جرت به السنة الالهية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) اي امر ذلك اللاحق عيسى ان يجيبهم وذلك اتصال المادة العلوية به وخضوع صاحب الزمان له ومعرفته بحقه وتسليمه لامره .

(قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً)

---

(١) في نسخة (ه) وردت (خوافيك)
(٢) وردت في نسخة (ه) (بظهيرة)

والمهد في الباطن حد التربية ، يقولون كيف نكلم من كان في حد التربية ، وذلك ان من كان في هذا الحد يقربه مربيه بما يفتح له من العلم ويقصيه تارة اذا خاف عليه من ان لا يحتمل ذلك ، كما يفعل ذلك من يحرك المهد بالطفل يجذبه مرة اليه ويبعده اخرى عن نفسه فنطق لهم عيسى بالنبوة ودعاهم الى نفسه بقوله :

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللهِ أَتَانِي ٱلْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)

يقول اعطاني الامامة والنبوة (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً) يقول اعطاني البركة وهي التأييد (أَيْنَ مَا كُنْتُ) اي حيث كنت من حدود الدعوة .

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) .

يعني اقامة الدعوة ونصب الاساس وتأليف الشريعة (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) اي بذلك اللاحق المسمى مريم .

(وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا) .

اي لا اجبر على من هو دوني لما اتاني الله من الفضل [1] .

(وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ) يعني التأييد .

(يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) .

اي لا يفارقني التأييد في حالتي حيث كنت قال الله عز وجل .

(ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) .

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (الفعل)

نزه نفسه عز وجل عن ان يكون له ولد كما نسب اليه الكافرون به والجاهلون تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وقام عيسى بالرسالة وسلم يحى لامره واتبعه وآمن به ودعى قومه فكذبوه الا قليل منهم فأعرض عنهم واعتزلهم وانتصر بمن آمن به وذلك قوله تعالى :

(فَلَمَّا أَحسَّ مِنْهُمُ ٱلكُفْرُ قَالَ مَنِ ٱلنَّصَارَى إِلَى ٱللهِ قَالَ ٱلْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَأَشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون) .

سألوه ان يشهد لهم بما بذلوه من انفسهم .

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ).

سألوه ان يكونوا مع الائمة في زمرتهم لاتباعهم اياهم فاتبعه وآمن به الحواريون وهم لواحقه وقيل في الخبر انهم كانوا صيادين وذلك لانهم كانوا يصطادون للدعوة من نفر عن الحق وقيل بل كانوا قصارين [1] وقيل صباغين وكل ذلك معناه تحويلهم الناس عن الضلال الى الهداية وعن الكفر الى الايمان كما يحيل الصباغون والقصارون الثياب والامتعة من لون الى لون ، وانما قال ذلك فيهم من ضربه مثلا لهم فأخذته العامة على ظاهر القول فيه ونسبوهم في الظاهر اليه .

واما قوله عز وجل .

(إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

وذلك انهم سألوه ان يأتي لاحدهم من المادة مثل الذي اتاه فأمرهم ان

---

(١) في نسخة (س) وردت (القاصرين) .

يتقوا الله ويأخذوا عمن نصبه لهم .

(قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمُ ان قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ)

يعنون انه اذا اتاهم الامر من الحدود العلوية بلا واسطة[١] علموا صدق ما اتاهم به .

(قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ ، قَالَ ٱللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لاَ أُعَذِّبُهُ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلعَالَمِينَ)

فاتصل ذلك بهم وهو قوله :

(وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

وقيل ان ذلك هو ما ظهر من صورة المسيح عندهم بعد ان فارقهم مراراً وافادته اياهم بما كانوا يحتاجونه في قلوبهم ولم يكن لاحد من النطقاء ذلك قبله ولا بعده ، فآمن به الحواريون وكفر به غيرهم وقالوا :

(هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) فلما كذبوه واعرضوا عما جاءهم به امره سبحانه بالاعراض عنهم وذلك قوله تعالى :

(إِذْ قَالَ ٱللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ) .

يعني انقلك من حد البلاغ الى حد الامساك عنهم .

---

(١) في نسخة (س) وردت (وساطت)

(وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) .

يقول : اقربك من حد التأييد مني وادنيك بطرح وسائط التأييد فلا يكون بيني وبينك إلا بعضها .

(وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) .

يعني لما كفروا بما جئتهم به من قبلي ولا اقربك منهم واحرمهم فضلك واقطع ما بينك وبينهم عقوبة لهم ورفعة لك .

« وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ » اي الذين آمنوا بك .

« فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » .

يعني الى آخر قائم بالأمر وهو صاحب القيامة الذي يجمع الله به العباد فيستوون عنده في الثواب والعقاب يثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين .

« ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » .

يعني الرجوع الى الدار الآخرة .

« فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا » .

وهو ما كانوا فيه من الشك والحيرة والضلال « وَٱلْآخِرَةِ » ما يصيرون اليه فيها مما تواعدهم الله به .

« وَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ » .

اي اجر ما عملوا في الدنيا من اقرارهم بالتوحيد وايمانهم بالرسل وتصديقهم الائمة .

« وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ » يعني الذين يضعون الامر في غير موضعه .

« ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَاتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ » .

يقول ذلك لمحمد (صلعم) يخبره بما قصّ عليه من انباء ما قد مضى من قبله من الرسل والذكر الحكيم هو علم تأويل ذلك ومـــا ضربه من الامثال ، فهذا جملة القول في قصة عيسى عليه السلام وما كان من اصل شريعته ، فالصليب الذي أمر من اتبعه ان يأخذه معه قد تقدم القول فيه وبيان تأويله فيما تقدم ما اغنى ذلك عن اعادته (١) .

---

(١) بعد ان انتقل الناطق (الخامس) عيسى المسيح آ لت الوصية الى أساسه شمعون الصفـا وكان ابن خالته وهو سمعان بن يونان وقد لقب بالصفا لصفاء نفسه واسمه ايضاً بطرس الرسول وهو احد حواري عيسى اي أحد لواحقه ، ثم آ ل الامر بعده الى سبعة ائمة مستودعين وهم مرقص ، وفيلبس، واسطفانس ، ثم مروة الراهب وبعده حرقيل ، وبعده ابن أخيه ارميا ثم جرجس وهو بحيرا الراهب الذي اتصل فيه الناطق السادس محمد وأخذ منه الودائع والوثائقالتي حفظت من عهد موسى ، وبموته عادت النبوة والرسالة الى أولاد اسماعيل بن ابراهيم والامامةايضاً وهي التي بشروا فيها وسميتالمستقرة وان الائمةمن ولد اسماعيل في هذا الدور قد جاء ترتيبهم بشجرة نسب الائمة كما يلي : كنانة بن خزيمة النضر بن كنانة ، مالك بن كنانة ، فهر بن مالك ، غالب بن فهر، لؤي بن غالب ، كعب بن لؤي، مرة بن لؤي ، هاشم بن مرة ، عمران بن هاشم (ابو طالب) واما عبد المطلب فاسمه (شيبة الحمد) اما عمران فهو الامام المقيم للناطق السادس (محمد) .

الفصل السادس

(وفيه تأويل قصة « محمد » « صلعم »)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لمّا أردنا بسط هذا الكتاب الذي هو كتاب « اساس التأويل » وان نشرح فيه ما بسطناه في كتاب « دعائم الاسلام » من ذكر التوحيد ومعرفة الاسلام والايمان والنبوة والامامة والعلم والعلماء والحلال والحرام والقضايا والاحكام الذي ينبغي ان يبتديء فيه من استجاب لدعوة ولي الزمان اولاً ليصح عنده ويثبت ما تعبد الله به من ظاهر امره ويعمل به ويأخذ ذلك من جهة امامه ، وقد ذكرنا ان ذلك مثل مـا ينبغي ان يبتديء بـه المولود في الظاهر من اصلاح ظاهر جسده بالتمريخ والتعديل والشد بالعصائب وقطع سرته مما اتصل به مما ليس منـه وهي المشيمة التي كانت عليه وخرج منها وهي مثل الظاهر الذي يعتقده المستجيب من غير ولي امره وانه اذا أصلح ظاهره وعدله ممـا عليه من التشويه واضطراب الخلقة الذي يلحقه ان ترك ولم يفعل به ذلك ، ثم يقبل عليه بالرضاع ، وانا لمـا بسطنا كتاب « دعائم الاسلام » الذي مثله مثل اصلاح ظاهر المولود في حولي الرضاعة وقدرناه على تقدير مـا يسمعه

المؤمنون والمستجيبون مما يقومون به في حولين كاملين ، ثم بسطنا هذا الكتاب لنشرح فيه باطن ما في كتاب (الدعـائم) ليكون المستجيب يعلم حقائق ظاهر ما في كتاب (الدعائم) من الأعمال المفروضة ويعلم حقائق العلم والأحكام من قبل الأمام فيصلح ظاهره ثم يتهيأ بما يسمع وتتقدم عنده المعرفة بما في كتاب (الرضاع في الباطن) الى قبول مما تقدمت معرفته عنده من الظاهر مما هو في حد هذا الكتاب فيعي ذلك علماً واعتقاداً ويعلم حقيقة ذلك العلم الظاهر الذي فرض عليه والاحكام التي تعبد بها وواظب عليها ويقوم بما تعبد من اقامتها ثم يرقى بعد ذلك في حدود العلم والحكمة بقدر قبوله واستحقاقه حداً بعد حد ودرجة بعد درجة .

فلما صرنا في هذا الكتاب الى ذكر الامامة التي بسطنا في كتاب (الدعائم) باباً في ذكرها اذا كانت هي قطب الدين الذي عليه يدور ولا يجزي العمل ولا يقبل إلا بعد معرفته امام الزمان ، وجب ان نذكر في هذا الكتاب بيانها وتأويلها فاحتجنا ان نبتديء بذكر ذلك من لدن آدم فكان ابتداءنا فيه وذكرنا قصته ودور كل ناطق بعده وما جرى فيه وما قصه [1] الله سبحانه وتعالى على محمد (ﷺ) من اخبارهم في كتابه الذي انزله عليه وباطن ذلك ومن ذكره الله عز وجل من الائمة الذين كانوا في أدوار الانبياء ومن اختصه الله سبحانه وتعالى منهم بالنبوة والرسالة الى اهل زمانه اذا تغيرت وفسدت احوالهم بشريعة الناطق الذي هو في دوره وبشريعته ائمة سبعة ينتهي الفضل الى السابع منهم ويسمى السادس منهم متماً اي يتم البيان ولا يكون منه بيان ثم يأتي السابع بالبيان وتظهر فيه قوة التأييد فان تهيأ لكي يكون رسولا كان وان تم دور

(١) في نسخة (ه) وردت (وما خصه)

الناطق قبله كان ناطقاً وان لم يتهيأ ذلـك دار بعده اسبوع بعد اسبوع حتى يتهيأ ذلك ، وان الله عز وجل ختم الرسالة والنبوة بمحمد (ﷺ) وأبقى الامامة في عقبه وجعلها تجري كذلك اسابيع يكون السادس منهم متماً مقصوراً على البيان لحجته الذي يكون سابع الائمـــة والستة قبله يبينون بيان الناطق ويقوم السابع بالبيان والبرهان لما يظهر فيه قوة التأييد ويجرون كذلك في دور محمد (صلعم) كما جرى لكل ناطق في دوره الا انه لا نبي ولا رسول منهم لأن الله سبحانه وتعالى ختم النبوة والرسالة بمحمد(صلعم) تفضيلا له عمن ان ينسخ شريعته بشريعة او رسالة برسول ، وقد جمع الله سبحانه به الحق وبين فيه الفرائض [1] والاحكام والحلال والحرام وأقره على ما جاء به فليس لأحد من ائمة دوره ان يحيل ذلك ولا يغيره ولا ينقص شيئاً منه ولا يبدله ولا يأتي بخلافه وقد كان فيما قبل من ائمة ادوار النطقاء يفعلون ذلك لما يأتيهم به الوحي عن الله عز وجل فارتفع الوحي بارتفاع محمد (صلعم) وانقطعت الرسالة وبقيت الأمامة بحالها على ما جرت به سنة الله عز وجل فيها ومن ذلك قول **(جعفر بن محمد)** صلوات الله عليه « لنا من الطاعة مـا كان لرسول الله (صلعم) الا أننا لا نحلل ولا نحرم الا ما احله وحرمه » فلما صار الأمر الى متم آخر في دور عيسى عليه السلام وأراد الله عز وجل نسخ شريعته بشريعة محمد (صلعم) وان يبعث نبياً ناطقاً من بعد ان كان قد بشر بـه قومه كما أخبر الله عز وجل في كتابه فقال جل ثناؤه :

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيـلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (للعرائض)

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)

وكذلك فان كل ناطق يبشر بالناطق الـــذي يأتي من بعده وينذر قومه من ائمة دوره وكذلك عيسى عليـــه السلام وائمة دوره بشروا برسول الله (١) محمد (ﷺ) وذلك فيما يقرأه اهل التوراة والانجيل في توراتهم واناجيلهم على ما قرأوا به بعد ان حرفوا وغيروا

---

(١) يظهر من مقابلة ما هو مدون في هذا الكتاب على ما ورد في التوراة والانجيل، إن هنالك اختلافاً في اللفظ وبعض الاحيان في الجمل واعتقد ان سبب ذلك النقل او ان النعمان قد أخذ الآيات الانجيلية عن نسخة مكتوبة بغير اللغة العربية وترجمها فجاءت كما هي وظهر الاختلاف فمثلا : كلمة (بارقليط) في الانجيل تدل على (محمد) وقد ترجمها مترجم انجيل يوحنا بكلمة « المعزي » وترجمهـــا مترجم انجيل متى باسم (ايليا) هذا وان الجملة التي وردت عن لسان داؤد وهي « اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس انه بشر » فلم نعثر عليها في كتب أخرى وهي ثابتة اصلا لان النعمان رآها ولو لم يكن رآها لما كتبها . وها نحن نورد الآيات كما وردت :

فأذلتها (ساراي) اي هاجر فهربت من وجهها فوجدها ملاك على عين المـــاء في البرية وهي العين التي في طريق اشور ، فقال يا هاجر جارية (ساراي) من اين اتيت وإلى اين تذهبين ؟ فقـــالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقاله لها ملاك الرب إرجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيراً اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب ها انت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه اسمعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وامام جميع اخوته يسكن . وجاء في الاصحاح ١٧ من ١٨ — ٢١ —

وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك ، فقال الله بـــل ساره امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، واقيم عهدي معه عهداً ابدياً لنسله من بعده وهي كلمة يونانية ومعناها (الروح القدس) او (المعزي) او (المحامي) وقـــد وردت بأنجيل يوحنا ثلاث مرات في الاصحاح ١٤ آية وفي الاصحاح (١٦) آية (٧) ومعنى الآيات التي وردت فيها هكذا : (وسأصلي الى الأب لـكي يهبكم معزيا آخر ١٦ و ١٧ و ٢٦ لكي يبقى معكم الى الابد انـــه روح الحق ، والمعزي اي روح القدس Pareikletos الذي سيرسله الاب باسمه سوف يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم . (ومع ذلك فالحق اقول لـكم : من الخير ان اذهب فالمعزي لن يفد عليكم اما اذا ذهب فسأرسله اليكم) .

كما قال الله عز وجل وكذلك بشر محمد بالقائم من بعده صلوات الله عليهما وبالمهدي من قبله وانذر من التكذيب به وانكاره ومن ذلك قوله تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)

وسنذكر امر القائم والمهدي وغيرهما من الائمة صلوات الله عليهم انشاء الله .

ولما كان قد انتهى عصر متم دور عيسى صلوات الله عليه ولم يتهيأ ان يكون منه السابع الذي هو المنتظر وحضرت نقلة المتم قبل ذلك وقد يكون ذلك في بعض الادوار وهي الفترة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فكانت آخر اسبوع من دور عيسى قبل ظهور محمد صلوات الله عليهما وكانت لا تخلو الارض من حجة لله فيها لان المتم حين لم يتهيأ ظهور السابع في عصره كان المؤمنون متمسكون بهدي الماضي متربصين بانفسهم ينتظرون قيام السابع اذ قد آن قيامه وحضر وقته ومن ذلك تأويل باطن قوله عز وجل .

(وَالَّذِينَ يَقُومُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ)

يقول اذا فارق العالم المتم قبل ظهور السابع تمسك اللواحق بولاية الاصول الاربعة والفروع العشرة وقد ذكرناهم وذلك ان يعتقدوا وحدة الباري وما يتصل عن الواسطة بينه وبين الرسول ويعتقدون كذلك الاقرار بالرسول واساسه والامام وحجته الذين هم الوسائط بينه وبين العباد والسبعة الائمة والسبعة النطقاء ويعتقدون علم ذلك وتصديقه

ويتربصون الى ان يقوم السابع وهو الاجــل لتربصهم وذلك قوله تعالى :

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ)

يعني من اظهار الحكمة والانضمام الى صاحب الزمان كما يفعل ذلك النساء المتوفي عنهن ازواجهن اذا حلّ اجلهن وخرجن من العدة الى ان يظهرن انفسهن الى الخطاب ويصرن الى الازواج فتكون الامة في الفترة غير منفكة عن الطاعة وذلك قول الله عز وجل .

(لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ)

يعنى بيان صاحب الزمان .

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ)

هم الذين ستروا امر الامام بعد ان عرفوه (وٱلْمُشْرِكِينَ) الـذين اشركوا بولاية غيره ، فلما ابتعث الله محمداً اتصل به لواحق المتم من دور عيسى عليه السلام وكشفوا له ما عندهم وسلموا اليه وسنذكرهم بعد الذي شرطنا ذكره من بشارة الرسل بــه ومن اقرّ به ومن كذبه من اليهود والنصارى مما هو في الكتب التي في ايديهم مما اقروا بـــه ويذكرون آية من التوراة والانجيل هذا عدا عما صرفوه منها مما فيه ذكره (صلعم)

ولما دعى سيدنا ابراهيم (١) لاسماعيل قال له :

(قَدْ سَمِعْتُ دُعَاءَكَ وَأَجَبْتُهُ وَبَارَكْتُهُ وَأَكْبَرْتُهُ جِداً جِداً وَسَيَلِدُ مَلِكاً وَأَجْعَلُ لَهُ إِثْنَى عَشَرَ عَظِيماً وَأَجعلُهُ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ)

اي محمد والعظماء الاثنى عشر حدوده وهم النقباء في كل عصر ، وفي هذا السفر ان هاجر لما هربت من ساره تراءى لها ملك وقال لها .

« يَا هَاجَرَ أَمَةُ سَارَةٍ ارْجِعِي إِلَى سَيِّدَتِكِ واخْضَعِي لَهَا فإِنَّ ٱللهَ سَيُكْثِرُ ذُرِّيَتَكِ وَذَرْعَكِ حَتَّى لاَ يُحْصَى كَثْرَةً لَهَا وهَا أَنْتِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وتُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ خُشُوعَكِ وَتَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ يَـدِ ٱلْجَمِيعِ وأَيْدِي الْجَمِيعِ مَبْسُوطَةً إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ »

وذلك في الرسول الذي يأتي من بعد ان كانت النبوة والملك في ولد

(إِسْحَقَ مِنْ قَبْلِهِ ، ثُمَّ حَوَّلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلمُلْكَ فِي وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ كَمَا وَعَدَ بِذَلِكَ)

ومما هو في قوله

« جَاءَ ٱللهُ مِنْ سِينَـاءَ وأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ وَاسْتَعْلَى مِنْ جِبَالِ فَارَانَ وسَيَأْتِي مِنْ رَبَوَاتِ ٱلقُدْسِ في يَمِينِهِ نَارٌ هِيَ شَرِيعَةٌ لَهُ »

فقالوا: عنى بمجيئه من سيناء ارساله موسى اذ نزل التوراة عليه في طور سيناء ، واشراقه من ساعير ارساله عيسى منها وكان يسكن بقرية تسمى ناصر وهي من أرض الجليل وكذلك استعلاءه من جبال فاران ارساله محمد وفاران هي مكة باللسان الذي انزل الله بـــه التوراة ، وبذلك نذكر ونعرف ان في جبالها نبأ الله محمد وأنزل كتابـه عليه واتيانه من ربوات القدس ظهور قائم القيامة والنار التي هي في يمينه هي اظهار باطن الشريعة وتأويلها وسنذكر قصته في موضعها انشاء الله تعالى « قال لموسى اني اقيم

لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم مثلك اجعل كلامي عليه فهو لا يتكلم الا بأمري » واخوة بني اسرائيل هم ولد اسماعيل والنبي محمد منهم بشرهم موسى بأمر الله به ، ومما ذكروا من ذلك ان في الانجيل قول المسيح للحواريين « اني انا ذاهب وسيأتي البارقليط روح القدس الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما هو كما يقال انه يقول وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لي ولانكم معي من قبل الناس وكل شيء اعده الله لكم بخيركم » وفي حكاية يوحنا عن المسيح انه قال « البارقليط لا يجيئكم ما لم اذهب انا فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه يسبح به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » وفي حكاية اخرى : « ان البارقليط روح الحق الذي يرسله ابي يسميه فهو يعلمكم كل شيء وقال: « اني سائل ابي ان يبعث اليكم بارقليط آخر يكون معكم الى الأبد وهو يعلمكم كل شيء » يعني بقوله يكون معكم الى الأبد اي شريعته تبقى الى الأبد [1] ، وفي حكاية اخرى « ان البشر ذاهب والبارقليط من بعده يجيء لكم بالاسرار ويقر لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فاني جئتكم بالامثال وهو يجيئكم بالتأويل » وفيه انه لما حبس يحى بن زكريا ليقتله بعث تلاميذه الى المسيح وقال لهم قولوا له انت الآتي او تتوقع غيرك فاخبروه بذلك فقال لهم المسيح « الحق اليقين اقول لكم انه لم يقم

---

(١) واما اسماعيل فقد سمحت لك فيه ها انا أباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد واجعله امة كبيرة .

وجاء في الاصحاح ٢١ — من ١٤ .

فبكر ابراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء واعطاها لهاجر واضعاً اياهما على كتفيها والولد وصرفها . فمضت وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس لانها قالت لأنظر موت الولد ، فجلست مقابله

انسان افضل من يحى بن زكريا وان التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحى فأما الانسان فان شئتم فأقبلوا ان البارقليط مزمع ان يأتي من بعدي فمن كانت له اذنان سامعتان فليسمع ما اقول حقاً » ومما ذكروا انه في الزبور قوله « سبحوا الرب تسبيحاً جديداً سبحوا الذي هيكله الصالحون ليفرح اسرائيل بخالقه وبيوت صهيون من اجل ان الله اصطفى له امة واعطاها النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحون على مضاجعهم ويكبرون له باصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الامم الذين لا يعبدونه ويوثقون ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال » فلم يكن ذلك الا لمحمد وامته ، وفي مزمور آخر « انه يجوز من البحر الى البحر من لدن الانهار الى مقطع الارض وتجري اهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلحس اعداءه التراب من تحت قدميه ويأتيه الملوك بالقرابين وتسجد وتدين له الامم بالطاعة والانقياد لانه يخلص المطهد البائس ممن هو اقوى منه وينقذ الصعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين وانه يعطي من ذهب بلاد ويصلي عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم ذكره مع ذكر الله تعالى الى الابد » ومنه من قول داؤد عليه السلام « اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس انه بشر » ومما ذكروا انه من كلام اشعيا قوله عن الله عز وجل « عبدي خيرتي

ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن البرية ، وكان ينمو رامي القوس ، وسكن في برية فاران وأخذت له امه زوجة من أرض مصر . .

الذي اشرق عليـــه نفسي افيض عليه روحي فيظهر في الامم عدلي ويوصيها بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحي القلوب القلقة وما اعطيته لاعطيه غيره احمد بحمد الله حمداً جديداً يأتي من اقصى الارض تفزع اليه اكابرها وسكانها يهللون لله تعالى على كل شرف ويكبرونه على كل راية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهواء ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى ولا يخضم حتى تثبت في الأرض حجته وينقطع به العذر الى توراته تنقاد الانس والجن الذي به مثل التوراة » ومن قوله : « انا عظمتك بالحق وايدتك وجعلتك نور الأمم وعهداً للشعوب لتفتح عين العميان وتنقذ الأسارى من الظلمات اثر سلطانه على كنفه علامة النبوة » ومن قوله : « قيل لي قم فانظر ما ترى فاخبر به قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمـــار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها المنحوتة » عنى بصاحب الحمار عيسى وعنى بصاحب الجمل محمد وسقوط بابل واصنامها ذهاب ملك الفرس على يديه ، ومن قوله : « انـــه سيملأ البادية والمدن قصوراً بنوا القيذار يسبحون ومن رؤوس الجبال ينادون الذين يجعلون لله الكرامة ويثبتون تسبيحه في البر والبحر يرفع لهم علم لجميع الامم من

وجاء في التثنية اصحاح ١٨ من ١٥

قول موسى لبني اسرائيل : يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطيك من اخوتك مثلي له تسمعون ، حسب كل ما طلبت من إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة ايضاً لئلا اموت ، قال لي الرب قد احسنوا فيما تكلموا . اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به ، ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي ان اطالبه .

بعيد في أقاصي الارض فاذا هم سراعاً يأتون ؛ وبنوا قيذار هم من ولد اسماعيل والعلم المرفوع هو رسول الله محمد (صلعم) .

ومن كلام حيقون في زمن دانيال « جاء الله من اليمن والقدس ومن جبال فاران » يعني مكة وان الله سبحانه وتعالى بعث محمد (صلعم) منها وامتلأت الارض من تحميد احمد وتقديسه وتلك الارض بيمينه ورقاب الامم تخضع له تضيء لنوره الارض وتحمله خيله في البحر ، ومن كلامه ايضاً : وتنزع في قسيك وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً » وهذا افصاح باسمه (صلعم) وهذا ما قروا به واثبتوه غير ما صرفوه وبدلوه كما اخبر الله عنهم بذلك جل ذكره وظاهر من اعلام الرسول له باطن وفيه دليل وممن ذكر انه خبر بالنبوة قبل ان يبعث (صلعم) في زمن الفترة الذي قدمنا ذكره نفر من نصارى الحبشة رأوه وقد حملته ظهيرة وهي التي ارضعته من البادية لترده الى امه بمكة فرأوا فيه علامة النبوة مما اخبروا به فهموا ان يأخذوه من المرأة والذهاب به الى بلدهم فلم تخلصه منهم الا بعد جهد وبعد ان غلبهم عليه من كان معها من قومها ، ومن ذلك قصته مع بحيرا الراهب وكان فيما بين مكة والشام وقد خرج به عمه ابو طالب الى الشام فنزل تحت شجرة فنظر بحيرا من صومعته الى سحابة كالغمامة ظللته من الشمس والى فرع الشجرة وقد اشتبكت عليه فأظلته من الشمس فعلم ان له شأناً فهيأ طعاماً ثم احضر القوم اليه واحضره معهم فلما اكلوا سأل عنه

وجاء في التثنية اصحاح ٣٣ قول موسى :

وهذه هي البركة التي بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سيناء واشرق من ساعد وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .

فقالوا عنه فقالوا « محمد بن عبدالله » قال ومن هو قالوا مع عمه قال وابن ابوه قالوا مات وماتت امه وكفله جده ثم مات وكفله عمه وكان ذلك مما يعرفه من علاماته ، فخلا به وقال له يا بني اسألك باللات والعزى ان لا تكتم ما اسألك عنه فقال له محمد ما اللات والعزى على حق وما من شيء ابغض اليّ منها ،فزاد ذلك في يقين بحيرا فقال له اسألك بالله قال قد سألتني بعظيم فسأله عن اشياء من احواله فأخبره بما عنده من دلائله فخلا بأبي طالب وقال له احفظ ابن اخيك هذا من اليهود ولا تظهرهم عليه فانهم اعداءه واعداء امثاله من قبله فاحذرهم عليه وكان يرجو ان يبلغ زمانه فمات من قبل ذلك ومن ان خديجة بنت خويلد كانت ذات مال وكانت تتجر فيه وتضع البضاعة من الرجال فلما بلغ رسول الله (صلعم) مبلغ الرجال وانتهى اليها ما نشأ عليه من الفضائل والطهارة والصدق والامانة ارسلت اليه مالاً وبضاعة الى الشام وارسلت معه غلاماً لها يخدمه فجاءها بربح كثير واخبرها الغلام انه كان يرى اذا اشتد الحر طائرين عظيمين فوق رأسه يظللانه واخبرها انه نزل يوماً فنام تحت شجرة وبقربها راهب في صومعة فلما رآه نزل اليه فرآه نائماً فسأل الغلام عنه فأخبره فقال له الراهب انـه لم ينم تحت هذه الشجرة قط إلا نبي وكانت خديجة قد ترملت من ابي هالة زوجهـا وكان ورقة بن نوفل ابن عمها قد خطبها وكان يختلف اليها وهو على دين النصرانية فأخبرته بمـا

(انجيل يوحنا) اصحاح ١٤ (١٥ و٢٤ و٢٥) .

قول المسيح لرسله : (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وانا اطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الابد » وقوله : الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي ، والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للأب الذي ارسلني ، بهذا كلمتكم وانا عندكم . وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب الاب باسمي فهو يكلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم .

أخبرها بـه الغلام فقال والله لأرجو ان يكون نبي هذه الامة لان وقت ظهوره قد حان ونحن نعلم ذلك وانا لنجد صنعته فيه فأرسلت اليه خديجة رحمة الله عليها فعرضت عليه نفسها لما علمت فيه من الفضل فتزوجهـا وكان ورقة بن نوفل ينتظر نبوته ويسأل خديجة عن احواله فتخبره فيقول: هو والله نبي هذه الأمة وله في ذلك اشعار كثيرة معروفة ومات قبل ان يبعث محمد (ﷺ) بالرسالة وخشي امره بذلك ومشى اليه اهل العلم من أهـل الباقين في آخر دور عيسى عليه السلام واتصل بالمتخلف منهم وأفضوا اليه بما عندهم ثم اكرمه الله عز وجل بالنبوة وابتعثه رسولا وذلك قوله جل من قائل.

« هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »

فالأميون هم أهل الحقيقة من المؤمنين وقيل لهم أميون لانهم ينسبون الى حجة ناطق الزمان الذي اليه امر الدعوة الباطنة وهو في الباطن امهم والناطق ابوهم وكذلك ينسبون مـا تسافلت الحدود اوعلت فالحد الاسفل بمنزلة الأم والاعلى بمنزلة الاب والمستجيبون لهم بمنزلة الأولاد فابتعثه عز

وجاء في الاصحاح ١٥ – ٢٦ و ٢٧ .

قوله عليه السلام « ومني جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لانكم معي من الابتداء .

وجـل الى من لحقه من آخر دور عيسى عليه السلام وهم الأميون الذين ذكرهم والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم المشركون وابتعثه رسولا الى كافة العالمين وذلك قوله تعالى :

« ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »

واما ما كان قبله من البنين انما ارسلوا الى امم مسلمين وذكر الله عز وجل في كتابه ذلك ، وارسل الله محمداً الى كافة البشر وذلك قوله :

« قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً »

وقول رسول الله (ﷺ) « بعثت الى الاحمر والاسود » وجعـله الله عز وجل حجة على جميع خلقه اذ ختم بـه النبوة ولم يجعل نبياً بعده فالاميون ههنا هم المؤمنون وقت الفترة من اجل انتسابهم الى ناطق زمانهم من حجة حجته ومن ذلك قوله الله عز وجل .

« ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ »

وهو في بعض القراءة اب لهم وازواجه في البـاطن حججه فأولى الاولياء الاب ثم دونـه الابن ثم الاخ والزوجة لا تكون الا من جهة

وجاء في الاصحاح ١٦ ـ ٦ ـ ١١ ـ ٦ : قوله عليه السلام « لكن لاني قلت لكم هذا قـد ملأ الحزن قلوبكم ، لكنني أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لأنه أن لم انطلق لا يأتيكم المعزي ولكن أن ذهب ارسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة امـا على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي ، واما برٌ فلأني ذاهب الى أبي ولا تروني ايضاً ، واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » . وقوله ايضاً : « ان لي امور كثيرة ايضاً لا اقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن ، واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . كل ما للأب هو لي لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم .

زوجها فتكون ام أولادها الا ما خصت مريم وقد مضت قصتهـــا ، والاميون في لغة العرب التي نزل القرآن بها هم الذين لا يقرأون الكتاب ولا يكتبون ، وكذلك من يكون في الفترة من المؤمنين وعلى ذلك كانوا في الفترة في آخر دور المسيح الى ان بعث محمد (صلعم) لا يفاتحهم احـد بشيء من علم الامام الذي قبله وكذلك كان هو عليه السلام حتى اختصه الله عز وجل بالنبوة ومن ذلك قوله تعالى :

« ٱلنَّبِيُّ ٱلأُمِّيِّ »

وقوله :

« وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لأَرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلعِلْمَ »

فاليمين مثل على حقيقة امام الزمان ، يقول ما كنت تقيم اماماً ولا تنصب اساساً ولا تؤلف شريعة حتى خصك الله بذلـــك وانت امي لا تعلم عـــلم ذلك ولو كنت تعلمه لارتاب بذلك المنطلون وقالو علم بذلك فادعاه وذلك من المعجزات التي يعجز عنها البشر ولا يطيقونهـــا الا بتأييد الباري جل ذكره ويثبت بهذه الآيات ان محمداً كان مبعوثاً من قوم كان حدهم وحده ما وصفناه ثم رقاهم واعلاهم وذلك لمـــا اراد الله عز

وجاء في إنجيل متى الاصحاح ١١ من ١١ ــ ١٥ .

« الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنـــا المعمدان ، ولكن الاصغر في ملكوت السموات اعظم منه، ومن ايام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه لان جميع الانبياء والناموس الى يوحنا تناسلوا ، وإن أردتم ان تقتلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي . من له اذنان للسمع فليسمع »

وجل نقل النبوة من ولد اسماعيل عليهما السلام في الفترة لئـلا يمتحن من صار الامر اليه بدفعه الى من ضعف والله عز وجل عمـــل ذلك رأفة منه بخلقه ورفقاً بعباده وكان الذي استخلفه متم عيسى عليه السلام كما ذكرنا قد اتصل برسول الله (صلعم) لمـا انتهى امره وأوقفه على صنعته ونعته واطلعه على امره وأخذ ميثاقه وادى اليه هو ولواحق المتم الذي استخلفهم واسبابه من العرب والعجم وكان ذلك المستخلف اعجمياً فلما اختص الله تعـالى محمداً بالرسالة وكرمه بالنبوة ودعى قومه وكذبه منهم من كذبه وقالوا انما علم محمد هذا الذي يدعونا اليه الأعجمي الذي كان يغشاه ويتصل به ومن ذلك قول الله تعالى :

« وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ »

وقوله :

« وَلَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ »

وقضت سنة الله عز وجـل في جميـع من ارسله من رسله ان يكون الرسول الناطق يقوم بظاهر الشريعة والتنزيـــل ويقيم اساساً من اقرب الناس اليهفمن استجاب لدعوتهوامتحنه ورضي عنه للقيام بالباطن والتأويل

وجاء في مزمور ـ ٧٢ ـ لسيدنا داؤد :

اللهم اعط احكامك للملك وبرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ومساكنك بالحق ، تجعل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر يقضي لمساكين الشعب ، يخلص بين البائسين ، ويسحق المظالم يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر دور تـــدور ، ينزل مثل المطر على الجزائر ومثل الغيوث الزارفة على الأرض ، يشرق في ايامـــه الصديق وكثرة السلام إلى ان يصحق القمر ، ويحلك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى اقاص الارض، امامه تجثوا اهل البرية واعداؤه يلحسوا التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة ، شبا وسبا يقدمون هدية ، ويسجد له كل الملوك ، كل الامم تتعبد له ، لانه ينجي

وأقام رسول الله (صلعم) ظاهر الشريعة ونصب لها حدوداً اقامهم للقيام بها وبما أنزل الله عز وجل عليه وقوله تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ »

فأبان لبعض من اقامه ونصبه بعض البيـان من قبل ان يقيم أساسه واطلعهم على انه يقيمه وامتد لذلك طمع بعضهم وكان علي صلوت الله عليه احدثهم سناً فأنزل الله سبحانه على محمد (صلعم) .

« لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ »

فعلم (صلعم) عليه وآله انـه لم يكن ينبغي له ان يبين بنفسه وان البيان لا يكون الا من قبل الله عز وجل بمن يأمر الرسول ان يقيمه له وقوله تعالى :

« وَانْذُرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ »

فجمع بني عبد المطلب وقد ذكرنا امر جمعهم وكيف كان جمعه اياهم وما عرضه عليهم من مرموزاته مما ذكرناه في كتاب «دعائم الاسلام» وهو خبر مشهور يرويه كثير من العوام من انه (صلعم) جمعهم على فخذ شاة وقدح من لبن فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى ارتوا وكانوا اربعين رجلا اكثرهم يأكل الجذة ويشرب العرق ومثل ذلك في الباطن ما القاه اليهم من العلم

الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له ، يشفق على المسكين والبائس ، ويخلص انفس الفقراء مـن الظلم و الخطف يفدي انفسهم ويكرم دمهم في عينه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ، ويصلي لاجله دائماً اليوم كله يباركه ، تكون حفنة بر في الارض في رؤوس الجبال تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الاوض . يكون اسمه إلى الدهر قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون بـه كل امم الارض يطوبونه .

والحكمة وانذرهم به وانه قليل فلم يحتملوه ولا اهتدوا لعلمه وكانوا في عقولهم وآذانهم وحلومهم يحتملون ويعلمون من العلم فوق ذلك فعجزوا عما اتاهم به الرسول وقد اطلعهم على ما يريده من اقامة اساسه وعرض عليهم ما علمه اياه وكلهم عجز عن ذلك وتحمله على صلوات الله عليه فأقامهم بحضرتهم واشهدهم على ذلك وممن حضره كان ممن اقامهم لحدود ظاهر الشريعة فعظم ذلك على مؤمنهم وكافرهم الا من عصم الله من المؤمنين اذ انهم رأوا انهم احق بذلك منه وكان ذلك اول استكبار المشركين ونفاق من تسمى بالاسلام وقد ذكرنا قولهم لابي طالب نهنئك فقد قدم ابنك عليك ، ولما انصرفوا مستهزئين عظم ذلك على رسول الله ((ﷺ) وأكبره وضاق به صدره وكتمه على سائر الناس خوفاً منهم الى ان انزل الله عز وجل عليه في عودته من حجة الوداع قوله تعالى .

« يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ »

فقام بغدير خم بولاية علي صلوات الله عليه والخبر بذلك مشهور يرويه العام والخاص وقد ذكرناه في كتاب « دعائم الاسلام » ، ولما

وجاء في المزمور ١٤٩ من ١ — ٨

هللويا ، غنوا للرب ترنيمة جديدة ، تسبحته في جميع الاتقياء . لينفرج اسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بمليكهم ، يسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا له ، لان الرب راض عن شعبه ، يجمل الودعاء بالخلاص ، ليبتهج الاتقياء بمجد ، ليرنموا على مضاجعهم ، تنويهات الله في افواههم وسيف ذو حدين في يدهم ، ليصنعوا نقمة في الامم وتأديبات في الشعوب لاسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ليجروا بهم الحكيم المكتوب كرامة هذا لجميع اتقيائه . . هللويا .

كبر ذلك على رسول الله (صلعم) نزل قوله تعالى :

« وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ »

والسموات امثال النطقاء والأرض امثال الاسس ، يقول ما اقمنا من اقمناه الا بالحق .

« وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ »

يعني قائم القيامة .

« فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ »

اي عز من آذاك في كره من اقمته .

« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ »

يعني الذي قدر ذلك بعلمه .

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ ٱلْمَثَانِي »

يعني الائمة السبعة من بعده من ذريته الذي ينتهي الفضل الى السابع منهم ويكون السادس منهم ممنوع من البيان ينشئون ذلك حتى يكون السابع هو القائم الذي يجمع الله عز وجل له امر العباد .

« وَٱلْقُرْآنُ ٱلْعَظِيمِ »

يعني اساسه الذي اقامه .

وجاء في كلام اشعيا في الاصحاح ٤٢ .

هوذا عندي الذي اعضده مختاري الذي سميت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتلة خامدة لا يطفيء الى الامان يخرج الحق لا يكل ولا ينكر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ، هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها ، معطي الشعب عليها نسمة . والساكنين

« لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ »

يعني الذين ازدوجوا على انـكار ما فعله من اقامه اساسه .

« مِنَ ٱلْكُفَّارِ وَٱلْمُنَافِقِينَ »

وما منعوا به من البقاء .

« إِلَى ٱلْأَجَلِ ٱلْمَعْلُومِ »

وان لا يتعجل لهم العقوبة .

« وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ »

يعني الذين رضوا بذلك وسلموا لأمره .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ »

يعني الذين ارادوا ذلك ان يكون منهم .

« فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ »

فيها روحاً ، انا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ، لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة . انا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تستبيحي للمنحوتات هوذا الاوليات قد أتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت اعلمكم بها ، غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحه من اقصى الارض ايهـا المنحدرون في البحر واملئوه والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيذار ، لتترنم سكان سامع من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا تسبيحه في الجزائر ، الرب يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه .

يعني الذين استهزأوا بفعله في اقامة اساسه .

« ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ »

فبشره بمن اقامه وبمن يقوم به من الائمة من نسله وبالقائم في آخر الزمان من ذريته وعزاه بما كبر عليه وضاق به صدره من صدهم عن من اقامه وذلك مثل قوله تعالى في قصة موسى .

« وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ مِنْ دُونِهِ »

ولذلك قال رسول الله (صلعم) « لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » يقول لو ان من كان قبلكم اجاب دعوة ضب لاجبتم دعوة ضب مثله ودخلتم فيها يعني من لا شك في سقوطه وغباوته ، فتعزى رسول الله (صلعم) بعزاء الله واعرض عمن امره بالاعراض عنه وأقبل على ما امره الله به ونصب اساسه واتقى عليه فستره الى ان ظهر من امره كما ذكرنا يوم غدير خم ما اظهره اذ اكد الله عز وجل [1] ذلك عليه وذلك لما قربت نقلته ليقيم حجة الله على من خالف امره ، ولما فعل ذلك واعرض عمن تخلف عنه زاده الله بشرى كما انزله عليه بقوله تعالى :

وجاء ايضاً في الاصحاح ٢١ من ٦ — ١٠

لانه هكذا قال لي السيد اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى ، فرأى ركاباً ازواج فرسان ،ركاب حمير ، ركاب جمال ، فأصغى اصغاء شديداً ثم صرخ كأسد » ايها السيد انا قائم على المرصد دائماً في النهار ، وأنا واقف على الحرس كل الليالي ، وهوذا ركاب من الرجال أزواج من الفرسان ، فأجاب : وقال سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل الهتها المنحوتة كسرها إلى الارض .

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً »

يعني فتحنا لك ما كان مقفلاً في شريعتك من البيان باقامة اساسك لذلك .

« لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ »

يعني ما وليته من البيان « وَمَا تَأَخَّرَ » اي ما تتولاه بعد ذلك.

« وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ »

اي بظهور القائم من ذريتك في آخر الزمان .

« وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً »

اي يهديك الى نصب من يكون ذلك من ذريته .

« وَيَنْصُرَكَ ٱللهُ نَصْراً عَزِيزاً »

يعني انه يظهره على كل امة كما قال تعالى :

« لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ »

يعني بالقائم من ذريته ، ويكون قوله تعالى :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً »

اي اقمنا لك اساساً يفاتح عنك وقد ذكرنا فيما تقدم ان ذلك وغيره من الحدود ربما تعذر اقامته على ولي الزمان فيلي ما لا بد منه بنفسه

وجاء في كلام حيقوق الاصحاح رقم ٣ .

الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه . وكان لمكان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الارض ، نظر فرجف الامم ودكت الجبال الدهرية وخفت اكام القدم مسالك الازل له .

وكان فيما فتح الله من ذلك لرسول الله ما خصه به ثم ارقاه الله الى عالم ملكوته واطلعه على حدود سمواته وعلمه علم غيبه وفضله بذلك على جميـع انبيائه وقربه من الحدود العلوية لديه وذلك قوله تعالى :

« سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »

قوله :

« سُبْحَانَهُ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلًا »

فسبحان تنزيه الباري جل ذكره عن صفاة خلقه وسماة بريتـــه « وَعَبْدُهُ » ههنا محمد (صلعم)

« وأَسْرَى بِهِ لَيْلًا » اي سار به بالليل واسرى ويسري واحدة في لغة العرب يقولون اسرى فلان بفلان اي سار به ليلاً والسرى السير بالليل والليل في التأويل مثل الستر والكتمان في الباطن يعني عز وجل انه ارقاه وسيره في علم الباطن ما بينه وبين المتم من دوره وهو سادس الائمة والسابع بعده هو الذي تهيأ له وقد ذكرنا ذلك وسنذكر تمـــام القول فيه في موضعه فيما بعد انشاء الله تعالى ، والمسجد الحرام مثـــل الناطق في عصره نبياً كان او اماماً ، والمسجد الاقصى مثل للمتم وهو السادس المحظور عليه المفاتحة ، والمسجد الحرام في الظاهر مسجد مكة وفيه البيت الذي يحج اليـــه والمسجد الأقصى في الظاهر مسجد بيت المقدس وليس يكون حج الا فيه وفيه الطواف بالبيت فعلى ذلك يكون المتم لا يفاتح احداً الا حجته الذي يقيمه من بعده ويكون بعده السابـــع من

الائمة الذي ينتهي اليه الفضل ولذلك جـاء في الخبر انه اسرى بـه من مكة الى بيت المقدس ومعنى ذلك انه ارقي في العلم فيما بينه وبـين متم الدور السابق وجمع له من العلم والحكمة ما يكون فيهم ممـا تجري عليه امورهم وكيف تكون حدودهم على ما رآه من الحدود العلوية التي رآهـا بنفسه القدسية ومن ذلك قول الله عز وجل :

(مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى)

الى قوله :

(مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى)

يعني بذلك كله الحدود العلويـة رآها بالبصر الذي لم يزغ وهو يضر النفس الصافية من الكدر ، ولذلك روي عن بعض ازواجه انهـا قالت ليلة اسرى به « والله ما بات الا بين سحري ونحري » وقيل في الخبر انه لما بلغ بيت المقدس اتاه جبريل بمركوب دون البعير وفوق الدابـة يسمى البراق فركبه وذلك في التأويل هو العلم البارق المغني الذي هو البيان وفوق علم اللاحق ودون عـلم الامام وركوبه اياه استيلاءه عليه وصعوده الى السماء في التأويل اطلاعـه على ملكوتها وعلم ما فيهـا ومن ذلك قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام »

(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ)

وجاء في الخبر ايضاً انه صلى بجميع الانبياء ، وصلى بهم في البـاطن

دعوته لجميع الامم وانه بعث الى جميعهم كما ذكرنا وغيره من الانبيـاء انما بعث الى قوم معينين وقوله :

(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

فمن آيات الله عز وجل التي اراه سبحانه اياها هي حدوده التي اقامها بينه وبين ابنائه وملائكته فرأى اية كبيرة منهم وذلك قوله تعالى :

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

وقوله تعالى :

(شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

يعني بذلك كله الحدود العلويـة التي رآها بعين قلبه الصافية البصيرة وسمع بأذنه السميعة وذلك قوله تعالى :

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

وقوله :

(إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)

وقد ذكرنا انه مثل المتم المحظور عليه وقوله :

(الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)

فالبركة هي التأييد والمفاتحة فكان ذلك فيمن كان قبله ومن بعده وقوله :

(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

وذلك انه اطلعه على الحدود العلوية ونصب بازائها حدود سفلية فأفضى (ﷺ) وآله من ذلك العلم الذي أوتيه الى اساسه بما يجب ان يفضي به اليه وعلمه اياه ثم عهد اليه ان يؤدي من ذلك الى من يفضي اليه بسره ويقيمه من بعده مما يجب لمثله وان ينقله كذلك من واحد الى واحد ، وكذلك علم ظاهر الشريعة وامره ان يؤديه عنه الى العباد وما يحتاجه منه ثم قال وهو اصدق القائلين .

(هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)

يعني بالمؤمنين ههنا الائمة والسكينة التأييد الذي به تسكن القلوب بمعرفة الحق فتغرف ما تصر عليه اذا هديت بالتأييد اليه ، والمؤمن في اللغة المصدق ، قال الله عز وجل حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام .

(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)

اي لست بمصدق لنا ولو صدقنا فهذا اسم يقع على كل مصدق ، قال الله عز وجل .

(آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)

وقال حكاية عن موسى عليه السلام :

(سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

فيقال للنبي عليه السلام مؤمن لأنه آمن بالله وللامـام مؤمن لانه آمن بالله وبالنبي وللمؤمن مؤمن لانه آمن بالله وبالرسول وبولي الزمان اي صدق بهم ، ومن ذلك قول الله تعالى في الائمة :

(وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ)

فالشهداء الائمة والصديقون هم ايضاً ومن ذلك قول الله عز وجل :

(وَجِيءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لاَ يَظْلِمُونَ)

وقوله تعالى :

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً)

وقوله :

(أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله :

« اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » يعني الامام وقوله :

(لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ)

يعني بما انزله من السكينة [1] في قلوبهم في حين انتهى امر الامامة اليهم.

(وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ فَازْدَادُوا إِيمَاناً)

مع درجة الامامة .

وقوله تعالى :

(وَلِلهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ)

---

(١) في نسخة (س) وردت (المسكون)

فجنود السموات هم الحدود العلوية وجنود الارض هم الحدود السفلية ومن ذلك قوله تعالى :

(وَإِنَّ جُنْدَنَا هُمُ ٱلْغَالِبُونَ)

وقيل لهم جند يذبهم عن حرمات [1] الله بأيديهم والسنتهم ومـــا يزرعونه من العلم والحكمة في العالم كما يذب الجنود عمن هم منه ومن يقيمهم للذب عنه ثم قال تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً)

يعني شاهداً على من هو في عصرك من الخلق فمن اجابك منهم كنت شاهداً له ومن لم يجبك كنت شاهداً عليه وذلك قوله تعالى :

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ أو جِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً)

ثم قال .

(وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)

يعني انه بشر بالأساس والائمة من ذريته من قبل منهم .

(وَنَذِيراً) فنذر بالقائم من ذريته وما يحل بالعصاة منه من عامل العقوبة ومن اجلها في الآخرة ثم قال :

(لَتُؤْمِنَنَّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)

اي ارسلنا هذا الرسول لتؤمنوا بما جاءكم به عن ربه .

(وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

---

(١) في نسخة (ه) وردت (صدمات)

يعني تعظموا الله وتجلوه وتسبحوه في حد الظاهر بالقول والاعتقاد وفي حد الحقيقة بالعلم واليقين لتوحدوه حق توحيده من الروحانيين والجسمانيين من خلقه ، ثم ذكر ما امر فيه من البيعة وأخذ العهد والميثاق الذي جرت به سنته في الأولين والآخرين وأمر بذلك رسوله ان يجريه في شريعته فقال تعالى .

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)

يقول من اخذت عليه البيعة والعهد والميثاق واخذ ذلك عليه فانما يبايع الله الذي امرك ان تفعله .

(يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

يعني حين عقد البيعة وحين اعطاء الصفقة بالمصافحة لان يد الآخذ ذلك بامر الله هي يد الله الذي وضعه بذلك الموضع وأقامه له على سبيل الاضافة كما يقول القائل في لسان العرب لمن يقيمه ناظراً له هو عيني ولمن يقيمه ليستمع له هو اذني ولمن يقيمه ليأخذ ويعطي هو يدي ولمن يدافع عنه هو سيفي ورمحي واشباه ذلك . فخاطب الله عز وجل العرب في ذلك بلسانها الذي تفهم به ما تسمعه من الخطاب ، وقوله :

(فَمَنْ نَكَثَ) اي هـذه البيعة وأصل عقدها وابرامها فانما ذلك عليه لا عليك لانه هو المعاقب بذلك الفعل « ومن أوفى بما هو عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً » اي يثيبه ثواباً كبيراً وعجل له ما عجله وأجل له ما أجله ، ثم قال جل جلاله :

(هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ)

يعني انه هو عز وجل ارسل محمد (صلى الله عليه وسلم) بالهدى وهو البيـان الذي يهتدي به المؤمنون الى الحق (وَدِينِ ٱلْحَقِّ) يعني به بمـــا شرعه من شريعته « ليظهره » يقول ليعليه بالغلبة [1] على كل دين ، والظهور والغلبة والقهر يقـــال منه ظهرنا على العدو واظهرنا الله عز وجل ، وقد أظهره سبحانه على كل دين من الاديان وتمام وعده يكون بظهور القائم في آخر الزمان من ولده القائم بشريعته يظهره الله عز وجـل على كل دين وكل امة وتعـلو كلمته ويملك اهل كل شريعة وملة بالقهر والغلبة ومن ذلك قوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ إِنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَـا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)

وقوله تعالى :

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ)

وقال تعالى :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)

فالذين معه هم الذين اتبعوه بالحقيقة وآمنوا به وصدقوه بظاهره وباطنه

---

(١) في نسخة (هـ) وردت (بالقلبت)

وقاموا بأمره في حياته وبعد ممـــاته من اسبابه الذين كانوا في عصره والائمة من بعده منهم معه باتباعهم اياه وتمسكهم بامره واتصالهم به لأنهم في نظام واحد معه ، فهم جـل الله المتصل طرفه بيد الله وطرفه بيد العباد كما وصفه رسول الله (صلعم) فالرسول هو اول حد من الحبل في العالم السفلي والاساس متصل به والائمة يتصلون بالاساس واحد بعد واحد والطرف الادنى الذي هو بيد العباد امام كل زمان في زمانه فمن تمسك به فقد تمسك بحبل الله ، وكل واحد منهم في زمانه هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، كالسلسلة كل عروة منهـــا متصلة [1] بالاخرى فمن تمسك بأدناها فقد تمسك بها كلهـا وبعضها مع بعض وذلك قول الله عز وجل :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ)

هم الائمة وقد بينا في غير موضع ان اسم الايمـــان يقع على الرسل والاسس والائمة وجميع المؤمنين المتصلين بهم ، اتصال جارٍ ما بقي الزمان لا تنقطع شريعته ولا تنسخ ولا تبدل ولا تنقطع إلا بانقطاع الدنيا ، ثم يصير المتمسكون بهـا حقيقة التمسك الى ان يقيم الآخرة الابدية [2] فيوصل لهم خير الدنيا بخير الاخرة . وقد قال المشركون ان محمد لا ولد له فيخلفه وقد انقطع امره بموته فقد أخبر الله عز وجل بمـا يكون من بقاء شريعته في خلقه وائمته وقيامهم بأمر امتــه ومن يتصل بهم من اسبابهم ووصفهم فقال سبحانه :

(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يعني اسبابهم المتصلين بهم .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (متصلت)

(٢) في نسخة (ه) وردت (البدية)

(تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) اي خاضعين للناطق وحجته .

(يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ)

يعني بذلك طاعة الائمة .

(ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ)

اي في الظاهر الذي يقومون لأئمتهم بالاذعان والطاعة والاخلاص لهم ثم قال :

(وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلإِنْجِيلِ)

اي في :

(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)

وشطأ الزرع في لغة العرب فراخه التي تنبت من اصله يقـال شطأ الزرع او فرخ ، يعني اذا قام منهم قائم فينشيء منهم من يخلفه .

(فَـآزَرَهُ) يعني صار وزيراً له وحجة (فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ) بالتـأييد (عَلَىٰ سُوقِهِ) والسوق جمع ساق يعني اذا أقام لواحقه واسبابه واستوى عليهم في رفيع الرتبة بالتأييد .

« يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ » يعني اللواحق والدعاة الذين يزرعون الحكمة في قلوب المؤمنين .

(لِيُغِيظَ ٱلـكُفَّارَ) اي ليغيظ بهم الكفار الذين توهموا ان محمداً [1] (صلعم) ينقطع امره بما رأوه فيمن شاهدوه بينهم وأيقنوا باتصال امره

(١) في نسخة (هـ) وردت (محمد)

ومن تولاهم وقال قولهم في كل زمان بما يشاهدون منهم .

(وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ)

يعني به جميعهم .

(مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً)

يعني ما ينيلهم من ثواب العاجل والآجل ، ومن ذلك قوله تعالى :

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلكَوْثَرَ فصَلِّي لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلأَبْتَرْ)

قيل ان عمر بن العاص قال لكفار قريش اصبروا على ما انتم عليه فان محمداً لا ولد له فان مات انقطع ذكره وأمره ، فبلغ ذلك رسول الله (صلعم) عنه فغمه ذلك فأنزل الله عز وجل عليه هذه السورة والكوثر قيل في التفسير انه نهر في الجنة ومثل النهر العظيم وهو ما اعطاه الله عز وجل اياه من علم التأويل الباطن .

(فَصَلِّي لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

اي اقم الدعوة لله باطناً وهي باطن الصلاة واقمها في الظاهر ولا الظاهر دون الباطن «وانْحَرْ» اي خذ عهد الاساسية على اساسك ونصبه للبيان تتصل ذريتك الباطنة ويكثر المستجيبين لدعوتك وينبتر [1] امر شانئك وقائل ذلك فيك فكان كما وعد الله جل ذكره ، والنحر انما يكون للجمال وهي امثال الائمة والذبح للغنم وهي امثال المؤمنين والبقر امثال الحجج ، فضرب مثل اساس ابراهيم بالكبش واساس موسى بالبقر واساس محمد بالبعير وذلك الذي ذكره من قول ابرهيم لاساسه اسماعيل

---

(١) في نسخة (س) وردت (ونبتر) .

(إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ إِنِّي أَذْبَحُكَ)

انما كان ذلك في اخذ العهـــد عليه اولا ، والذي حكى عن قول موسى لقومه :

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)

انما هو اقامــة الحجة وقد ذكرناه ، وامر محمد (صلعم) بالنحر اي امره بأخذ عهد الاساسية على علي صلوات الله عليه ، وأما قوله :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

عنى به شرح الظاهر الذي كان في حده باقامة اساسه لشرحه .

(وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)

يعني ما كنت تحمله من الظاهر بلا بيان .

(ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)

يعني اثقلك بما كنت تؤدي منه الى المستجيبين من غير بيان .

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

من الملأ الاعلى بما تذكر فيه .

(فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً)

يقول مع التنزيل الظاهر بيـــان باطن يوضحه وييسره لمن عسر عليه امره بالبيان الذي هو التأويل .

(إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً)

يقول ان مع الدعوة الظاهرة دعوة باطنه فيها تبيان وتيسير .

(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ)

يقول انصب نفسك واجهدها في نصب الاساس وإقامة دعوة الباطن .

(وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)

يعني ارغب اليه واسأله المعونة على ذلك واقبال المستجيبين عليه ، ومما رمزه عز وجل من الدعاء اليه قوله سبحانه .

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ)

يقول ادع الى اساسك الذي نصبته[1] واقمته بأمر ربك وجعلته طريقاً يقصد اليه من قبله بالحكمة التي اودعته اياها وهي البيان .

(وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

وذلك ما يعظ به من لم يقبل عليه وصرف عن امره وعدل عنه رغبة منه الى غيره اذ رأى انه أهل لذلك دونه .

(وجادلهم بالتي هي احسن)

يقول ناظرهم وحاججهم في اي السبيلين احسن التي اقمتها لهم ام التي ارادوها .

(إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ)

يعني من عدل عمن أقمته .

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) اليه المسلمين لامره .

ومن ذلك قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)

---

(١) في نسخة (ه) وردت (وناصبته)

فظاهر هذا القول انــه ارسله شاهداً على امته الذين شاهدهم وكانوا في عصره بما كان منهم من طاعة ومعصية وكفر وايمان بظاهر ما جاءهم به وبباطنه وطاعة من امرهم بطاعته ومن عصى منهم امره «وَ بَشِراً» بشر المطيعين منهم بثوابــه «وَنَذِيرًا» ينذر العصاة منهم بعقابه (١) .

(وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ)

اي يأمره بدعوة الناس الى طاعته والقيام بأمره

«وَسِرَاجاً مُنِيرًا» يعني انه يهدي به في ظلم الجهل ويبصر بالسراج في ظلمة الليل وباطن ذلك انه بين لــه هذه الآية عدد من ينصبه من دونه للأمة على مراتبهم ، الشاهد عنى به الناطق وهو الرسول (صلعم) في عصره وامام كل زمان من بعده يكون في تلك المرتبة شاهداً على اهــل زمانه «وَٱلْمُبَشِّرُ» الاساس في عصر الرسول والحجة في عصر الامام في تلك المرتبة يبشر من استجاب لدعوته وقبل تأويله واهتدى به وعمل بما يؤمر به ظاهراً وباطناً بالفوز والنجاة والغبطة في دنياه وآخرته .

«وَٱلنَّذِيرُ» اللاحق من الحجج في كل جزيرة كل واحد منهم في هذه المرتبة ينذر اهل جزيرته بمن يقيمه فيها من الدعاة من عذاب الله لمن يتخلف عن الاستجابة اليها ويكون المتم هو سادس الائمة من المحظور عليه ان يفاتح احــــداً غير حجته الذي يكون سابع الائمة من بعده فينذر اهل زمانه بإقامته إياه ما يتوقع بانتهاء الفضل اليه وكمال الأمر فيه من ان يكون تمام الامر على يديــه ليسارعوا اليه «وَٱلدَّاعِي» هـــو

---

(١) في نسخة (ه) وردت (بعاقبته)

الذي يطلق له الدعوة صاحب كل جزيرة وهم الدعاة وكل واحد منهم في هذه المرتبة .

(وَٱلسِّرَاجُ ٱلْمُنِيرُ) هو المأذون الذي يطلقه الداعي ليكسر له من يرى كسره ويبين له السبيل اليه فشبهه بالسراج الذي يهتدي به في الظلمة الى موضع الحاجة فهـــذه الحدود الخمسة السفلية التي امر الله عز وجل نصبها في الارض لعباده بإزاء الخمسة الحدود العلوية التي هي في السماء وقد تقدم القول في صدر هذا الكتاب بذكرها ، فإذا كملت في عصر نبي او امام وساعده الزمان واطاعته الامة ووجد فيها من يصلح لهذه المراتب فقد تم أمره واذا وجـــد ايضاً وتهيأ له ان يقيم في كل جزيرة من جزائر الارض وهي اثنى عشر جزيرة لاحقاً وفي كل اقليم من الدعاة والمأذونين عدة ما حدد من ذلك وسوف يأتي ذكره في مكانه او يزيد على ذلك العدد الى ان يستجيب اهل الارض بأسرهم [1] للسابع في آخر دور سابع الائمة من ذرية رسول الله طوعاً او كرهاً بالقهر والغلبه ويكون الدين كما قال الله عز وجل كله لله ويتم وعده لمحمد (ﷺ) بظهور دينه على الدين كله ولو كره المشركون اي المصدون على ما كانوا عليه حتى يتغلب عليهم ويدخلوا تحت حكم صاحب ذلك الزمان ويجري الامر فيهم على ما سنذكره اذا انتهينا الى موضعـــه انشاء الله تعالى .

وربما لم يتهيأ للناطق في عصره اقامة هذه الحدود فيقيم ما تهيأ له وأمكنه منها بمساعدة الزمان له وما يجري به الله عز وجل من الفضل، للعباد في اي عصر وزمان اراد ان يجري ذلك فيه كما يرسل الغيث اذا

---

(١) في نسخة (ه) وردت (بأسرهما)

شاء ويخصب الارض مرة ويجد بها اخرى ويوجد الخيرات حيناً ويعدمها حيناً بالشدة مرة وبالرضاء اخرى ، وانما كل ذلك فضــــلاً من الله على العباد يؤتيهم اياه اذا شاء وعقوبة لبعضهم ومحنة ومثوبة لآخرين منهم اذا اجرى ذلك عليهم فاما اولياء الله في كل عصر في شدة ورخاء او نعمة او بلاء فلهم من الفضل ما جعل الله عز وجل لهم لا ينقصهم اعراض العباد عنهم إذا اعرضوا عنهم شيئاً ولا يزيدهم اقبالهم عليه ، ولكنهم يحبون لما جبلهم الله عليه من الفضل والرأفة والرحمة للعباد ان يقبلوا على ما فيه سعادتهم [1] وصلاحهم وان يتم بذلك امرهم ويسعون في ذلك ويبذلون فيه من انفسهم ما يرجون به ثواب الله فيما استخدمهم الله عز وجل ، ومن صلاحهم فهم يذيبون انفسهم ويستهلكون اجسامهم ويبلغون منه غاية ما يستطيعون حسب ما كلفوه وامروا به واستخدموا فيه من ذلك قول رسول الله (ﷺ) لعلي « لان يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس او غربت » وفي كلام آخر « خير لك من حمر النعم » ومما امر الله عز وجل المؤمنين بظاهر شريعة محمد اي صدقوه فيه وآمنوا برسالته يقول لهم « اعملوا اذا صدقتم بالظاهر مــــا امرتم بالعمل به واقيموه » ومن قوله تعالى :

« الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ »

يعني الظاهر منها والباطن .

« وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ »

يعني من ظاهر الاموال ما وجب فيها ومن الباطن ما هو عـــلم

(١) في نسخة (هـ) وردت (واصلاحهم) .

ينبغي العمل به وتعليمه لمن يجب ان يعلمه فهذه صفة المتقين وهي جملة تجمع جميع الفرائض في الظاهر والباطن ووصفهم الله عز وجل بها فحيث ما امر الله عز وجل في كتابه بالتقوى فهي التي اراد بذلك، وذلك من الايجاز الذي هو من شأن العرب الذين خوطبوا بالقرآن بلغتهم، قوله ههنا للمؤمنين بظاهر الرسول اتقوا الله بجميع ذلك كله وقوله « وآمِنُوا بِرَسُولِهِ » يقول صدقوه [1] بما جاء من الباطن وخذوه عن الذي اقامه لتأديته كما اخذتم عنه ما قام به لكم من الظاهر واعملوا بواجبات ذلك واعتقدوا مثل ما علمتم واعتقدتم من واجبات الظاهر.

« يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ »

اي نصيبين من ثوابه نصيب لايمانكم وعملكم بالظاهر ونصيب مثل ذلك للباطن.

« وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ »

اي علماً وادلة [2] تهتدون بهم.

« وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

والغفران الستر اي ليستر عليكم برحمته من عذابه ويوفقكم لستر ما أمرتم ستره ليوجب لكم ثوابه، ومما يؤكد على العباد من ذلك قوله تعالى:

« وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا

---

(١) في نسخة (ه) وردت (اصدقوه).

(٢) في نسخة (ه) وردت (واضلة).

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »

وكان هذا في الظاهر انذار في عصر رسول الله للمشركين بـه وجاء في الخبر ان رسول الله (ﷺ) امر أبي بكر أن يخرج الى مكة وقت الموسم فينذرهم به وكتب له سورة براءة وتوجه بها فانزل الله عز وجل عليه انه لا يؤدي عنك الا من هو منك وهو الشاهد بعده كما قال تعالى :

« أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ »

وقوله :

« وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ »

يعني علياً عليه السلام فأمره فلحق بـه واخذ الكتاب منه وبلغ عنه كما امره الله جل ذكره وهذا في البـــاطن يجري كذلك كما يجري الليل والنهار والشمس والقمر وكل ما في كتاب الله من امر ونهي ووعد ووعيد وخير وغير ذلك لان القرآن قائم والخلائق متعبدون بما فيه ولو ان كل آية نزلت في القرآن بحق رجل او قوم او شيء بعينه او خوطب بها من كان في عصر الرسول لذهب حكمها بذهاب اولئك وسقط فرضها وذهب مثلها وذهب القرآن كله ولكنه يدور في كل دور من الزمان وعلى كل قرن من القرون كما تدور الشمس والقمر ويجري فيهم كما يجري الليل والنهار وقد خوطب بهـا من كان في الوقت بالفرائض من اقامة الصلاة وإيتاء [1] الزكاة وغير ذلك فكانت تلك المخاطبة جارية لهم ولمن يأتي من بعدهم الى ان تقوم الساعة وتلك الفروض لازمة لهم وكذلك كل شيء فيه فقوله ههنا .

---

(١) في نسخة (ه) وردت (واتيان)

« وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ »

اخبار واعلام كما يخبر المؤذن ويعلم بوقت الصلاة ، وكما قال الله عزوجل

« قَدْ أَذِنْتُكُمْ عَلَى سُوءٍ »

وقوله :

« إِلَى ٱلنَّاسِ »

يعني في الباطن المأنوسين بالحكمة ، وهم المؤمنون والمستجيبون اي اخبرهم انه ورسوله قد برئا من المشركين وهم كل من اشرك بأولياء الله او اخذ ولياً من غيرهم .

« وَيَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ »

عنى به الناطق والآذان ههنا التأييد من الجاري اليه ومن قبله هو الى اساسه ومن قبل الاساس الى حدوده ومن قبل الحدود الى المستجيبين على مراتبهم ومقادير ما لكل واحد منهم عنه ، والحج الاصفر الامام فأراد عز وجل بهذا الآذان اخبار جميع الناس الذين هم آيته في وقت ذلك ومن يأتي من بعدهم في دور محمد (صلعم) من اهل شريعته من أولهم الى آخرهم تحذيراً لهم من الشرك به وبأوليائه ما دق منه وما جل ، وقد ذكرنا فيما تقدم في حدود المعرفة وجوها منه وقول علي صلوات الله عليه

ان من الشرك ما هو اخفى من الذرة السوداء على المسح الاسود في الليلة الظلماء .

وجملة القول في ذلك ان يعتقد احد من الناس لأحد منهم شيئاً لم يجعله الله له او ان يجحد شيئاً مما جعله الله له او يأخذ شيء من دينه

من احد لا ينصبه الله عز وجل او يعرض عمن نصبه لذلك وكل ذلك من الشرك .

واعطاء كل ذي حق حقه من ذلـك والاخذ عمن امر بالأخذ عنه من توحيد الله جل ذكره وقد ذكرنا جملا ونكتاً [1] من قصص محمد رسول الله (صلعم) وجمـــلة من القول في مبعثه وأصل الواجب في شريعته مما في كتاب الله جل ذكره ولو تقصينا كل ما في القرآن من ذلك لخرج عن حد هذا الكتاب وانما بسطنا كما ذكرنا اساساً لتأويل مـا بسطناه في كتاب « دعائم الاسلام » فلما صرنا الى باب الامامة رأينا ان نشبع القول قليلاً فيها ونذكر اصلها وفرعها فجئنـا بذكر ذلك من لدن آدم الى محمد صلوات الله عليهم فطال وان كنا اختصرنا واجملنـــا القول فيه وسنذكر انشاء الله كل في القرآن من هذا او غيره في ذلك من حدود المعرفة بعون الله وتأييده وتوفيقه وتسديده ومادته المتصلة بأوليائه الجارية منهم مقاديرها في عباده .

ولما اقام محمد (صلعم) شريعته وجملة ما امره الله به ان يقيمه وقربت نقلته واشهر كما ذكرنا امته على استخلاف وصيه واقامه فيهم مقامه واخبرهم انه مولى من هو مولاه منهم انزل الله عز وجل .

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً » .

فأجاب رسول الله من اجاب وعند من عند فأنزل الله عز وجل .

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحِ وَرَأَيتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

---

(١) في نسخة (ه) وردت (ونكتاً) .

ٱللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ».

فعنى بذلك اليه نفسه واخبره عن قرب نقلته [١] لما أقام ما اقام من شريعته ونصب من نصبه بامره لامته للقيام مقامه من بعده وذلك قوله:

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ ».

وهذا ما نصره به وعاضده باقامة اساسه ووزيره واخيه علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وما فتح الله له به وعلى يديه من ظاهر الفتح بيده وسيفه وباطنه بلسانه وعلمه الذي اودعه اياه بأمر ربه من تأويل شريعته وبيان تأويل ما جاء به واستضلاعه بذلك وقيامه بالواجب فيه عليه فأراه الله عز وجل من ذلك ما قرت عينه به وطابت له نفسه واستقر له قلبه اذ انه رأى في حياته خليقة من بعده كما رأى ذلك من قبله من اخوانه من النبيين وائمتهم ويراه كذلك من ائمته الى آخرهم فتلك مواهب الله عز وجل لأوليائه في حياتهم ولا يضرهم ولا يحزنهم كما ذكرنا اعراض من أعرض عنهم وعمن يقيمونه من بعدهم ولا ينقص ذلك من فضلهم وان كانوا يحببون كما ذكرنا لما جلبوا عليه من الفضل ان تنال امة كل منهم رحمة الله به وعلى يديه ، وقوله تعالى :

« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ».

يقول : نزه يا محمد حق الحمد على ما وهب لك واعطاك ومنحك عن سمات خلقه ولا تشرك في ذلك واحد غيره فترى ان الاحد من الحدود العلوية فيما بينك وبينه ذلك ما تفضل به عليه عليك واخلص الحمد والشكر بذلك الاعتراف بانه من قبله من غير ان تجحد حق ذي حق

(١) في نسخة (ه) وردت (نقله)

منهم او تنقص واجبه كما ذكرنا في حد التوحيد ان ذلك من الشرك «وَٱسْتَغْفِرْهُ» اي سله سترك برحمته وستر مـا امرت بستره في شريعتك

«إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً»

اي على من فعـــل ذلك واخلص له لوجهه ، ثم قبضه الله عزوجل لما اراد من كرامته ونزل الى دار امنه ومثوبته على مـا قام به صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما دنت نقلة محمد (صلى الله عليه وسلم) امره الله عز وجل بالنص على وصيه علي بن ابي طالب تخوف من النـــاس ومن نفاق حججه من بعده فضاق صدره بذلك فأوصى الله عز وجل اليه قوله .

«يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» .

(في علي) .

«وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ» .

وكان ذلك عند انصرافه من حجة الوداع فلما صار بغدير خم امر ان يرد من سبق ونزل وامر بدوحـــات فقمن له ونصب له احجاراً كهيئة المنبر [1] وجمع لواحقه ودعاته ومستجيبين دعوتـــه ونص على امير المؤمنين وصيه صلوات الله عليهما وأقامه الى جانبه ثم قال بعد ان احمد الله واثنى عليه : « ألست أولى بكم من انفسكم ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال اللهم اشهد على قرارهم ثم قال ثانيه: الست أولى بكم من انفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : اللهم اشهد، ثم اعادها ثالثة ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاوي من

---

(١) في نسخة (ه) وردت (المنبار)

عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار » وسلم اليه كتبه وسلاحه ومواريث الانبياء كفعل من تقدمه منهم ، فداخل حججه الحسد كما داخل ابليس الحسد لآدم وتبع ابليس كثير من الملائكة كما قال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)

فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا بعد ما اظهروه من الخلاف والاحتجاج على ربهم وأقام ابليس على طغيانه وعصيانه ومحاجة [1] ربه وتعصبه لعنصره وافتخر على آدم بالاستكبار والانتساب الى مـــارج من النار فقال :

(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

(١) في نسخة (س) وردت (ومحجة)

فأخرجه الله عز وجل بفعله من الجنة ذميما وجعله بعصيانه شيطاناً رجيما فقال تعالى وصفاً لدرجته وحطاً لمرتبته .

(أُخْرُجْ مِنْهَا فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ)

فأصفره بتكبره ووضعه بتجبره وكان آدم لم يدر بعد من يجعل وصيه وخليفته من بعده فأمر الله عز وجل بأن يأمر قابيل وهابيل ان يقربا قرباناً فمن قبل قربانه فهو وصيه كما قال تعالى :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ إبْنِي آدَمَ بِالحقّ إذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحدِهِمَا وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ ٱلآخَرِ ، قَالَ : لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بَاسِطٌ يَدِيَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَالَمِينِ ، إِنّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ وا ... فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ)

وبالغ ابليس في عصيانه واكده ولزم في طغيانه وكذلك تداخل لواحق محمد (صلعم) ما تداخل الملائكة لان اللواحق ملائكة بالقوة فاذا ما فارقوا هذا العالم الجسماني وانتقلوا الى العالم الروحاني صارو فيه ملائكة بالفعل لانهم بالأعمال ارتقوا الى عالم البقاء ، واعمالهم اقامتهم الدعوة ونشر البيان في اهلها .

ولما عقد (محمد) (صلعم) على وصيه بأمرة المؤمنين وسلم اليه مواريث الانبياء بحضرة لواحقه حسده من حسده كما ذكرنا من حسد ابليس

والملائكة لآدم عليه السلام ، وكحسد قابيل لأخيه هابيل عليه السلام وقتله اياه ، فقال لواحق محمد (صلعم) بعضهم الى بعض ان محمد فعل هذا مع علي لموضع قرابته منه فبلغه ذلك فأنزل الله عليه :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرَ [1] إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ)

تأويل ذلك قل أرأيتم بأصحاب محمد وحججه ان كان نصب هذا الوصي من عند الله بأمره وكفرتم به يعني سترتم منزلته التي اجتباها الله له واختارهـا وقد شهد موسى على مثله فأمر بني اسرائيل فأقروا بمن استخلفه عليهم ثم تداخلهم الحسد واتخذوا عجلاً جسداً له خوار والخوار ما لا حقيقة له ولا يثبت في العقول ، ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة اساسه صلوات الله عليه وكتموا نص الرسول وبيعته التي بـايعوه بغدير خم واتبعوا ابليس وقابيل والسامري حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وامرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر وصرفوه فأقام الاساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن الذي نزل على محمد (ﷺ) لما جمعه وجاءهم به فقالوا حسبنا مـا معنا من كتاب الله ولا حاجة لنا الى ما معك فأخذه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصراً ولا معيناً واشتدت عليه المحنة وكثر اذاهم له حتى هموا بقتله في صلاته لان الضد الاول امر خالد بن الوليد اذا صلى عليه السلام معهم في الصف الاول وقال له اذا سلمت فاضرب علياً وهو في الصلاة في تسبيحه فاقتله وتكون فيها سيداً فلما صلى تفكر في قوة بني هاشم وقال ربمـا لا يتم

(١) في نسخة (ه) وردت (واستكبر)

لخالد قتله فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل ، فأطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت ان تطلع فعندئذ قال : لا يفعل خالد ما أمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال علي صلوات الله عليه لخالد ويلك او كنت تفعلها ومد يده الى طوقه ومسكه فما قدر احد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد (ﷺ) فأقسموا عليه فخلاه من يده وكثرت محنته حتى مضى الضد الاول وهم مع ذلك يأتون في جميع مـا ينزل بهم من المعضلات [1] والحـكم فيجدون عنده فرجاً ومخرجاً ولم يسكن عن جهاده حتى اقام حججه وانتشرت دعوته وصار له دار هجرة كما فعل رسول الله (صلعم) وصبره على اذى المشركين ففعل وصيه كفعله وصبر كصبره حتى صارت له دار هجرة واقام حدوده في الباطن وجرد سيف التأويل وقتل الناكثين والقاسطين والمارقين واتصل بالحدود العـــلوية وهو عالم العقل الرباني عالم اللذة والبقاء والسعادة الاولى ، وأقام أساسه من دونه على مقابلة التالي في عالم النفس فبالتالي تظهر كلمة السابق في عالم النفس الروحاني وبنور عالم البقاء واللذة يعيشون ولا يموتون لان موادهم من بقاء هو العقل الكلي بواسطة التالي في عالم النفس الروحـاني وكذلك في عالم التركيب لا يصل أحد من الجسمانيين الى معرفة حقائق ممثولات الشريعة ورموزها ومحكم تأويل ذلك إلا دعوة الاساس الباطنة التي هي على مقابلة العالم الروحاني ، ومنها يرقى الى عالم النفس الروحاني ، فكان الناطق مثلا على العقل الكلي في عالم الترتيب [2] والاساس مثلا على النفس الكلية الناطق بحكمة التأويل ليبين فضل الناطق وما يدل عليه ، والامام نتاج بين الناطق والاساس مثل الفكرة التي هي نتاج العقل والنفس ، فالفكر

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (المضلات) .

(٢) وردت في نسخة (س) (التربية)

يظهر فضائل العقل وعالم الربوبية ويظهر فضائل النفس واخلاقها في العالم الروحاني بغير فنـــاء كذلك الامام عليه السلام يظهر فضائل الناطق ويكشف رموزه وممثولاته في ظاهر تنزيله وشريعته ويقوم بتأويل دعوة الاساس وبواطن حكمته ، ولما غاب الناطق وارتقى الى العالم الروحاني ارتقى أساسه الى درجته وورث منزلته فأقام نفسه مقام السابق واقام الامام المستودع دونه مقام التالي في عالم النفس ، ولمـا غاب الاساس سلام الله عليه ارتقى المتم [1] الى درجة الاساسية واقام الامام ودل عليه وسلم اليه ما كان له في يده من الوديعة من مواريث الانبياء والائمة وغاب المتم وارتقي الامـام عليه السلام الى منزلة الناطق وقابل منزلة السابق فكان هو عقل جميع ما في عالم التركيب وأقام الحجة من دونه بالبيان عنه على مقابلة التالي في عالم النفس وأقام الحجة صاحب جزيرة الدعوة من دونه كإقامة التالي الناطق ودعوته الى السابق بواسطة التالي وكذلك منزلة الداعي من الحجة صاحب جزيرة الدعوة كمنزلة الناطق من النفس الى الاساس من الناطق ومنزلة الحجة من الامام كمنزلة النفس من العقل الكلي وقد دلّ الرسول (صلعم) على منزلة وصيه وخليفته فقال « انا مدينة العلم وعلي بابها » فدلّ ظاهر قوله انه لا يدعي أحد من حدود الناطق واصوله الى حكمة التنزيل والشريعة إلا من جهة وصيه الذي هو باب المدينة والمدينة في التأويل ما يدين العالم بـــه من ظاهر التنزيل والممثولات التي جعلها الناطق كالحصن للمدينة فلا يوصل للمدينة الا من بابها وفي المدينة يكون البيع والشراء والتجـــار اصحاب التجارات في الأسواق والسور قد احاط بالمدينة فلا يصل الى ما بداخلها الا من بابهـا كما قال الله تعالى :

---

(١) وردت في نسخة (هـ) (المقيم)

(فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)

فالمدينة هي شريعة الرسول التي جعلها الله شبيهة بالحصن للمدينة والامتعة مثل على الظاهر للشريعة وباطنها والاسواق [1] امثال الحجج اصحاب الجزائر والتجار في الأسواق هم الدعاة والبيع والشراء مثل من يأخذ البيعة ويبايع امام الزمان ويشتري نفسه من امام عصره كما قال تعالى :

(إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ)

وفي المدينة القصور وهي مثل على حدود مخفية قد ستروا بالشريعة الدعوة الباطنة وقد قصرت معرفة حدودها عنهم فقال الله عز وجل :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)

فأمر الله عز وجل نبيه (صلعم) ان يمسك نفسه معهم ولا يفارقهم ولا تعد عيناه عنهم وهم الأئمة صلوات الله عليهم الذين قصرت معرفة اهل

---

(١) في نسخة (ه) وردت (الاساوبو)

الشريعة عنهم ولم يعرفوا منازلهم فهذا كله في مدينة العلم التي عليها بابها والسور الظاهر للشريعة فلا يصل احد الى حقيقة ما بدين الله من الظاهر والباطن الا من قبل دعوته الباطنة لا ممن هو باب المدينة ، ومن قبله يوصل الى معرفة ما جاء به الرسول (صلعم) ورمز به وستره فمن الباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يوصل الى داخل السور فيقول لأهل الظاهر الم نكن معكم في شريعة الرسول فيقال لهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بمن اقمتموه مثل عجل السامري [1] وعكفتم عليه كفعل من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وارتبتم بدعوة اساس سره الذي دعاكم اليها فأبيتم وتربصتم به ريب المنون .

وقال رسول الله (صلعم) في خبر آخر يؤكد عليهم انهم لا يصلون الى معرفة ما جاء به الا من جهة وصيه بقوله: « انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأتي من الباب » والنطقاء صلوات الله عليهم هم بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال يعني الظاهر والباطن ، وقال تعالى :

(لَيسَ ٱلبِرُّ أَنْ تَأْتُوا ٱلبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلبِرَّ مَنْ آمَنَ واتَّقَى وأْتُوا ٱلبُيُوتَ مِنْ أَبوابِهَا)

فمحمد (صلعم) افضل البيوت وبابه علي افضل الابواب الذي من دخله كان آمناً ، قال الله عز وجل « باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » وكل من خالف دعوة الاساس الباطنة وأقام على

---

(١) في نسخة (ه) وردت (سامراء)

الظاهر بغير الباطن فهو في ظاهر العذاب ، وعلي صلوات الله عليه افضل باب حدود الله الذين هم النطقاء وحكمة الله محفوظة مكنونة في بيوته وافضل بيوته محمد (صلعم) وافضل ابواب بيوته هو اساسه فأخبر العالم بمضمرات القلوب وهو المخبر عن محجوبات الغيوب ، ان ما حجبه عن الفراعنة لا يصلون اليه ولا يعلمونه ، قال تعالى :

(فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)

والمكنونهو الخفي المستور فلا يعلمهاحد لاستتاره واكتنانه ،والكتاب هو الاساس الذي كتب فيه بيان تأويل شريعته وممثولاتها ما أكنه وستره فلا يمسه الا المطهرون وهم الائمة من ذريته (صلعم) ونحن نذكر قصة لكل متم منهم في موضعها انشاءالله تعالى ، وقتل الضد الثاني كان اشد عليه فترك الأمر شورى في ستة منهم : امير المؤمنين وعثمان بن عفان وصهيب الرومي وقال ان اجمع الاربعة على الخامس وخالفهم السادس فليقتله الخمسة ، فلزم (صلعم) داره ولم يطلب ذلك فبايع الناس الثالث عثمان وتركوا علياً ، وقام عثمان بن عفان يأكل اموال المسلمين من الزكاة والأعشار والصدقات ومنع عائشة ما كان ابوها يدفعه اليها وعمر من بعده ، ونقم المسلمون على عثمان من هذه الأسباب التي ذكرناها واصطنع العجم وترك العرب وعلي عليه السلام مع هذا كله مشغول بعمارة دعوته الباطنة التي هي حده الذي امره الله عز وجل بها وباقامتها بوساطة الرسول (صلعم) .

وقد تكلم الناس في عثمان ومضوا الى عائشة فشكوا اليها ما يفعله عثمان من اصطناعه الأعاجم وتركه العرب فقالت : اقتلوا نعثلا قتل الله

نمثلا فقد بدل دين الله اولاً وآخراً ، فقاتله المسلمون وحصروه في داره ثلاثـــة ايام يقاتلونه في الليل والنهار وعلي صلوات الله عليه لازم داره ولواحقه ومستجيبين دعوته ، فلما طال الامر بعثمان وايقن انـــه مقتول كتب اليه كتاباً يقول فيه : يا امير المؤمنين قد بلغ السيل العرم والحزام البطين فان كنت مأكولاً فكن انت اكلي والا فأدركني ... ولمـا وصله الكتاب وجه اليه ابنه الحسن ليمنع عنه فما ادركهم الا وقد حصلوا في الدار ، وجذب الحسن حتى شق عطفه ، وقتل عثمان ، وأقبل الناس الى امير المؤمنين ، وكان أول من مد يده الى بيعته ومصافحته طلحة والزبير فقال : يد شلاء لا تبقي امراً ولا يتم ، وبايعه الناس وتكاثروا عليه وخرجت عائشة بعد ذلك تريد العمرة وقام امير المؤمنين بالأمر وأتاه طلحة والزبير يطلب كل واحد منهما عطاءً فأعطاهما كما يعطي العبد المسلم من الغنيمة فقالا له : كان ابا بكر وعمر وعثمان قد اجرونا على شيء فأجرنا عليه ، فقال لهما قد اجريتكما على سنة رسول الله ، واقسم بين الناس بالسوية فوجدا من ذلك عليه وكتما نفاقهما عنه واسرا امرهمـا وسار طلحة والزبير يريدان العمرة فاستأذنا عليـــا بذلك وسارا لأمر غيرها ولمـا اجتمعا بعائشة وسار علي لتمام امره الى دار هجرته لتبليغ امر الله تعالى ونشر دعوته في التأويل وسيره الى الكوفـــة مثل دار هجرته الباطنة التي فيها اكتفى اهل شريعة محمد (صلعم) وهجرته من كهف التقية ، وسارت عائشة ومعها طلحة والزبير وجماعة من المهاجرين وغيرهم الى البصرة وقـاتلت علياً فقتل صلوات الله عليه اكثرهم وانهزم الباقون بعد قتل طلحة والزبير وادخلت عائشة الى البصرة فارسلها علي صلوات الله عليه الى بيتها يحرسها مائة امرأة بزي الرجال . وكان من امرها ما هو معروف الى هنا ينتهي الكلام والبيان وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين [1] .

تم

---

(١) بعد ان تم انتقال الناطق السادس محمد بن عبدالله قضت الحكمة ان يتسلم الامر لآخر الدور الائمة فقام بدور الامامة الاساس امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد ولد في ١٣ رجب سنة ٦٠٤ م في مكة وتوفي في ١٩ رمضان سنة ٤٠ ﻫ في الكوفة . وخلفه (الحسين بن علي) وقد ولد في ٥٠ شعبان سنة ٤ ﻫ في المدينة وقتل في اول محرم سنة ٦١ ﻫ في كربلاء ، وخلفه بعد ذلك (علي زين العابدين) وقد ولد في ١٦ جمادي الآخر يوم الجمعة سنة ٣٨ ﻫ في المدينــة وتوفي في ١٠ صفر سنة ٩٤ في مكة . وخلفه بعد ذلك (محمد الباقر) وقد ولد في ٣ صفر سنة ٥٧ ﻫ في المدينة ومات سنة ١١٧ ﻫ في الحمية ، واستلم بعده الامام (جعفر الصادق) وقد ولد في ١٧ ربيع اول سنة ٨٣ في المدينة وتوفي في ١٠ شوال سنة ١٤٨ في المدينة ، وخلفه بعد ذلك ولده (اسماعيل) وقد ولد سنة ١٠١ ﻫ ومات سنة ١٥٨ في البصرة (وهذا من المصادر الاسماعيلية التاريخية التي تخالف المصادر الاخرى) وتسلم بعده (محمد بن اسماعيل) الملقب بالحبيب والمكتوم وقد ولد سنة ١٢١ ﻫ في المدينة وتوفي سنة ١٩٣ ﻫ في بلدة تدمر ، وتسلم بعده ولده (عبدالله) (الرضي) وقد ولد سنة ١٧٩ في محمد اباد ومات سنة ٢١٢ في (سلمية) ثم تسلم بعد(ولده احمد (الوفي) وقد ولد سنة ١٩٨ في سلمية ومات سنة ٢٦٥ في بلدة مصياف ، ثم تسلم بعده ولده (الحسين التقي) وقد ولد سنة ٢١٩ في سلمية ومات سنة ٢٨٩ في سلمية وبعد ذلك تسلم ولده (علي الهادي المعل) وقد ولد سنة ٢٣٧ في سلمية ومات سنة ٢٧٥ في سلمية ، وبعده تسلم ولده (محمد القائم) وقد ولد في شهر محرم سنة ٢٨٠ في سلمية سلمية ومات في ١٨ شوال سنة ٣٣٤ في المهدية ، وبعد ذلـك تسلم ولده (اسماعيل المنصور بالله) وقد ولد في ١ جمادي الآخر سنة ٣٠٣ في المهدية ومات في ٣ شوال سنة ٣٤١ في المنصورية وبعده تسلم (المعز لدين الله) وقد ولد في ١١ رمضان سنة ٣١٧ في المهــدية ومات في ١١ ربيع اول سنة ٣٦٥ ﻫ في القاهرة وبعد ذلك استلم ولده نزار العزيز بالله وقد ولد في ١٤ محرم سنة ٣٤٤ ﻫفي المهدية ومات في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ ﻫ في القاهرة ، وبعد ذلك تسلم (الحسن الحاكم بأمر الله) وقد ولد في ٢٣ ربيع اول سنة ٣٧٥ في القاهرة ومات في ٢٧ شوال سنة ٤١١ في القاهرة ، وبعد وبعد ذلك تسلمها (علي الظاهر لاعزاز دين الله) وقد ولد في ٦ رمضان سنة ٤٢٠ ﻫ في القاهرة ومات في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ في القاهرة ، وبعد ذلك تسلمها ولده (معد المستنصر بالله) وقــد ولد في ٦ رمضان سنة ٤٢٠ ﻫ في القاهرة ومات في ٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ ﻫ في القاهرة ايضاً . ولا نريــد ان نكمل البحث عن فروع الشجرة بعد الفاطميين لرغبتنا بوضع دراسة مفصلة دقيقة عن الموضوع في المستقبل القريب ان شاء الله .

فهرس موضوعات الكتاب

مقدمة المحقق

من صفحة ١ الى صفحة ٢٤

الأسباب التي دفعت المحقق الى نشر كتـاب « اساس التأويل »، شرح موضوع التأويل في الدراسات الفلسفية الباطنية، مقابلة بين التأويل والتفسير وسبب وضع هذا العلم ، ومن هو اول من تكلم بـه ولمحة عن حياة « النعمان بن حيون المغربي التميمي» مؤلف الكتاب وعن كيفية اتصاله بالائمة الفاطميين في المغرب،مع استعراض المؤلفات التي وضعها سواء في المغرب او في القاهرة، لمحة عن حياة الأمام الفاطمي « المعز لدين الله » وازدهـار العلم والادب في عصره وتشجيعه العلمـــاء ثم مشاركته المؤلفين بالتأليف والتنقيب ، واخيراً يستعرض الحياة العقلية التي كانت تسود المجتمع الاسلامي في تلك الفترةوتعاليم القرآن التحررية العقلية ، وسبب تسمية « الائمة » من احفـاد اسماعيل بن جعفر « الصادق » بفاطميين بـــدل « اسماعيليين » واخيراً كيفية تحقيق الكتاب ، وعدد النسخ التي حقق عنها النص .

مقدمة المؤلف

من صفحة ٢٥ الى صفحة ٣٢

يقدم المؤلف لكتابه بافتتاحية مستفيضة يقابل فيها بين التأويل والتنزيل

وبين الظاهر والباطن وبين الجسم والروح ، وبين كتاب « دعائم الاسلام » الذي يمثل الظاهر « وأساس التأويـــل » الذي يمثل الباطن ، ويدعم اقواله بآيات قرآنية وبراهين عمليه بتثبيت التأويـل وينتقل أخيراً الى تبيان معنى « الايمان » « والاسلام » من الوجهتين الظاهرية والباطنية كما جـاء بكتاب « دعائم الاسلام » مع شرح شهادة لا اله إلا الله وتثبيتها بالآيات البينات مع انتقاله الى تفسير وظائف حدودعالم الدين تفسيراً مستنداً على القرآن الكريم.

الفصل الاول

من صفحة ٣٣ الى صفحة٧٥

عدد النطقاء ، معنى كلمة ناطق ، بداية الكون او ما يسمى عالم الدين ، المبدأ هبوط الناطق آدم ، سبب الهبوط ، موقف ابليس ، الخطيئة التي وقع فيها آدم وحواء ، عودتهما بعد التوبـــة ، سبب خلق آدم من طين ، وصيته لابنه هابيل ، حسد قابيل ، تسلم شيث مركز الأساسية بعد موت هابيل ، معنى الدور الكبير والصغير ، ومعنى الأمام المقيم والمتم والاساس والمستودع والمستقر ، ذكر الآيات القرآنية التي وردت في هـذا الصدد ، شرح بالهامش عن عدد الائمة الذين تسللوا من آدم حتى ظهور الناطق الثاني «نوح» مع اسماء دعاتهم محققة عن الكتب السماوية والمصادر الخطية .

الفصل الثاني

من صفحة ٧٦ الى صفحة ١٠٦

بيان ظهور الناطق الثانينوح في الدور الثاني مع ذكر دعاته هود وصالح وسبب بنـاء السفينة بالمعنى الباطني ، قصة تخلف ولده واعتصامه بالجبل ، تبرأته منه ، شرح السفينة ومركباتهـــا ، قيام هود بالدعوة الاستيداعية ثم صالح بعده ، بيان بالآيات القرآنية التي وردت بهـذا الصدد ، واخيراً شرح

بهامش الفصل الاول عن عدد الائمة للدور الثاني الذين تسلوا من النــــاطق الثاني نوح حتى ظهور الناطق الثالث ابراهيم :

الفصل الثالث

من صفحة ١٠٧ الى صفحة ١٧٨

ظهور الناطق الثالث ابراهيم بالدور الثالث وقيامه بشؤون الرسالة ، ومعنى اخذه العهد على ولده اسماعيل ، ومعنى الذبح من الوجهة التأويلية ، وبيان قصص لوط ومعنى لواطه مع بني قومه ، وقصة يعقوب وأولاده ، ويوسف وذهابه الى مصر وامرأة العزيز ، ثم ايوب وشعيب مع ذكر الآيات القرآنية التي وردت بمعرض التحدث عنهم ، وفي هذا الدور بيان عن انقسام الائمة بعد ابراهيم الى مستودعين ومستقرين حيث قضى الله ان يخص اسحق بن ابرهيم بالامامة المستودعة وان يكون من ذريته ناطقين هما موسى وعيسى ، وان يخص اسماعيل بالامامة المستقرة الاصيلة ويكون من ذريته محمد والقائم المنتظر ، وفي الهامش بيان عن الائمة المستقرين والمستودعين من صلب الناطق ابراهيم حتى قيــام الناطق الرابع في الدور الرابع مع تفسير لمعنى المستودع والمستقر في الاعتقادات الاسماعيلية .

الفصل الرابع

من صفحة ١٧٩ الى صفحة ٢٩٨

قصة ظهور الناطق الرابع موسى في الدور الرابع وقيامه بشؤون الرسالة وذهابه الى مدين للالتقاء بأساسه يوشع ، ثم قصة صراعه مع فرعون وهو صراع الباطل مع الحق ، وبيان عن دعاة عهده وهم طــالوت وكيف ادعى جالوت بالامامة بعده ، وقصة داؤد وسليمان ويونس والحوت وعمران وزكريا ويحى مع ذكر الآيات القرآنية التي نزلت في هذا الصدد ، وفي الهامش بيان عن عدد الائمة المستودعين والمستقرين من صلب اسحق واسماعيل ولدي الناطق

ابراهيم حتى بدء الدور الخامس الذي يبتديء بعيسى بن مريم ، مع ذكر الآيات القرآنية التي نزلت في هذا الموضوع .

الفصل الخامس

من صفحة ٢٩٩ الى صفحة ٣١٤

قصة ظهور الناطق عيسى بن مريم وقيامه بشأن الرسالة بدون تدرج بالمراتب ، اي بدون اب روحاني يتعهده ويعلمه وهـــذا هو المعروف بالأبوة الروحية والولادة بدون أب ، ثم قصة مريم ؟ ومن هي ؟ وهـــل الولادة جسمانية او روحانية ، وما معنى الولادة بدون أب ؟ وما هو مركز يوسف النجار بالنسبة لمريم ، ثم تعميد يحى لعيسى ، وتعميد عيسى ليحى ، مع ذكر الآيات القرآنية التي وردت في هذا الموضوع مع ذكر بعض ما ورد في الانجيل وفي الهامش بيـان عن عدد الائمة المستودعين والمستقرين ممن تسللوا في فترة الدور الاول .

الفصل السادس

من صفحة ٣١٥ الى الصفحة ٣٦٨

قصة ظهور آخر النطقاء وخاتم الرسل «محمد» . ذكر هجرته ، قصته مع الراهب بحيرا ، حمايـة أبو طالب له وكفالته وتعهده له ، زواجه بخديجة ، مركز علي عنده واتخاذه اياه اساساً للدعوة ، نزول القرآن عليه ، تفصيل تاريخ حياته ، وفاته ، الثقيفة ، تنصيب الخليفة الأول ، وصية غدير خم ، تنصيب الخليفة الثاني ، مقتل الخليفة الثالث ، حرب الجمل ، والى هنـــا يتوقف المؤلف عن متابعة الحوادث ، وفي الهامش ذكر للامـة الذين قاموا بأدوار الامامة بعد محمد حسب شجرة الامامـة الاسماعيلية حتى آخر خليفة فـــاطمي في مصر وهو المستنصر بالله ، وبعد ذلك وهنا ينتهي الكتاب وموضوعه وهوامشه .

فهرس الآيات القرآنية

الكتب والمخطوطات التي ورد ذكرها

فهرس الاماكن والبلدان

فهرس بأسماء الاعلام

« أ »

اعتذار واستدراك

نعتذر اشد الاعتذار عن عدة اخطاء مطبعية وقعت سهواً في كتاب « اساس التأويل » وخاصة في حركات تشكيل الآيات القرآنية ، وقد كان سبب ذلك صعوبة وقفت بيننا وبين القاء نظرة على «الطبعة» الاخيرة ومهما يكن من امر فهي اخطاء بسيطة بحد ذاتها لا تؤثر على الجوهر ولا تخفى على القاريء الكريم .

عارف تامر

controverse. L'Islam a éveillé par là la raison pour l'intéresser à sa mission, et renforcer ses facultés intellectuelles afin de permettre à la personne de pouvoir compter sur elle-même, et d'exprimer librement son opinion.

Voici donc un bref résumé de la théorie du « **Ta'ouil** », publiée par « **No'man ben Hayoune al Tamimi,** » dans son ouvrage intitulé « **Assas at Ta'ouil** », théorie que nous avons examinée dans tous les détails, en puisant dans nos conceptions ismaéliennes les thèmes nécessaires, et en nous inspirant uniquement de la croyance ismaélienne que nous considérons comme étant le seul moyen possible pour les chercheurs, de connaître les mystérieuses théories du «**baten**».

Nous espérons que la tâche que nous avons assumée sera pour la science d'un certain secours ; nous avons ainsi rempli un devoir envers notre histoire, notre religion et notre philosophie arabes.

Aref Tamer

Beyrouth-Liban
1960

même, et qui représente la faculté la plus élevée de l'homme. On peut affirmer aussi que l'Islam n'a été en réalité qu'une règle morale qui interdit de faire le mal et recommande de faire le bien ; une gnose que renforce une foi toute puissante ; il est aussi la conscience qui régit tout homme intègre, ainsi que la pratique d'œuvres exemplaires et vertueuses.

Quoi qu'il en soit, le Coran sacré est là pour démontrer que la conception qu'apporte l'Islam n'est nullement contraire à la raison, il n'est d'ailleurs pas admissible qu'elle s'y oppose. Si cette conception n'était pas cohérente, elle n'irait pas de pair avec la raison, d'autant plus que la religion musulmane, depuis sa naissance, est une religion susceptible d'évolution.

Si nous lisons attentivement les versets du Coran, et si nous analysons ses préceptes à la lumière de la raison et de la réalité, nous en déduisons que l'homme doit raisonner et agir, regarder et méditer, considérer et rester vigilant. L'Islam est une conception universelle et générale, qui dirige l'homme dans sa vie et qui l'aide à acquérir pour lui et pour le genre humain un étatit de haute perfection spirituelle, morale et matérielle.

Aussi, la « connaissance », dans la religion de l'Islam, conditionne-t-elle la foi. Quiconque croit aveuglement, ne le fait pas librement, et la vraie croyance est celle qui se base sur des arguments, sur la compréhension et la choix librement consentie. Ce qui nous permet d'affirmer ce qui suit :

L'Islam est une révolution dirigée contre la raison statique, c'est un combat contre les théories arriérées, le fanatisme et le traditionalisme. Il a brisé les liens qui retenaient la liberté, pour permettre à la pensée de prendre son essor et de se propager. La liberté a pris ainsi une valeur particulière. Les principes musulmans furent établis à base de raisonnement et de témoignages, non pas par la violence et le traditionalisme, et ces principes, éclairés par la raison, restent l'objet d'une attention vigilante.

Il n'est donc plus possible à l'homme d'être une chose inerte, et d'accepter tout sans discernement. L'Islam a ainsi libéré l'intelligence humaine de l'emprise des traditions, il a donné son essor à la raison saine ; il s'est ainsi radicalement distingué des religions qui l'ont précédé, principalement en ce qui concerne la recherche et la

2° Le recours aux écrits divins et aux livres sacrés, par la méthode de « **ta'ouil** » gnostique « libre arbitre, promesses, réalisations ».

On peut donc dire que la méthode intellectuelle avait pour base une connaissance approfondie de la philosophie. Elle implique un système de croyances souple par essence, assoiffé de connaissance supplémentaires. Elle se refuse à accorder le moindre crédit aux concepts des traditions étrangères, tout intelligibles qu'ils soient.

La religion était, et n'a pas cessé, d'être emprisonnée dans une puissante forteresse, dont l'accès n'est rendu possible que par la pratique d'un système fondé sur la certitude rationnelle, et qui forme de par sa conception même, un ensemble cohérent : il n'est évidemment pas question de se fier à des apparences miroitantes, ou à des connaissances superficielles même si le temps les a transformées par la suite en tradition. Tout concept qui n'émane pas de la raison et n'est pas de son domaine, est naturellement appelé à disparaître en peu de temps.

Les versets du Coran ont été révélés sous une forme immédiatement accessible ; ils ne sont pas pour autant dépourvus de signification gnostique, comme d'ailleurs toute chose existante. Remarquons que le texte du Coran et son interprétation suscitent maintes controverses. Au contraire le « **ta'ouil** », et la découverte de la signification gnostique, constituent une méthode cohérente, non sujette à des variations, qui conduit à la vérité rationelle, et qui s'adapte à chaque milieu.

Nous avons dit que le « **ta'ouil** » est la « connaissance », et qu'il était du ressort de l'imam et de son entourage. C'est pour cette raison que nous voyons le Prophète Mahomet recommander à ses Compagnons la recherche attentive de cette « connaissance ». Ce qui prouve que la « connaissance » littérale est facile à acquérir, tandis que le « **ta'ouil** » ne s'acquiert qu'après des recherches ardues, avoir franchi une série d'étapes, et accédé à une discipline intellectuelle appelée « Testament, Alliance et Promesses ».

D'une façon générale, on peut affirmer que Dieu a révélé sa religion à l'humanité, en la laissant libre de choisir la voie la plus sûre. Il a manifesté sa justice en octroyant à l'homme cette faculté d'utiliser les lumières de l'intelligence parfaite, qu'il a créée lui-

qu'ils étaient maîtres dans l'interprétation des préceptes de l'Islam. Ils ont parlé du « **baten,** » de sa nécessité, comme ils ont également parlé du « **zaher** » (évidence). Autrement dit, le « **zaher** » est inconcevable sans le « **baten** ». De même que le « **baten** » est inutile sans le « **zaher** », parce que le « **zaher** » et le « **baten** » sont comme le corps et l'âme.

Pour cette raison nous croyons que les deux livres « **Assas-at-Ta'ouil** » et « **Daâ'im-al-Islam** » édités par « **No'man ibn Hayoun** », présentent deux idées et deux directions intimement liées, à savoir le « **baten** » et le « **zaher** ». Le premier est considéré la base de la philosophie « **batinite** ». Le second comme base du « **fikh** » et de la « **chari'a** ».

C'est pourquoi nous sommes en droit de conclure que les ismaéliens n'utilisent pas que l'interprétation réaliste, mais interprètent la « **chari'a** » et le Coran allégoriquement et gnostiquement, en puisant à des sources dignes de foi. Cette manière d'interpréter représente à leurs yeux la raison primordiale, le **nous.** En ce cas nous pouvons dire des ismaéliens qu'ils sont rationalistes puisqu'ils ne font reposer leur religion que sur cette base. Le mouvement ismaélien est un mouvement d'ampleur mondiale, ou pour parler de façon plus savante, c'est une discipline intellectuelle destinée à renverser l'ordre politique qui régnait dans le monde musulman, et le but principal en était de révolutionner les pensées, et les conceptions religieuses.

Assurément... cette discipline intellectuelle impose justement à l'adepte la reconnaissance des principes du « **zaher** » et du « **baten** ». Ces deux principes qui sont étroitement liés, constituent l'esprit même de la religion, et sont obligatoires pour tout adepte et pour tout croyant. Le « **zaher** » est un concept général qui englobe les directives qui concernent la vie religieuse. Et le « **baten** » est l'esprit même de la religion, il est dissimulé aux regards, il est du domaine de l'élite. C'est pour cette raison que les apôtres isaméliens propageaient leurs théories de deux manières et prêchaient leur discipline intellectuelle sous deux aspects.

1° Ce qui se rapportait aux prophètes et l'utilité d'y puiser des exemples, des édits, des préceptes, par la méthode littérale, appellant le monde à se rallier par le moyen « de la force et de la tradition».

prophètes, tels qu'on la retrouve dans les trois livres inspirés : Bible, Evangile et Coran. Tout cela constituait un thème absolument secret, en tant qu'il dépassait les limites de la compréhension générale des classes populaires, qui pensait-on, n'avaient de la culture qu'une idée superficielle, et de la connaissance qu'une apparence.

Il est clair que le « **Ta'ouil** », dans le sens qu'attribuent effectivement au mot les ismaéliens, diffère du « **Tafsir** » dans la véritable acceptation du terme, tels que l'ont conçu les autres sectes islamiques. Le « **Tafsir** » signifie éclaircir tout terme obscur dont le sens échappe au lecteur. Si par exemple à la question « Quel est le « **Tafsir** » du mot arbre », nous nous répondons « C'est un plant repiqué qui se développe, et se ramifie en branches et en ramures, qui se couvrent de feuilles ; au printemps, elles portent des fleurs qui ne tardent pas à fructifier en fruits délicieux etc. » — Mais à la question « quel est le « **Ta'ouil** » du mot arbre », nous répondons « Que l'interprétation est du ressort du responsable direct du « **Ta'ouil** ». Il peut dire que c'est une pierre, ou un bœuf, ou un rocher, ou tout ce qui peut correspondre à la vérité, à la réalité et à la raison ». Et cette interprétation ne semblera pas invraisemblable ni déraisonnable. Le « **Ta'ouil** » est le sens profond, symbolique, qui exprime l'essence de l'objet ; c'est une vérité cachée par définition derrière une expression qui ne la dévoile pas. C'est pour cette raison que les préceptes idéologiques des ismaéliens ont donné le pouvoir du « **tafsir** » au Prophète — « **Natek** », mais le pouvoir du « **ta'ouil** » à «l'imam » le premier était considéré comme représentant la « **chari'a** » et la loi concrète et le second représente la vérité, le « **ta'ouil** », la philosophie, et la loi cachée.

Et ceci nous amène à la ville d'Alexandrie et à son atmosphère de philosophie, et aux récits de « Philon » et de ses disciples, qui ont tenté le « **ta'ouil** » de la Bible, mais leur « **ta'ouil** » gnostique n'a pas été couronné de succès ; comme aussi « St. Augustin » ses disciples et son école ont tenté le « **ta'ouil** » gnostique de l'Evangile, mais ils ne sont pas arrivés à réaliser leur dessin pour plusieurs motifs sur lesquels on ne peut s'étendre ici ; puis sont venus les ismaéliens et ils ont répandu leurs dogmes, et les préceptes du « **ta'ouil** » ont été les premiers préceptes qu'ils aient mis en œuvre et proclamés. Il est donc clair qu'ils ont fertilisé la doctrine de leurs idées, et qu'il y ont introduit le « **ta'ouil** » rationnel qui interdit l'acceptation passive du récit. Bien sûr ils ont prouvé au monde musulman

INTRODUCTION

J'ai beaucoup hésité avant de mettre ce livre à l'impression car à la vérité je désirais le laisser dans les ténèbres du « **Takiah** », du secret des traditions ismaéliennes, à l'abri des curiosités profanes, parmi les autres manuscrits ismaéliens dont l'heure de publication n'est pas encore venue. Par ailleurs les informations qu'il est indispensable d'obtenir de ce livre en projet ne sont pas encore suffisantes, outre qu'il existe d'autres manuscrits dont la divulgation est plus urgente ; mais bien que la valeur de ces informations soit moins importante, ils constituent néanmoins une introduction à notre ouvrage.

Et maintenant lorsque je songe au « **Ta'ouil** » (interprétation secrète et mystique) dont nous sommes entrain de parler, je le comprends à travers le « **Assas-aT-Ta'ouil** » (Fondements du Ta'ouil), car celui-ci est le seul livre de la collection des manuscrits ismaéliens qui traite uniquement du Ta'ouil ; l'idée fondamentale de cette science est d'obtenir une représentation logique et rationnelle ; d'exposer de façon minutieuse et détaillée chaque phrase, et de projeter sur elle la lumière pour la rendre accessible à l'esprit.

Le « **Ta'ouil** » a été lors de l'apparition de la doctrine ismaélienne le projet fondamental de toute idée philosophique « **batinite** » (gnostique) ; il fut l'arbre qui grandit, pour donner naissance à différents rameaux ; il fut plus précisément la base sur laquelle se sont élevés les fondements de cette doctrine ; il fut la nourriture qui a sustenté la philosophie « **batinite** » pour lui donner la sagesse, la logique et l'éloquence. Pour toutes ces raisons ce livre a été classé par les ismaéliens parmi les livres sans prix, les reliques précieuses dont les explications doctrinales exigent le mystère et la non divulgation à quiconque n'appartient pas à la communauté ismaélienne. Ce livre est considéré comme le secret et la clef de la doctrine, d'autant plus qu'il fournit l'interprétation mystérieuse de l'histoire des